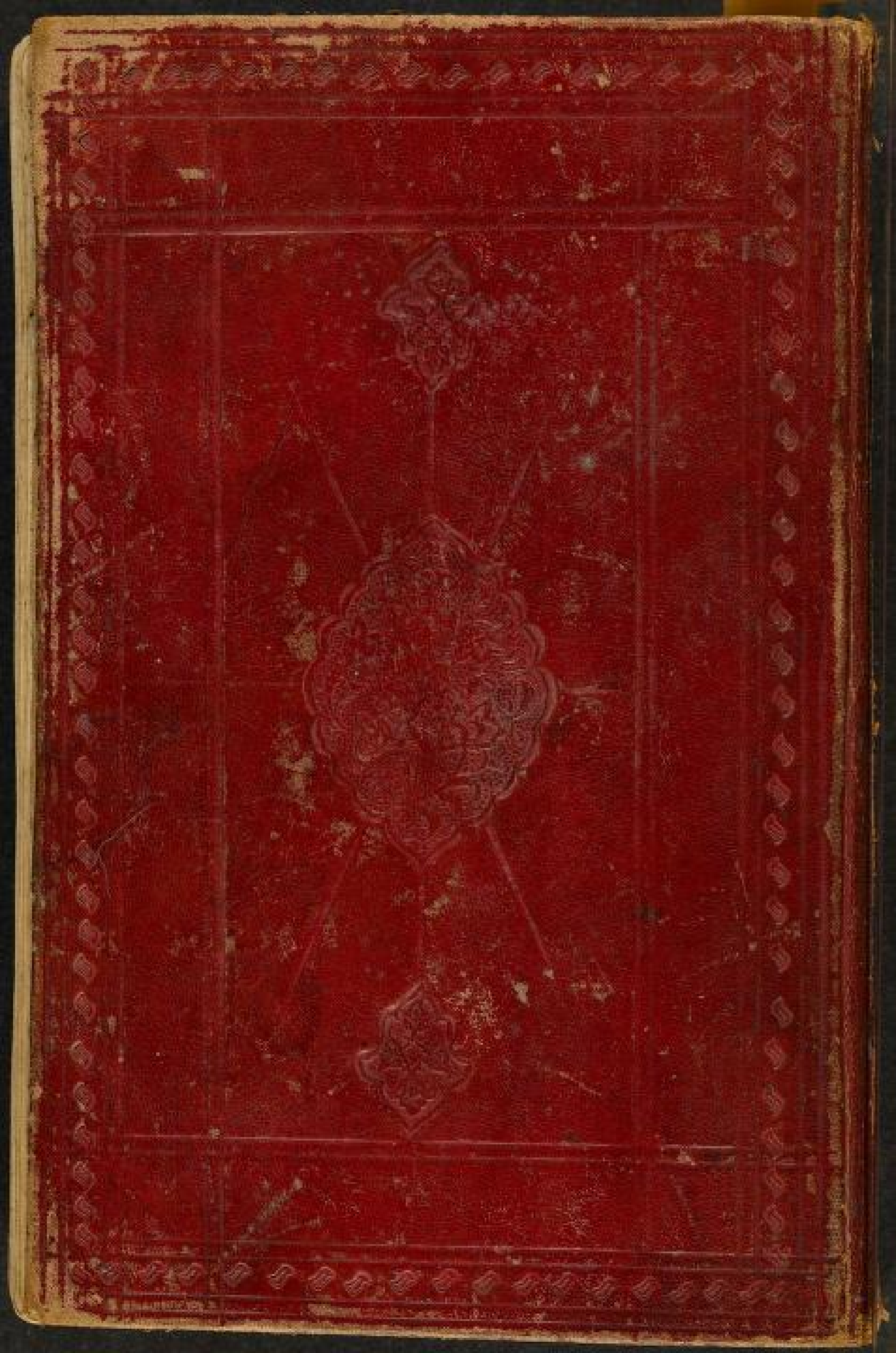


طوله وعرضه الا قيد فتر يحوج الى الضيق شتنا . والى الخراب بردا . لولا ان نحلة فاقة
اوسع منها نقير نواة . ويعرض عنها افحوص قطاة . ومجلس اضيق من كفة حابل
واحرج من صدر الباخل . واجدب من الزمن الماحل . واوحش من زوال ظل حيطانه
سحيقة . وجدرانه ثلمة . والبواري فوقه منقوضة . والسواري حوله مارضة
وبابه مرقّع . ورحلي فيه مضيّع . ان وقعت على سطحه قطرة تداعت جوانبه . وان
غامت السماء سالت مرازيبه . فكلما يبتدي بوكفه . اتترس تحت سقفه
وكلما يوذيني بترابه . استتر خلف بابه . فكان سقفه شيخ فوجي ببني
او عذري تذكر ايام البين . او اديب بكى شجوا من قساوة زمانه . او غريب
استهل حنينا الى اوطانه . او ثكلى اصيبت بانجب اولادها . او سحابة
صابت نوءها بوهادها . وانا مع هذه المحن قاعد على حالة تعمي الابصار والقذا
وعائم في الماء ابترص في الدواير . واخاف على البيت كل ساعة من رقة
قلبه ان يسجد . ولا آمن على قيراط اجد

من كان بالخير محفوظا تصرفه . فقد صحت اموري كلها بحرى

ولو جرى امري ادام الله تمكين مولاي الشيخ في هذه الايام . على سنن النظام
والاستواء . ولم تذكر في هذا الشتاء حرفة الادباء . لما خلوت كل يوم من
مباكرة الخمار . ومعاقرة العقار . ومناغات الاوتار . ومباينة الوقار
ومنادمة الاحرار . ومناشدة الاشعار . ومذاكرة الاخبار . فان تضييع العمر
في مثل هذه الاوقات الطيبة خصوصا في مثل هذه البلدة الخصيبة . واجما
العرض في مثل هذا المكان مع قليل الامكان . ما ليست لواضعها وجوع
ولا لهواديها طلوع شعر لكن مع الوقت لا تضيع زمانا ان مضى ما له رجوع
ولكني بعون الله حيث ما زلت اعثو رتني الخطوب . واينما كنت في يد
المغروب . ومولاي الشيخ ادام الله تمهيده ولي التفضل بانصافي من
خلف العامل المتخلف عن كل فضيلة . والمتقدم الى كل رذيلة . فاني
في عينه كالوحشي مجاز في علف اليتيم . بل كالعابد الثقيل في عين النديم
بل كملك الموت في عين الكافر . وقد ختم عمره بالكباير . والامر بالترسيم
عليه ومطالبته بباقي مالي لديه . فانه يعتذره ثم ويقتره . كانني صبي
في حجره . او سعنة في حجره . فكانما يواسيني بصدقته . او يبرني بنفقته
والرجوان الله يحقق شوم رقته بنفقته . ويخلصني من عاريته وبابقيته .

وانطقت بلسان سحبان وائل • ولضربت بعصا موسى ولطعنت
برمح عامر • ولبطشت بيدي قاهر • ولارتشيت من الشعوذة باب
لو حضرت سحرة فرعون لخروا سجدا • ولو تنزل هاروت وماروت لعكفا على
عبادتي اشد تعبدا • ولو رآها الملائكة لحاروا واكبارا لها واستعظاما • ولو رآه
الحكماء لاتخذوها لهم قدوة واماما • ولكن لي قلبا ثابتا لا تحركه الحوادث
سكونه • وحلما راجحا يكاد يذيل يذبل دونه • وصبرا لا يتزلزل الجزع بساحته • ولما
يتعجب الدهر من رزانته ورجاحته • فان اسكت نعون خلق حميد •
عرفت به كريما لا لئيما • فلا يزيلك طول محاجتي • فانما نصيحتي جليا
فليستقد رب الشيخ ادام الله عزه ما فات من التقصير والاقتصار • ولا
يطوني في ادراج الاغفال • ولا ياخذني على طريق الاغفال • ولا ينقض ما
كان ابرم من عقده • ولا يخفر ما عاهد عليه من وثيق عهده • ولا يلحقني
بما غزا اصل جرمها • ولا يحوجني الى متابعة انواع شرحها • وليعد في ناصرا
لا يستطيع الزمان طغيانا في استباحة حريمه • ومعاذا لا يصطلي الشيطان بنار
جحيمه • وساترا لا يخاف يوم عضاره خسارا • وثائرا لا يخشى عند الانتصار
اعتصارا وانكسارا • ان شاء الله الى الوزير في الشكاية من اخذ
جاريته وشكره على جميل الموالاة شرع الكرام اطال الله بقاء مولاي الوزير
عذبه • وفناء رحب • ورب الصنيعة عندهم مستحب • والفطام عن عادة
الكريم صعب • وقد كان جرى تشريف عادتي لا اخلاه الله من عوائد احسانه
ولا حرمه التوفيق في سره واعلانه • في الاعوام الماضية • والايام الخالية • بالانعام
علي • وتحصيل جاريتي من دوادين لدي كرمه لا بها انفذ وايصالها الي وما لي من
استخراجها • هذا وكانت الاوقات عكرة قذرة • والمعرفة نكرة • وابواب
الاموال متعذرة • ونفوس الجباة قلقة متحيرة • والخاصة متهمة • والسلامة
من تلك الاهوال غنيمة • فكيف لا فاقا لا حرمتك الاهتمام والاشتمال او
اعدم ذلك الانعام والافضال • وقد رزقه الله الان اتساع ولاية • وارتفاع
راية • ومضاء امر • واشتهار ذكر • وهيبة صوت • وعلو صيت • ومزيد رتبة
وعلو • وذل حاسد وعدو • وانا لا يسمح الزمان لي بمساعد • وانا مستتر ولا بد
ولا اشكو السماء قايد • وانا متعثر الاوطانه • ولا استغني عن الناس وانا
في بحار نعم عايم • ولا استخدم الناس وانا عبد وخادم • وما على الاولياء

ان يتهلل له رقاب الانام ، ويملكوا عند الايام ليتضاعف عزه وسلطانه ،
ويتزايد اقتداره وامكانه ، فاصبح تحت ظلاله الظليلة في اعالي الرتب
صاعدا ومرتقيا ، وتنفق بضاعتي التي لا اجد لها سواه طالبا ومشتريا
بجوده ومجده ، ثم اني كلما انقبضت من صيانة حضرة مولاي الوزير
الاجل زاد الله في جلالها واعرضت عن الزيارة في ميامنها واشغالها ،
دعتني الضرورة الى كشف القناع ، والجاتني الحاجة الى السؤال والالحاح
فوالذي خصه بالاقبال والسعادة ، وروحني بغبطة التي لا يجدها الا
خبيث الاصل والولادة ، اني من امر هذه الحالة في حالة اتمنى الموت
دونها من مقاساة ذل وعذاب ، والتردد من باب الى باب ، ومكابدة
امتحان وامتهان ، والاحالة على فلان وفلان ، والاجتهاد في الاقتضاء
وجهاد ، واحتمال ابتذال غير معتاد ، كل المصايب قد تمر على الفتى ،
وتهون غير شماتة الحساد ، لم يصل الي اوصل الله مولاي الوزير الاجل
الى جميع امانيه ومباغيه ، ومكنه من نواصي اعدائه ومعانديه ، من شهر
رمضان في العام الماضي والى اليوم نصف الجاري فكيف يكون حالي
بعد انقطاع الجاري عني خمس سنين متوالية ونزول الافلاس داري
عن كل ما اكتسبته خالية ، الى ان تفضل الله فعاد بيمن دولته وبركة
عنايته وكرم عاطفته شمل الجاري مجموعا ، ووصله بعد ما كان مقطوعا ، خ
وواصله عقيب ما كان ممنوعا ، وما بي قدرة على الاستدانة والاستقراض
ولا لي طاقة على المواعيد العليلة المراض ، ولا ارمته عرفت مقام نفسي ،
بلوغ نفسي يساوي حل مَنّ ، ولا اعرف من اشكو اليه غيره فطالما
اولاني وآواني ، ووالاني ونولاني ، ورفعني ونفعني ، واصطنعني ،
وما صنعني ، ولو كان ايثاره بحسب الآثار ، واختياره على قدر الاختبار
لاستغنيت عن اطالة الشكوى باقرب لحظة ، ولبلغت غاية المنى
باليسر لفظة ، ولكن لاهل السياسة اغراضا لا يجوز للعاقل ان يكلفه
اظهارها ، واسرارا اؤمل ان اجتني بها جاد ثمارها ، بمشية الله تعالى
واذنه ، ولمولانا الوزير الاجل دام علوه في اغاثتي واعانتي ، والدلالة
على حضرته ومكانتي ، وحراستي من التبذل وصيانتي ، واستنقاذي من
صاحب الديوان وتأويله ، وكثرة مطاله وتطويله ، ولجاني في تيسير

هذا المجاري دتسهيل مجرى أوليائه الأخصين • وخدمة المخلصين • ليتم نحو
أيا صدر بأبواليه من غرائب أوصاف الدنيا • ويختم ببعض أفعاله بالنسبة
من بدائع انعامه علي • ان شاء الله أنعام الدولة وهو يعبر في تمام
وسلامته وتعريض ومداعبة أنا قال المستفيد الشيخ عماد الدولة
لا أشكو الزمان • ولا الأخوان • ولا أقول ضد الدين • ولم تزل كأسنيه منكان
وإنما أشكو الإخوان الذين تغيروا ألوانا • وصار واقع الخطوب أعوانا •
ونصبوا بيني وبينهم حربا عوانا • وتنكر واكتنامهم كان مشارب • وتنكر
ارضاهم كان مذاهب • ولو عرا سهامهم كان حرائق • ولو عزا حلامهم كان
خلائق • واستحال أكرم كان عهدا وما لا أو بشهم كان مقتدا • وكنت بعلم
الله في الاحايين أتعجب من صديق إذا تقر جافيا • ولا أدريه صافيا •
وابرم بصاحب إذا لقيت قليم تائبا • ووجدته لعهد العشرة ناسيا •
وانكر الهفوة الواحدة إذا ندرت منه • والزلة النادرة إذا بدرت
عنه • إلى أن أراني الله العجائب • وأبرز الدهر لي مكامنه الغرائب •
وكثر تلون أصدقائي إياي • واستطابوا العتاب والذم • ورأيت جفاء
أصغر ذنوبهم • والمراء أيسر عيوبهم • والانقباض أوفى طباعهم •
والإعراض أنفق متاعهم • وصادفت المكارم بينهم منسية مطوية •
ومنة الكرم في أجلادهم والكتب بالية • وهممهم مخفضة عقب ارتفاع •
وصدور صدورهم ضيقة بعد اتساع • فعلمت أن البلاد عامر •
والكرام نوام • وأن أولئك الأفاضل الذين كنت أسمع في السير أخبارهم
واقرأ فيها محاسن آثارهم • أفنتهم الأيام جملة • فلم تغادر منهم أحدا •
وجعلت أندب تلك الأيام البوالي • وابكي تلك الدمن الخوالي •
• لو ان امرأ يبكي على الدار رسمه • لرأى أساس لنصير لاحترقا الصبر •
نعم كان الشيخ عماد الدولة أدام الله سعادته علم ما تفضل به مولاي الوزير
الأجل أدام الله جلاله ابتدا بغير اقتضاء • وأتانيه من غير اقتناع واقتراح
من اعادة المجاري الذي كان لي في الرتب قديما إلي • وتركه بعد اليأس علي
حتى حيي آمالي بعد ما توفيت • ولم يرع نشوزها • وخفت فلم يبد نورها
ولم ينقض ظهورها • ورمي بالولاية مكرمة انطق بشكرها عليها اللسان كل
خاطب • ومقالات يحبر في كل كاتب • فحمدت الله ولا على ما اجراني

بلا

عليه من جميل عادته • ورزقني في ايام نظره حظا من سعادته • واجللت
قدر النعمة فيما خصني به من بين الجماعة • وبذلت في الدعاء له والتهالك
في الطاعة كنه الاستطاعة • وطالبت نفسي ثانيا لما املت ان
تلك النعمة التي حققت بها امالا وجني لا تكون فلتة جادت على غير عمد •
او عارية تنقص بارتجاع ورد • واعتقدت ان ذلك التراب الذي
اساغ به غصتي لا يورث شرقا • وان الماء الذي نقع ببرده غلتي
لا يصير طرقا ورنقا • واستشعرت انه اذا اراد الله ايامه لم يعطنني
الدهر ويحقق له ان جدوى لخدمته عظيمة وجدي فيه مهذبا • وان قلبي وقلب
صادقي معودا مرشدا • وان ظلت كماتي الغاني فيها مهذبا مستبدا • وان دا
اماني لم ير فيها مثلي احدا ابدا • وقلت ان الوشاة مع تخصصهم لا يصدق
تجري بجدية عن ربقة القتيبة • والسعاة مع فرقهم الحيدر لا يردون بعضو
لحيلة عن اتمام الفضيلة • وانه سيكون عاجلا يتقرب مني حسادا •
اعتقد وافي فسادا • ويجد باختصاصي بخدمته اعداء اضر وافي عد وانا
واعتدا • ويدعهم في حسرة يعضون فيها باناملهم كل غايظ • ويفرون
رؤسهم بكل حايط • وانه يميز بكفايته ودرايته الحق من الباطل • والحالي
من العاطل • ويفرق بين متعلم • وظاهر فضله • بين من يتشوق بكلام لا
يساوي سامعه • وبين كل من اخذ من الادب صفاياه ومرباعه • ويظهر لكافة
الناس انه اصح من تقدم انتقادا • واحسن في الاحرار الاخيار اعتقادا • هذا
مع علمه باني اسبق من جميع من اصطنعه ولا قدما • واثبت قدما •
واوكد ذمما • وافصح لسانا وقلما • فلم ار من جميع ما حدثتني به نفسي ووقفت
عليه حدسي • غير انقطاع الرزق الذي سببت ان افضى ببعضه دوننا
اجتمعت على ايام انقطاعه في مدة خمس سنين • واحسن الى قوم كانوا
فيها الى محسنين • فوالله ما انتشرت اخبار محاسن ما اولانيه احسن الله
ولايته وكفايته في الامصار حتى ازلت بالابصار • ولا اشتهرت في
الافاق حتى تسرعت بالاوباق والانطلاق • فكانت تلك النعمة ما سلمت
حتى ودعت • ولا طلعت حتى رجعت • ولا اتصلت حتى انفصلت • ولا
حلت حتى ارتحلت • ولا عرضت حتى اعرضت • ولا مضت حتى انقضت • ولا
انقضت حتى انقضت • ولا اقامت حتى هامت • ولا وقفت حتى

انصرفت ولا خلصت حتى تنغصت ولا طابت حتى ذابت ولا دارت
حتى طارت ولا ربطت حتى حلت ولا تولت حتى تولت اقامت
اقل من سنة عاشق ثم نفرت اسرع من لمع بارق وتكلمت مقدار نطق
ناطق ثم وثبت وثب آبق سارق وكنت في اثنا هذه الاحوال قد وقفت
الى صاحب ديوان الخاص سوائب سهامي وامطرت عليه سحائب عتبي
وملامي ظنا مني انه هو الذي يدافع ويماطل ويمانع ويطاول الى ان
اجتمعنا فوقفني على صورة الامر واوضح لي طريق العذر فعذرته وسقط
العتاب وصبرت ولكل اجل كتاب فلا تستوحش نفس الشيخ عماد
الدولة من طول هذا العتاب ولا اقلقته من الخطاب وكيف لا اعاتبه
وهو يعلم اني اليوم بين احوال ارق مرتوقها وادنوا مرفقها واوفق مجروحها واجمع
معزقها واطلق معقدها وابدد مطلقها واملي جديدها وارقع خلقها فوالله ما ادري
كيف اعيش وما اصنع ان تقربت اليكم ابغضتموني بغض المحب وطارق الرقيب
وان انفصلت اليكم جانبتموني مجانبة المحترس الطبيب وان زرت حضرتكم
كرهتموني كراهية الشباب المشيب وان فارقت خدمتكم انزلتموني منزلة
الظنين المريب هذا وانتم تعلمون ما حطت بفنائكم رحلي الا شدة
الى الرحال ولا اقبلت على خدمتكم الا الجة مني الاقبال ولا تقربت الى
طاعتكم الا لتستقيم لي الاحوال ولا انعطفت الى جلتكم الا لتهابني الرجال
امن الانصاف ان ينزل في جنابكم جواد ويسمن حمار ويتقدم على بابكم
جار ويسبقني بافل وفجار ام من المروة ان اذوب فرط مخمصة وتجهم
والقى سوء كيلة وحشف فقد عهدتكم وبيدكم عنان الملك تصرفونه على حسب
اختياركم ام يقنعني ما تجبونه من وجوه اعتذاركم كلا انا اعلم ان الشيخ
عماد الدولة ادام الله سموه وجاهه ممن علا في الشفاعات لا يزداد الا صقالا
ووضا فكم وفي الحاجات لا يكتب الا اشتغالا وجهه نتاج الشمس
ارتفاعا وجلالا ورياسة لا تزيد عند الدهر الا انتقالا الا اصلا لا يتغير وعهد
وفضلا لا ينكر طبعه وهو اعلم باخلاق مولاي الوزير اجله وخصاله ولي
بجميع اسبابه واحواله والطف في خطابه وسؤاله واصبر على هجره وملاله
وقد كنت كتبت الى حضرته الجليلة حرسها الله في حديثي رقاعا عدة لم
اسمع لها جوابا مقنعا ولا خطابا مشبعا غير المواعيد الحسان ولست

بالسلك • والاحالة على صاحب الديوان • ولك لو ان اتضح اليه
بالناس • واضيق عليه مجاري الانفاس • والشيخ عماد الدولة اولى
من يكفيني مؤنة التذرع اليه بالشوافع والذرائع • والتقبل عليه
بالوسائل والمسائل • واحرى من يجرد الاجتماع معه مرة واحدة في
مجلس خلوة لا يكون لهما ثالث ويعرفه صورة حالي • وما اقاسيه من الضيق
واقلالي • وجمود الجاري وخموده • وتنقده وركوده • فان انسدت
عليه والعياذ بالله ابواب الاستخدام • فاقل من الطعام • وان وجده
استصعب الى اصطناعي الطرق • فلابد من قوت يمسك الرمق • وان
آثر ان يفرد لي قدرا جاريا ضيعة اخرج اليها فاعمرها واتعلم فيها صناعة
الزراعة • واتخلص بها من الفراغة والشناعة • والاقبال مرتجى • ورزقه
صحيح • وما اتى في هذا الباب شكرا احمد على مجددين ذكره ووصفه
ويفوح في محافلي نشره وعرفه • ان شاء الله

الى الوزير في الشكر والاقتضا والمدح والاسترضا والاستزارة بها العصر

لو جاز ان تكون اعمال الدنيا
مولاي الوزير الاجل في الدنيا نوعا واحدة تكون سبب الغنى والمنى فايدة وفي
عواقب المحامد والمكارم باقية خالدة • وعلى جلال قدر مطيها وموليها شاهدة
لكانت هذه النعمة الواحدة التي انعم بها انفا على عبده اذ احيى آماله بها وكانت امواتا
وجمع احواله وكانت اشتاتا • واسقاه بعد الظما القاتح فراتا • واغناه حتى
طلق ام الافلاس طلاقا بتاتا • وعلم الناس كيف تستعبد الانسان • بغرايب
الاحسان • وتفرع مناكب الجلال • باصطناع الرجال • وتنطق السنة الامم
بابكار النعم • وتحلي مجالس الايام • ببدايع الانعام • فهل تجد هذه الفضائل
التي هي اوضح منها الغرر اللزاق • واوسع من سعة المحافل آفاقا الا في
لم تقع عنده حرة • ولم تكن الكنفس مرة • ولم يضرب اصله بعرق كريم ولم ينتم
الى شرف اصيل قديم • جعل الله قدره في الارض مبسوطة • وآمال الكرام به
منوطة • واركان الملك بصايب رايه مضبوطة • وساحته من المصايب
والمصاعب محوطة • بمنه وعزه • ومولاي الوزير الاجل ادام الله ايامه يعلم
من باطن حالي وظاهرها • واولها واخرها • ما لا يعرفه احد سواه • ويتحقق ان هذه الصنعة
التي انعم بها علي ليس يجري فيما يجري فيه من ايام المتاجر والمكاسب • والمرافق والرغايب
للمستغل والضياع • والعقار والرباع • قد ساعدتهم الايام بجموا وادخروا • وفرتهم

الا نعام فاعتزوا واتئدوا ۞ ونصرت فواتق الزعال فوجدوا ما وجدوا ۞
ونظر فواق الاموال فانكفوا واستندوا ۞ ثم لا يشتمون روايح خبرهم
ضيفا ۞ ولا يطعمون جانبا رغيفا ۞ وانما انا رجل انتبه لي بحذاير ما
تاوَّل في عنفوان الدولة ۞ وعز الزمان بحيي ثم بدا الاقطار على وجه رهام ۞
وانقطعت عني المادة التي كنت ابتلوها مقدار خمس سنين وهي السنون التي
اهلكت الطوائف ۞ وابادت التوالد والطوارف ۞ وافنت الفقير الجارف ۞
وجبلت اكياس الاغنياء لفائف ۞ حتى بعث كل عاني مصون ۞ وانفقت
كل مدخر ومخزون ۞ وقارب ان يتهتك ستري واكاد ۞ ونفذ حكم الله
في الناس بما اراد ۞ فلولا ان تداركني من عند الله جل اسمه رحمة ۞ وتلافتني
من تفضل مولانا عليه السلام نعمة ۞ ولحقتني نظرة الوزير الاجل اد ام
الله دولته الذي احيى رمقي ۞ وكشف غمتي ۞ وانعشني من صرعة الدهر ۞
والبسني باصطناعه اياي ملابس الفخر ۞ وطول نعمتي الايام والليالي وهي
بائنة ۞ وتحقق الصنائع والمساعي وهي بادية ۞ لما استقرت لي دار ۞ ولم
تستغنني اعصار فيه نار ۞ ولكن لله الطاف خفية ۞ ومواهب في اثناء
المصايب مطوية ۞ وامري ادام الله عز الوزير الاجل مع متولي الديوان الذي
يجري جاري منه طريف جدا كان يعد في كل وقت بحمل ما استحقيت منه
وعد مغالط ۞ ثم يتغافل عني كالمرسل واسط ۞ وكنا انا من شهر رمضان
الى يومي هذا لم اقبض منه دينارا ۞ ولم ازل الاعدة ضمارا ۞ قد اصبحت
محروما من انصافه ۞ ومظلوما من فرط تلومه في الوعد واخلافه ۞
لا يكاد يميز الجهول المكهول ارباب العقول ۞ من الطلول والطبول ۞
ارباب الفضول ۞ كانه لم يسمع بقول اهل الفضل ۞

كم رايع الشخص الا انه طلل ۞ وهائل الصوت الا انه بوق ۞

وابلغ من هولاء الضد والذي تخشى بوائقهم ۞ وترجى بوادرهم ۞
وتخاف طوارقهم ۞ وتستحلى طرائقهم ۞ فما انا رجل غريب فيما بينهم
جل صناعتي اعتزازي بخدمة الوزير الاجل واعتزائي الجانبه ۞ ونمائي
في نعمته ۞ وانتمائي الى دولته ۞ واجل بضاعتي ما لا يشترى معظمها
بفلس ۞ ولا يبتاع اخسها بمن يريد الا بثمن بخس ۞ فاذا لم يرد بي
متولي الديوان بفضل اختصاص ۞ حسب ما يعرفه في طاعتي من

ثم نادمه

الاخلاص

الاخلاص • وارجمني بمزيد اهتمام • كامير في هو شرف اصطناع
الكرام • واجراني في هذا المجاري مَن لا يفكر في اصنعا فرضها ام رفضها
واخذها ام نبذها • اشرفت على البوار • ووقفت بين الباب
والدار • وقد كان يحتج بايام التحصيل زمانا • فوالله ما فرغ التحصيل
حتى سوّد وجوه الآمال • ونقض كيس المال • وبيض جرايد الشكر • و
هدم قواعد العز • ولا آمن ما دامت هذه الحجة قائمة • وهذه
العلة لازمة • الى ان يجي ايام الحصاد • فاحصد فيها منهم بالمنا
ويقبرون المطل العاجل • بالحرمان الآجل • مع اني لا اباني بالحرمان
ومولاي الوزير الاجل في ظهري • ولا افكر في جور الزمان وهو لي مجير
ولا احفل بالنوائب وكلمه لي نصير • ولا افزع من الحوادث وهو على
دفعها قدير • واوفل ادام الله ايامه ان يشرف عبده • ويجبه
صاحب الديوان على وفور محله عنده • وارى منه في هذا الباب
اهتزازا خالصا • يرد كيد الحساد على عقبهم ناكصا ان شا الله تعا

الى متولي الديوان وهو حسين بن فراشكا واقتضاه مولم وعتاب وخطاب

انا من امر هذه الحوالة • ادام الله سلامة الشيخ في
اصعب حالة • ومن التحير فيها بين سآمة ومَلالة • اقتضاء
مثل النار • ومواعيد طويلة الاعمار • وسؤال متصل • ومال
لا يتصل • وصداع يتجدد • ورقاع تتردد • فليت شعري متى
تنجلي هذه الغماية • وتنقضي هذه الشكاية • ومتى تنساغ هذه
الغصة • وتنفصل هذه القصة • ومتى ننتعش من هذه النشا
ونصحو من هذا الخمار • ونخرج من هذا الشرار • ونرى بياض الدرهم
وصفرة الدينار • ولو علمت ما في باطن هذا الامر • ووراء هذا الستر
لفتحت بابه • وفتحت ابوابه • ولكني من علم ما في غدكم امري يشهد
الله في حديث الجاري عجيب اذ هو ليس بممكن ولا ممتنع • ولا بمتصل ولا
بمنقطع • اذا ابصرت خطوط العمال • طمعت في استيفاء المال • واذا
قاسيت طول المطال • طرحت بجنابي الضجر والملال • فلا اياس واضح
ان افقه • ولا ياس مر مذاقه • ولا نجاح تسكن النفس الى فصوله

ولا قنوط يستريح القلب من انتظار وصول المال وحصوله •
وعد يحكي الدفلى زهره مونق وطعمه زعاق • وكلام كثير الخلوف
وورق اخضر ناضر • وثمر جلوف • ومخاطبة ترد خطوب الدهر
على اعقابها • ومعاملة تهد قوى لا تقلد بها واضطرابها • ايحال
جاري على اطلال برقة ثهمد • ومقال كنعي مرتد • وعلى ضمان
لا احصل من ما التزم الا على الضمانة • ولا اربح من معاملتهم غير الابتذال
والمهانة • وتحمل مال غيري اليه وهو متدرع في بيته متربع في دسته •
هذه والله حكومة • ولكنها مشومة • وقضية • ولكنها ردية • وظلم
لا سبيل الى الانتصاف من الظالم • وعدول عن معالم المكارم الى اخلاق
البهائم • انا بحمد الله ومنه في ظل الوزير الاجل ادام الله بسطته في
عز حاضر • وايجاب وافر • وسحاب ماطر • وربيع باكر • وقد زالت بحمد الله
وعونه ومنه • وبركة الوزير ادام الله علوه ومنه عني الوحشة •
وانقشع غمامها • وطارت المخافة • وانقطع زمامها • واستقرت
الوزارة ابانها • وطنبت السعادة وضربت خيامها • وعم كافة
الناس احسانه وانعامه • واستلذت الاقاليم مذ جرت اقلامه •
واخمدت مواد الفتن مذ جرد حسامه • وانهزمت كتائب المصائب
مذ صابت سهامه • واشرقت نجوم الملك مذ انصرف الى سياسته عنايته
واهتمامه • فلو عرفه الشيخ بصورة حالي وصدقه عنها لما رضي ان اعلل
بقول باطل • واعذب بكلام عاطل • واوعد بوعد حائل • وانا طالب نوال
لا احظى منه بطائل • وما اخلدني ان اصبح وشملي مبدد • واملي مقيد
وعيشي منكد • ووجه رجائي اسود • واضحى وطئي مؤكد • وحرمي مجدد
وامري معقد • وصاحبي بين زيد وعمرو مردد • وامسي بقلب مشغول
وكيس خال • وهم جديد وبال بال • وليل من طول ليال • وويل متواز
متوال • لا زال ادام الله ايامه لما اتاه من جلالة رتبة ومكان • ودنو
بسطة وامكان • وعلو همة وشان • وسمو قدر وسلطان • علم اولا
ان النعم التي خصه الله بمزاياها • وافاض عليه ظلالها وخلدها • اذا
لم تدعم بابتناء المكارم خيف انتشارها وانتثارها • واذا لم تعمر

بالاثار

بالشكر الدائم لم يؤمن بقاؤها او قرارها • وعرف حالي وسورتها
وتشعثها وكدورتها • وان ايام العطلة هاضت جناحي • وجذبت
فاجنابي • وان ايام التعذر عنت في خصومته • وجنت في حكو
واخذت من اعناقي بحظ • وحقد على بقلب فاتر فظ • واقتضى عذرة
الوزارة باعادة جاري الي بن غير الحاح في سؤال • وقضى حق
الرياسة بتدارك امري بعد اختلال • ثم لم يقتصر على هذه اليد
البيضاء • والكريمة الغراء • حتى ناط تقريره بهذه الجنبة المباركة
متعذرًا ان تدر على اخلافها • وتتمهد لي اكنافها • وان لا يخلف
سحابها • ولا يخلف حسابها • وحرضنا منه ان يتعجل الي وصوله
وحصوله • ويترفق حالي المستحيلة غره وحجوله • والان فقد
وقف الدست وهذا كما كنا • والشكاية زيادة • والاقتصاد الا تنفاد •
وفضل الشيخ ادام الله عزه عذب مشرع الفضل • رحب مرتع النيل
صحيح التمييز بين الخواص والعوام • كثير التوقي من سهام الملام • غير
جديد في خدمته • ولا حديث من نعمته • فلا ادري كيف
اعاتبه واخاطبه • ولكن احاكمه واحاسبه • ولست والله
الزمه ما يضيق عليه فيه الطريق • ولا اكلفه من اصلاح
امري ما لا يطيق • بل غرضي في هذا الرزق ان لا يخصني من
بين سائر اصدقائه بحرمان • وان لا يحيلني على فلان وفلان •
الى ان يأذن صورة الحال الى تلك الحضرة الجليلة • قدم وانقيادي لا يرى
منها غير العناية الوكيدة والرعاية الجميلة • وعاملا باني اذا شكرته
فسحبان خطابة • واذا شكوته لم اجاوز عتابا ودعابة • ان شاء الله

في معاتبة الى بعض اصدقائه وهو ابو طالب بن حماد

الشيخ اطال الله بقاءه • وجعلني فداءه • اذا ذكر الذكاء فذكاؤه • واذا
وصف الادب فسماؤه • واذا اجيلت القداح على اعشار الكتابة
فله رقيبها او معلاها • واذا عددت اخبار الائمة فهو اعلمها واعلاها •
واذا امتدحت الفصاحة فهو مدير رحاها • ومنه مبتداها
واليه منتهاها • واذا استحسنت البلاغة فهو طالع ثناياها وجماع

بعثه ورحمة ولده القاضي ابي الحسن بن محمد بن ابي البدر من الكوفة وكان بدمشق
كتابي وشوقي الى الشيخ القاضي اطال الله بقاه شوق الصادي الى الماء وقد
ازهقته غلته . والعليل الى الشفاء وقد قلقته علته . والمهجور الى الوصل
وقد اضنته حرارة الهجر . والفقير الى الغناء وقد ودته مرارة الفقر .
والهرم الى عودة الشباب وقد فاتته ايامه . والمحروم الى مساعدة الدهر
وقد اصمته سهامه . وكيف لا اتشوق الى من لم اسعد الا بطلعته . ولم افرح
الا ببهجته . ولم احمد ايامي الا حين جالسته وعاشرته . ولم تتراءى لي الاحيان
حادثته وذاكرته . ولم تحل لي الايام شغلتني غايته ودر غايته . ولم اعدد
الايام الا زمان ادركني مجده وسعادته . ولم تكنفني الدولة الا تحت اكنافه .
ولم يحد حقي احد الا بعض اوصافه . ولم اوهبها الا عن جفيره . ولم انصرف يوما
الا في خيره وخبره . ام كيف لا احن الى ان ترقت اشرقت على صفحات احوالي انا
نائلة . وان خرجت لم تعزب عني ابكار فواضله . وان عدوت فاتني جوده
بشكره خاطبا . وان غبت لم يصبح عني احسانه غائبا . وان نمت زادني
من نعمه خيال . وان انتبهت باكرني من عنده اقبال . فمرحبا بمن بهده(?)
اوصافه واهلا . وسقيا لمن سقاني من سحاب وده علا ونهلا . ولما
سلبت محاسن من تكرت(?) من شمايله سكري من الشمول . ورفقت من صبا رق
المروج والسهول . ولا زالت الايام بحكمه مساعدة مساعفة . والمواهب
لديه متزايدة متضاعفة . والمحن عن فنائه نائية . والمخاوف عن ولايته
بائنة . ولعل مولاي القاضي ادام الله حراسته يذكر ايام ارتحالي من الغوطة
واجتهاده في استصلاح وقت تقوى النفس به على السفر . واختيار طالع
يؤمن معه وارد الغرر . وما فارقني الضرورة اليه من المسير بطالع الاسد
والقمر كان في المحاق . والمريخ كان راجعا بعد الاحتراق . وعطارد كان
هابطا . والمشتري من نفس الطالع كان ساقطا . والشمس سائرة الى تربيع
زحل . والزهرة ساقطة عن الوتد . وتقسم قلبه لعد التوديع لسوء الاتفاق
واشارته على بالتاخير عن الرفاق . وما خامرهم من الفزع والوجل لما راوه
من ضيق صدره . وشاهدوه من قلقه واشتغال سره . وسمعوه من كلامه وتحققوه
من اصابته في احكامه . ومفارقتي اياه على جملة استسلمت معها للقضاء المقدور
واستغرقت العطب وسوء عاقبة الامور . وبعلم اني لم ادخل الى السماوة الا بعد

ثناياها • فلا فضل الا وهو لابس حلته • ولا علم الا وهو فارع قلته •
ولا بديع الا استكمل زهره ورياضه • ولا ممتنع الا ذلله بعقله وراضه • ولا
ولا مستصعب الا سهل سبله • ولا مستبعد الا قرب متناوله •
فحكام الفضل يسجلون على انه اوحد زمانه • واحكام العقل تشهد بانه
مالك عنانه • ورواة الاخبار مجمعون على انه احسن من تقدمه مناقب
ومذاهب • ونقلة الآثار متفقون على انه اكثر من قبله مفاخر
ومآثر • والآداب تتجمل بذكره • والعلوم تتزين باسمه • والايام تتشرف
بمكانه • والعقول تحار في بيانه • والجرائد تكشف عن معلوماته • والقلوب
تبتهج من حلاوة عباراته • والجنان تثني على غرر فضائله • والالسنة
تجري على مجاري انامله • فلو تجسم العقل لتجلى في صورته • ولو تشخص
الجهل لصفا من كدورته • ولو اطلق عنان القلم لاستحدم السيف
صاغرا • ولو سود بياض الورق لغادر اللب حائرا • ولو نظم المنثور
لكنا محاسن الايام انتظاما • ولو نثر المنظوم لتناثرت الكواكب
اجلالا له واعظاما • ولو بدهه لبلد لكل عرف وقريحة وخاطرة • ولو دعي
لاعجز مناظرة ومذاكرة • فطبعه الماء بل احلى واحلى • ولسانه
العضب بل اجلى واجلى • وخاطره الشهب بل امضى وانقب
والفاظه السحر بل اعجب واغرب • صانه الله عن عين الكمال • واعانه
على بلوغ الآمال • وامده بجنود الاقبال • واسعده في جميع الاحوال •
وعمر بمعانه نوادي المحافل • وحماه وفناه من غير الايام والليالي بمنه وكرمه
نعم • كنت ادام الله عز الشيخ في سالف الايام مولعا باستنباط غوامض
الالغاز وان كانت صعبة المراقي • بعيدة المرامي • قادر على حل عقد
التراجم وان عجزت عنها الخواطر الثاقبة • وقصرت الافكار الصافية
دونها • لكثرة ملابستي لها • وممارستي اياها • وكان يتفق منها ما
يستسهل الغر طريق استخراجه • ويتهاون بحذف بركوبها ثم يرجع على ادراجه •
وكنت اماثر الكتاب الكرام اعراض بعضهم صرف الهم الى حل الرموز التي عفت
آثارها • وتصفح العلوم التي درست اسرارها • وتامل موضوع الخطوط
المبهمة والابانة عن مقاصدها المستبهمة • حرصا على ان تنفتح عقولهم

وتقوى ابصارهم . وتصغو اذهانهم . وتذكو خواطرهم . ورغبة في ان
يترقوا من ادنى درجة منها الى ما فوقها من علو شريفة قل طلابها
ودرج اصحابها . فكنت منهم كأحدهم أتعب سري . واشغل فكري
بايضاح المعميات التي تعذرت مضاربها . وحل التراجم التي تعسرت
مسالكها . حتى كشفت حجابها . فصارت الصناعة لي عادة معتادة
وذللت صعابها . فامكنت لي بصحبة منقادة . وسرت باهون
سعي . وايسر فكر . الى سنن غاربها فاصرفها على حكم الاختيار . واعلو
كاهلها . فاروضها بيد الاقتدار . فلما اقتضى الاسفار . وساقتني
الاقدار . الى الحضرة الشريفة ورزقت نعما بجارها بالارض المحيطة .
وسكنت حرما آمنا لم تمتد يد بسطة . وجنيت ثمارا لم يحفظ غيري من
اشجارها ورقا . وانيت الاملاق من دون ان اظهر لاحد ملقا .
شغلني بلوغي اقاصي الارب . عن الاشتغال بالادب . وشرفني نيل
اعالي الرتب . عن النظر في الكتب . وكرهت نفسي على ترك العلوم و
نسيانها . وثنيت عنانها عن الجري في ميدانها . ونبذت هذه
الغرائب وراء ظهري . واشتغلت باستكثار ما بها سري . وعلمت
ان العلو في هذه الحرفة حرفة . والتناهي في هذه الصناعة رقاعة .
وان الحظ والحظوة ينالهما من لا يحسن ان يمسك قلما . والجاه
والثروة يحوزها من لا يثبت له في الفضل قدما . حتى ربما يأتي
الجاهل رزقه سعيا وهو نائم . ويتخطى العالم وهو ساع قائم . و
يدرك الضعيف مناه وهو غافل . ويفوت القوي قوته وهو
حازم فاضل . وبيد الله امور الخلق يفعل فيها ما يريد . واسباب الرزق
تنقص وتزيد . عرض علي بعض اصدقائنا ادام الله عز الشيخ الذي درس
الاسفار وطوف في الآفاق ونقب . وتغرب عمره فتدرب . وكسب
الاموال فانفقها . وجمع الظرف وفرقها . ما لم تكحل عيني بمثله جمالا .
ولم يسمح الزمان بمثله اعتدالا . تقصر الاوهام عن اشكاله . وتتحير الابصار
في اشكاله . اعز مصون . واذل مبذول . وارفع حامل . وانفع محمول .
تفر الدبار من حجره . وتعلم الاسرار من حجره . اصلب المساكن سكناه .
واوهن البيوت مأواه . ابطاله لا تصرع . واشجاره لا تزرع . ليس لسبعه

ذنبه ولا لنظائره صفير قد تدانت أقطاره وتباعدت أمصاره
وصغرت كباره وكثرت صغاره يناسب الأبواب ويتحد الآباء
أوله آخره وآخره مفاخره أخرس الأنام لسنه وأفلس الأنام خشن أبيض
الشعاع أحرّ الدنانير أخفّ الهادي أصفر الوسادة ويبقى لشه ضيق
فلسه يعلق فينطلق ويقبل فيقبل ويسير فيومي ويتقابل عليه
الفارسان خائف وآمن ويتقاتل عليه الفرسان متحرك وساكن
ونجوم حوله طايران ونجوم فوقه حائزان له بلد غير مسكون وجلد غير
محزون إذا استتر عرفه من ظاهره وإذا غاب شهد بمناظره لا يذرع
وله ذراع ولا يزرع وله ارتفاع ولا يشرب والساقي يخدمه ولا
يظلم والضارب يظلمه ولا تنفر نعائمه ولا ترعى بهائمه ولا يصطاد وحشه
ولا تداس فرشه ولا يقطع وبره ولا يحصد شجره له رأس بلا قحف
ووجه بلا طرف وطرف بلا أجفان وأسنان بلا لسان وجوف بلا
جيد وحبل بلا وريد وجبهة بلا جبين وقلب بلا وتين وكف
بلا أصابع وقدم وأضالع ودرج وثقوب وأطراف وجيوب
وجسم بلا علل ومنكب بلا عاتق ومرح بلا سابق ماؤه لا يخاض
وجناحه لا يهاض وظله لا يزول وريحه لا يطول ثلثاه أمر
وثلثه جر والقلب عن عكس ثلثه حذر لا زلت تبغي لنا ولا زلت
بربعك الحادثات والغير فليقف الشيخ على ما عينه وليتقبل ما حكيته
على أنه لا يهتدي لرموزه وأسراره حتى يؤوب المتخيل

إلى الوزير في اقتضاء ومدح وشكر وحمد

كتبت إلى الوزير الأجل أدام الله أيامه وظاهر عليه ظاهره وباطنه إنعامه
سيد نزح الزمان بمكبه وزاحم الحرمان بموكبه ويتعلم الإحسان
من مذهبه وينال الإنسان غاية مطلبه فلمعاليه نشر مثل الروض
فايح وللأيادي عرف مثل المسك نافح وله وجه بشر مثل الصبح واضح
وجد وإقبال لأبواب الرزق فاتح فأنا لا أبالي بالزمان ما دمت في
جنابه السعيد ولا أفكر في الدهر ما نمت في ظله المديد ولا أخاف
الفقر منه ألقت السعادة إليه بالمقاليد ولا أستبطئ الأماني فأنا قريب
منه نجح المواعيد فأدام الله أيامه في عيش سابغ لقبت به الغنى عند أفضاله

حال الفقر

ويعز المنى بجزيل نواله • ويكسب حسن الثنا بجماله • ويبلغ خادمه فوق
آماله • بمنه وعونه • وقد كان سبق عند مولاي الوزير الأجل ادام الله دولته
بالامر الى صاحب الديوان في معنى الجاري الذي منه أجراه على حياتي وكفاني •
مؤونة السؤال واغناني • وفي اثناء وجهة راجية ناهضة باسمي اذ بقيت لي في
الديوان بقية من مال العام الماضي جملة تعذر وصولها الى هذه الغاية •
مع جميل الرعاية • وجليل العناية • ولولا ان الوزير الأجل ادام الله بسطته
في تحقيق ظني وبلوغ سؤالي • لأصبح من الفقر سائلا • ويمسي الزمان لي
مسائلا • واعيش خالي الرهب غانما • واكون لا ابدا خادما • الراي العالي
ان شاء الله • **في معاتبة البعض لصديق نابه من العارية وهو غض**
الطبع او الاستقلال • يا سيدي ادام الله عزك لتراخي العقدة • ولم تسعد
مساعدة الدهر • صدى وكل • والكاتب اذا تعاطى ما ليس في قدرته
حاد عن الطريق وضل • ومن عرف قدر نفسه لم يتطاول على ابناء
جنسه • ومن تأمل صورة حاله • لم يخطر الكبر بباله • ومن لم يقف
في صناعته عند مقداره • لم يأمن الفضيحة عند اختباره • ومن لم
يقصر خطاه وقت حضاره • لم ينفعه اعتذاره عند عثاره •
ومن لم يلق رداء التيه عن منكبه • تاه عن مسالك الفضل ومذهبه •
والتواضع جنة الرئيس تقيه سهام الحساد • وتؤمنه مكايد الأضداد
وتحببه الى الناس • وتونسه غاية الإيناس • وافضل الخلق من يعرف
عجزه ونقصانه • ويعترف بان الكمال لله سبحانه • وتحقيق انه وان بلغ
في العلوم الامد الاقصى • وجمع من الفضائل ما لا يحصى • فتأخر عن شأو
السابقين من العلماء • وقاصرون مدى اولئك السادة الحكماء •
وكفى شرفا ان يبني على قواعدهم الراسخة الاسية • وحسبه جلالة ان ينحو
نحو مواردهم العذبة الصافية • وما اقل انصاف اهل زماننا لاولي
الفضل • واكثر اعتسافهم في العماية والجهل • وابلد خواطرهم في استنباط
العلوم الشريفة • واضعف بصائرهم الا في الافعال السخيفة • نسأل الله
ان يقفنا على منهج الحق • ويوفقنا للقول الصدق • ويحط عن كواهلنا
موبقات الاوزار • ويختم عمرنا بمصالح الآثار • انه ولي ذلك والقادر

عليه • كنت يا سيدي ايدك الله اهديت الي تحفة اول حروفها
مقرون بالقرآن • محجوب عن العيان • فاستحسنتها غاية الاستحسان
وقصرت عن مدحها عبارة اللسان • وما ظننت بشيء مذكور في
الآثار • مسطور في الاخبار • بعيد من جنسه • خشن لا يقدر على مسه
نابت ولا يقدر على ضبطه • غائب وانت في وسطه • لجوهره وما فيه
ملامسة • وعنصره وما له ملامسة • اذا قلب صار جفنة ملئت
طعاما • وان زيد في آخره حرف تضمن فاقة واعدما • ويتلوه حرف
النفس الاعلاق في نفقها • وادقها طبقا • لا يفارق الشمس كيفما تدور
ولا يزايل الماء حيثما يغور • فمن يمين القبلة مطلعه • ومن اكثر الرؤوس
منبعه • وفي خزائن الملوك مقره • ومن مخافة العساكر مفره • اخرجه باب
محاجزه • وبقي سائره • وكان اطاره ذنب • وسلم منه سبب • يعانق وما
يحب العناق • ويفارق ولا يعرف الفراق • ان فرقت حروفها فثمانية • وان
جمعتها فثلاثة متدانية • وان تحققت معناها فظرف ظريف • وان تاملت
اعدادها فشكل طريف • هدية من لا يستراب بوده • وتحفة من طابت ورائحة
ثنائه • فمن يكشف المستور عاد رحمة • وكيف بات قد سدت عليه مداخله •

فصل في العتاب لبعض اخوانه

كنت احب ان مولاي اطال الله بقاه لا يستمع في قول الوشاة ولا يصغي
كلام الحساد والسعاة • ولا يراني بصورة من يتصدى لغيبة • او تجاه
في عتبه • وكيف اغتاب مثله اغتاب بذمتي من ان كثرت نعمه وانعامه
وبذا منحني اذ توليت منائه • لاني ما رأيته قط اخل بالمكارم بل فرع ذروتها •
ولا اهمل العوارف بل سكن عقوتها • ولقد كان يبلغني ادام الله تاييده
يذكرني بما كنت منطوقا منه اذا سمعته • مستعتبا بي اذا عرفته • والله
بعدها اولا والايمان • من اعظم الايمان • اني ما عدلت عن طريق مودته •
ولا الحدت في دين محبته • واذا خالفت هذه القضية كنت كمن اختار على الوفاء
الغدر • وعلى الشكر الكفر • وعلى الحمد الذم • وعلى المدح اللوم • ومعاذ الله
ان يراني بهذه الصورة • او ارضى لنفسي قبح هذه الحالة المذكورة • والله تعالى
يبقيه ويبقيه ويمتعني به وفيه بمنه وعونه

تم الكتاب

55

الى حسان وحيد اما بعد فان نعم امير المومنين وان كانت
فايضة على اوليآء دولته • واصلة الى المتصلين بدعوته عامّة • اقطار
ملكته تامة عند اجناده ورعيته • فانك يا حسان بن جراح مخصوص من
نعمه العظيمة باطنا وظاهرا • ورحمته العظيمة غايبا وحاضرا • بما لو تاملت اوله
لتحيرت من معرفة قدرها لسانك • وقصرت عن تولي شكرها عنانك •
وضاق نطاق طاقتك عن التحدث بها وان اسهبت واطنبت • وعجز
قدرتك عن نشرها وان اكربت واغربت • فامن نعمه توليها [illegible]
احد اوليائه الاخصين • ونسبتها الى اهل طاعته المخلصين • الا وقد
اضافوا اسلاف امير المومنين على اسلافك على بُعد • واضافوها اليهم
في قرب وبعد • اذ احيوهم وكانوا امواتا • وجبروهم وكانوا اشتاتا • واعلوا
اقدارهم وكانت ذاوية ذابلة • ونضروا آثارهم وكانت خاوية خاملة • ورفعوهم
من بطون الفدافد • الى ظهور الفراقد • ومن ذرى الحضاير • الى ذرى
المنابر • ومن ادمان الشقآء • الى عنان السمآء • ومن اخفاق النعم • الى
اكناف النعم • ومن مجانسة البهايم • الى مجالسة الاكارم • حتى شبعوا بعد
المجاعة • وارتفعوا عقيب الضراعة • وامنوا فرط المخافة • وسمنوا اثر النحافة •
وانتعشوا بعد الانخفاض • وانبسطوا عقيب الانقباض • وحسدهم
العرب وكانوا مرحومين • ورهبهم الناس وكانوا مظلومين مهضومين •
وملكوا البلاد وكانوا عنها مبعدين مطرودين • وعقدوا الالوية وكانوا
مبعدين مجدودين • فلم يقابلوا هذه المواهب التي ما خطرت بخواطرهم •
ولا استقرت في ضمايرهم • بحمد ولا شكر • ولم تجر هذه العوارف مع جلالة
اقدارها ونفاسة اخطارها على ذكر • ولم يبرعوا لمحسن اليهم والمنعم عليهم •
حقا ولا حرمة • ولم يراقبوا الّا ولا ذمة • ولا حفظوا من حدود الايمان
بعضها • ولا وفوا بالعقود التي يحظر الدين نقضها • بل لما استغنوا طغوا
ولما استولوا بغوا • ولما وجدوا [illegible] • مردوا على النفاق • ولما امنوا
سهام الانتقام • غمطوا دوام الانعام • فكان النعمة ما اغنتهم • بل اغرتهم
وغرتهم • وكان الدولة ما رفعتهم واصطنعتهم • بل وضعت منهم وضيعتهم •
وكانهم ظنوا ان في امهالهم اعراضا عن محاكمتهم • وفي اغفالهم غنا عن مقاومتهم •
وكانهم لم يسمعوا قول الله فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير • ولقد

كلا قد سبحا ۝ وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير ۝
ولم يعلموا انه لولا عواطف الرحمة والرافة ۝ وعناصر الكرم التي عجن الله طينة الامام
بها الخلافة ۝ والحلم الذي يتزعزع دونه الجبال وهو ثابت ۝ والعقل الذي لا يخدعه
الا مغالط او مباهت ۝ والتادب بادب الله في العفو عند القدرة ۝ والاسجاح
مع الملكة ۝ لاستوصلوا في اقرب زمان ۝ وتوشوا من ابعد مكان ۝ بل لو قصدوا
لاقصدوا ۝ ولو رصدوا لحصدوا ۝ ولو استنجز نعمهم لارتجعت وسلبت ۝
ولو جدوا في طلبهم لضاقت عليهم الارض بما رحبت ۝ لان في عزمة من عزماته ما
يسبق الى مقاتل الاجال ۝ ويستنزل العصم من الجبال ۝ ويستخدم الزمان لتتبع
اغراضهم ۝ ويستنزل الاقبال لتصون اعراضهم ۝ ولكنهم جروا على عادة اعراقهم في الوفاء
بعهد الله ان العهد كان مسئولا ۝ واعضوا على قبح نفاقهم ليقضي الله امرا كان مفعولا ۝
وقد علمت ما كان منك في ايام المحاكم حين شققت العصا وجاهرت بالعصيان ۝
وتعديت طورك في الاعتداء والعدوان ۝ وترديت في العناد قاد مينك ۝
وانحت على الفساد قدميك ۝ وابديت انواع النفاق والمراهنات ۝ وكشفت قناع
الحشمة والحياء عنك ۝ ونقضت الايمان بغدرك وختلك ۝ ونبذت الايمان
وراء ظهرك ۝ وبنيت على المحال والمحال قولك ۝ وعشرت اخلاف الضلال
والخبال حولك ۝ وما جرى من هنات اصغرها كبير لا تمحو الايام عنك عارها و
عوارها ۝ وايسرها جرة لا يحط الاسلام عنك اصارها واوزارها ۝ حتى سارت الركبان
بذكر مخازيك برا وبحرا ۝ وتحدث النسوان بقبح مساويك سرا وجهرا ۝ ثم انعطف
الامر بك رجما ۝ وانكر امولك الا وكد عندك رجما ۝ واشتهر عند كل باد وحاضر
انك كفرت النعمة ۝ واخفرت الذمة ۝ وبغيت على من انعم عليك ۝ واسات الى من احسن
اليك ۝ فاغترت باحباط يديك ۝ واستكنت حتى غدرك وعدوك ۝
وسعيت في اجتثاث اصل كنت مستظلا باغصانه ۝ وتهدم بيت كنت متحصنا
ببنيانه ۝ وقصف رمح كنت طاعنا بسنانه ۝ ومكاشفة نائب كنت تصول
بسلطانه ۝ ومخالفة امام كنت تعيش في احسانه ۝ واحراق حرم كنت ترتقي
سعدانه ۝ والتجاري على صرف انك فانك في زمانه ۝ ومبارزة قادر لم تكن انت من
اقرانه ۝ وكنت في شان الكواكب تنظر سعة المحال ۝ وتغر حسنة المزهو ۝ وتروغ
روغان الثعلب ۝ وتتعلق بالاماني الكواذب ۝ وتخبط خبط جاهل ۝ وتخالط
حقا بباطل ۝ معتقدا انك اعجلت ۝ وانما امهلت ۝ ومغترا بما ارخي من

حبلك

خيانتك وانما انفرطت لايباقك فلما علم من ظاهر اضغانك وضاحي علاتك
ان نظامك يزول وايامك لا تطول وان الشيطان سوّل لك احاديث غرور
غرور والخذلان املى عليك اساطير زور وان قلة الاياليت بك اطمعتك
في الباطل وكثرة الاعراض عنك عرضتك للخزي الآجل والعاجل وان الذين
جمعتهم من خراب البلاد والساعين في الارض بالفساد والطماع الذين
آتيتهم من فضل ما انعم به عليك وآسيتهم ببعض ما حصل من اموال لديك
وقدتهم بخزائم الوهم الى لوازم حتوفهم وبطابع آمالهم الى مصارع آجالهم
ونصبت حبائلك في اشراكهم لترضيك في اهلاكم واحتناكهم اذا رأوا رايات
النصر خافقة وآيات الحق ناطقة وصدور الاسنة نحوهم مشرعة ووجوه
الاعنة اليهم مسرعة خذلوك وقت الاستنصار وبذلوك بعد الاستبصار
وتبرّؤوا منك رغبة في مزيد الاحسان وباعوك باوكس الاثمان وزهدوا
في مصاحبتك وانفوا من مقاربتك ومقاربتك استعانا بالله الذي
لا يخيب آمله ولا يضيع سائله وقلدك البغي الذي لا ينجح راكبه ولا يفلح
صاحبه وزمالك من جنود الله بكتائب كانت السعادة تخدم اعلامها
والهيبة تسير امامها وقدم مثلك تزل عن اثبات قدامها وهمتك تقصر عن
ان ترى غبارها ونفسك تصغر عن ان تصطلي نارها فتقتلت اعضاد الفواد
قبل اظلالهم عليك ونسفتك فلول الادبار قبل وصولهم اليك وطفقت
تطير بجناح الفزع بين سمع الارض وبصرها غادرا سادرا وتستقر بحورها
ومدبرها حائرا عائرا وتعثر في اذيال الخجل غاديا ورائحا وتغوص في اوحال
الوحل سابحا وطائحا حتى اشفيت على الخمصة والمسغبة واوفيت على المجاعة
والمتربة واستهزت بافناء العرب كالجار الذليل وطولت عليهم في العدد والوحل
ثم تطارحت بعد ذلك على مكارم الحضرة واستعذت براحها واعترفت بجرائر
نفسك وعظم جرائمها وتشفعت بوجوه الدولة واعيانها وتدرعت بانصارها
واعوانها واستاذنت في ورود الباب مستعفيا ومستغفرا ولذت بكنف
الرحمة متنصلا ومعتذرا فاجبت الى ما اردت وسهل سبيلك الى ما ارتدت
خلفك فاشلك امامك وانت تقدر انه يبالغ في تعنيفك وتقريعك اويزرا
بسو صنيعك او يخاطبك على فرطاتك او يطالبك بغلطاتك او يحاسبك
على ما نهبته من الاموال او يعاقبك على ما جنيته من الاعمال حتى شاهدت من الوفا

عليك • والاحسان اليك • وتقريب مكانك • وتفخيم شانك • ما قوّى جاشك •
وازال استيحاشك • وسكّن قلبك • وآمن سربك • واصفى شربك • وآنسك
ذنبك • قد علمت وكنت عما تسلفناه غافلا • وخرجت في خلع الرضى رافلا • وزرت
من الملابس بالوشي بالزمان لعارت بانه كلها ربيعا • ورقيت من المنازل
الى ما استصفيت دون الناس جميعا • ثم انقلبت الى سيراحتى بيني الانقطاع •
وجد بدا الاصطناع • وزرت الى ديارك وقد ردت احوال العرب كلها اليك
واعدت الى بلادك وقد قرنت الانقطاعات مع عظم ارتفاعها واتساع
بقاعها في يديك • رغبة في اصطناعك واستخلاصك • وحرصا على تهذيبك
واختصاصك • وثقة بانك اذا عدت الى مستقرك جدّد منك ظرف ندمك •
واثبت على الطاعة قدمك • وتصفحت عن المواضع التي خربتها بسوء جوارك •
واثرت الفتنة فيها بقبح آثارك • وهدمت مبانيها بايدي اصحابك • وفيت
نواحيها على اتباعك واحزابك • فتنظم امورها • وتسد ثغورها • وتصلح فاسد
حالها
وتثقف مائلها او مايدها • وترتبط النعم التي عرفتها حوالك • وغرت آمالك •
بشكر تصفو مشاربه • وجد تصفو مدارعه • وجدة صادرة عن خلوص
الاعتقاد • وطاعة جالبة للرضى والاحماد • فاعدت اليها حتى عاد جفنه
قارحا • وسابح خطيئتك بارحا • ووجه ازرتك كالحا • وسعد نجمك ذابحا •
واشتال عليك كل من يسعى في الارض بفساد • ويقدح في الفتنة بزناد •
ويخوض في غمرات الباطل طامع الكواجب • ويعدل عن منهج الحق راجعا على
ادراجه • ففرّ وك وتابعوك • واغروك وبايعوك • وكسبوك من سوء
الذكر ما لا تقطع الايام اصوله • ولا تقطع ايام الزمان نصوله • ونسيت ما
ازل اليك من النعم • وعميت عما كان وجب عليك من الذمم • ونسيت ما كان في
رقبتك من العهود السالفة • وجحدت مواقع العارفة التالدة والطارفة • وعرت
نظرآئك الى المخالفة على المخالفة • حتى انقضت الايام الغيبة وانت عن ديارك
غائب • وفي بلاد اخرى ضارب • وبلغك ما نقله الله الى امير المؤمنين
من ارث الخلافة • وازال بظهور دولته من الفزع والمخافة • وتهدده امن كنا
الجزع الخفا • وامده من النصر في الاصباح والامسا • وما عم الخلق من
اشراق مطالع العدل في اقطار مملكته • واحداق طلائع الامن بكافة رعيته •
وما سارع اليه الحاضر والبادي • والموالي والمعادي • من التشرف بتشريف دعوة

والتبرك بجليل حضرته • فلا سائغ الا اسمر • ولا جانح الا استقر • ولا خائف
الا امن • ولا جائف الا لجئ • ولا مظلوم الا انتصف • ولا محتاج الا
اسعف • فكنت تذكر باياملك • وتتال على مجد بد اصطناعات وتجدد
وتذكر بخدمك ووسائلك • وتتقرب بذممك ووسائلك • وتتبرع
بدخول الحضرة لتجدد بالخدمة عهدك • وتجرد فيها جدك وجهدك •
وتذكر انك خائف من امتداد ايدي الانتقام والاصطلام اليك •
فزع من ارتجاع النعم التي في يديك • وتستشعر ان لا تقال عثرتك
ولو استغفرت واعتذرت • ولا تقبل توبتك ولو عججت واعترفت •
وكانت كتب الثقات تتصل بانك تموه بمعاذيرك • وتشبه باساطيرك •
وترد باخبار قبيحة لم يقرع لها سمع • ولم يشتغل بها ذرع • فامرت بورود
الباب كما سالت • وبلغت ما املت فوصلت • وقد اغضي عن معايبك
وغطي على مثالبك • واعرض عما سابه ظنك كنهها • وعوضت عن
كبائر ذنوبك عفوا وصفحا • واعفيت من مؤاخذتك باجرامك • ونسي
ما تقدم من آثامك • واريت ما لم يجل في ضميرك • ولم يكن في تقديرك •
واوليت من الجميل ما لم ترق اليه مطامح همتك • ولم يتسع له مجال فكرتك •
وشرفت من الخلع بما ضاقت ارجاء رجائك عن نيل بعضها • واعطيت
من نفائس الاكرام ما انقبضت يد الزمان عن قبضها ونقضها • واهلت
لاعالي المراتب والرتب • وانزلت منازل الاشراف والاقارب • ورفعت
من حضرة الامامة الى الطف مكان • واوضعت بعد انواع الكرامة
من ارفع بنان • وزدت من جلالة الترغيب والترحيب • ونفاسة التقريب
والتلقيب • بما لم تكن لاقتراحه تواقا • ولم تنهض باثقاله جوارحك
وظفرت من تضعيف اقطاعك بما انفسح عنه فوتك • وتكاملت
سير منتك • وخرجت بامل فسيح • ومتجر ربيح • وسعي نجيح • وسعد رحيب
وقدر مهيب • تخدمك القبائل والعشائر • وتعظمك القبائل والعمائر •
وتحمدك ملوك الارض قاطبة • وتقصدك وفودهم راغبة
وراهبة • فاشمت بارقة الشام • حتى عدت على عادتك القديمة واستمرت
على هيئتك الذميمة • وارخيت طول فاتل حبالك • واثنيت سالك
اكنافها السبل • واضرمت بها الشعل • وحركوا من الفتنة مناكبها • واثاروا

ما جاءني الى دخول الاسباب • وتمنيت الموت فيما يعلمه الله ولكل اجل
كتاب • ثم ابتليت بقوم كلما رأوا شخصا ظنوه ركبا • وكلما هبت
ريح تفرقوا فرقا ورعبا • وكلما رأوا شيئا هموا بالهرب • وكلما طار طائر
اخشوا البوس المنقلب • هذا ومعهم من الخفراء والادلاء بضعة عشر نفرا
كانوا يزعمون انهم وجوه القبائل وفرسان القنا والقنابل في البادية مثنا
ومنقلبهم ومرعى منتزههم ومطلبهم كانهم الصقور فوق الاوكار • والغربان
في حدة الابصار • اشهر من الكواكب • وامضى في مقاصدهم من السهام
الصوائب • واصبر على الظماء القامح من الضب في الفلا • واهدى الى
مظان الماء من القطا • لم يفصلوا عن صوتهم في فم الظلام • ولم يجوزوا غطيطهم
في معظم القتام • فلم يتقدم منهم الى المناهل فارط الا تحقق ان يوخذ و
يسلب • ولم يبق منهم الى المراعي رائد الا ايقن ان يكبس ويحرب • الى
ان سهل الله لنا الهجوم على حال اشرفت منها الى ارض الغري • وتشوفت
فيها الى زيارة قبر الوصي امير المؤمنين علي • ووصلت في بقعة تغبط الملائكة
زوارها ومجاوريها • ووصلت الى تربة طال ما تشوفت لاشتياق زوارها
واسترحت من التعب • وامنت شدة الرعب • وعلمت ان الله تعالى ذكره
وتوالى شكره • لم يختم لي بجميل صنعه ودفاعه • الا لما زودنيه سيدي القاضي
من سعادة وداعه • ولم يخصني بالنجاة بهذه السعادة الجليلة • الا لما صحبنيه
سلمه الله من دعواته الجميلة • ولم يخفف عن قلبي ثقل البرح • الا لما اعتقد فيه
ايده الله من حسن النية • لا عدمه الله في جميع احواله السعادة والاقبال • ولا
سلبه العز والكمال بمنه وعونه • وعلقت هذه الاحرف من الكوفة والحجيج سلمهم الله بها
في يوم عظيم واستوعرني على ان اسبق حيري واخفي ازري • وادخل بغداد مستترا
واقيم بها منتظرا حصد الحجاج • ومنتظرا اتصال من تخلف منها قبل ان تتصبب الجداول
وتنثر على بها من امطارها العوازل • واقطع منها المسافة بعون الله الى الري معتسفا
واذا استقرت بعد هذه الاحوال بي الدار • وساعدني بما اريده المقدار • طالعت
حضرته بشرح الاحوال ومجاري الاعمال • ليقف عليها ان شاء الله وبه الثقة

الباب الخامس في ملح محمد بن ابراهيم المتوفي ببلاد الديلم كتب من [illegible] الى الري اليه

كتابي اطال الله بقاء الشيخ من جبل شهريار بحمد الله بعد سفر وقد شدني على الصبر وطريقه
وتحكي الدهر على حالة الشيعة وغادرني بها [illegible] منازل النبي • ودعاني سهم

ودعاني سهم

كابنها • والنت لهم عريكتك حتى ركبوا مراكب البغي • وذهبوا مذاهب
الغي • ولو شئت لكانوا لك من قيادهم • وزممتهم عما اصروا من افسادهم
لشدة ذوي سياستك • وعطفت ألسنة الشانئين بك منك • وكبت
جيل الذكر لك • وحافظت على موضع الثقة منك • وابديت للقاح
في جاهك انك للدولة موال في مقال • والى ارشاد مصالحها سابق
غير تال • لكنك رضيت باعمالهم فسكت • وشاركتهم في خبالهم
فامسكت • حتى جسروا بعد جبن • واقدموا بعد عجز ووهن • وانهم
كانوا من القاعدين • وخيبتهم وكانوا من الراقدين • وجسرتهم الى
في سرة المملكة لم تطمع عبدة الصليب بالوصول اليها • ولم تطمع ملوك
الارض بالهجوم عليها • وما زالت من قبلها تظهر الموادعة • وتضمر المحاربة • وتبدي
الموادعة • وتخفي المقاطعة • وتبدي المصالحة • وتنشر المكاتبة • وتري المسالمة • وتبطن
المزاحمة • حتى خلا لها الجو • وتدرجت بجندك في قلبك وفرحت فاستبيحت امصارها
وعطلت بقاعها • وخربت ضياعها • واستبيحت كرائمها • ونهبت مغانمها • وهدمت
مساجدها • وعفيت مشاهدها • وقتلت رجالها • واستحلت اموالها • واخليت
اسواقها ومنازلها • وجعلت اعاليها اسافلها • وسلطت على المستورين منها كل
كافر • ومارق فاسق • حتى سفكت الدماء • وهتكت النساء • ونقلت ثوابت
فقهائها الى سفهائك • وابحت ثمر دعاتها لدعاتك • فبئس ما يأمركم به ايمانكم
ان كنتم مؤمنين • فلا ورب خفت • ولا للذنب اقفت • ولا من فعالك
استنكفت • ولا المروة عرفت • ولا على مظلوم رأفت • ولا قبح الاحدوثة
عفت • ولا من نفسك انصفت • ولا دون الغاية في الظلم وقفت • ولا في
عقوبتك فكرت • ولا يوم وقوفك بين يدي الله تذكرت • ولا استحلالك
محارمه انكرت • ولا النعمة عندك شكرت • اتراك ان لو عبدة الاصنام
وجحدة الاسلام ملكوا تلك الديار • وجاسوا تلك الامصار • هل كانوا
يبلغون من هتك محارم الاسلام بعض ما بلغت • ام يستحلون لاخوانهم
واصحابهم من الفواحش العظام جزءا مما سوغت • ام يأتون من الجرائر شطر
ما اتيت • ام يستبيحون من الحرائر واحدة مما سبيت • ام يجترحون من السيئات
شيئا مما اجترحت • ام يجيئون من السيئات مثل ما جئت • ام هل فعل الزنج
باهل البصرة • ما فعلته باهل الرملة • ام هل فعل اهل بلاد الروم باهل البلد

الاصناع جمع صنيع وهو الاحسان

٧

ما احلقته من النكال والمثلة • أيحل لمؤمن يسمع بهذه الخطة الشنعاء التي لا
يسعها من يؤمن بالله ورسله • ولا يستقلها من يخشى في المعاد جزاء عمله •
ولا يستصغرها من يتحقق انه مسؤول عن اعماله • ولا يستصغرها من يتيقن انه
غدا الى الله موكول • ان يقر في مكانه • ولا يتغص السلابين من اخوانه • ويهنا بطعامه
وشرابه • ولا يجزع في طلب الثواب من اهابه • او يتخلف عن مطالبة اوليك الاوغاد
بدما الاطفال • واستنقاذ بنات الاشراف من ايدي الاجلاف • ام هل يسوغ
لمسلم يبلغه هذا الخبر الشنيع • والنبا الفضيع • ان لا يجفو عن مضجعه جنبه
ولا يرقى لحتم قلبه • كلا بل دون هذه المصيبة الفادحة في الاسلام •
الفاضحة للحكام • الطاردة للاحلام • الجالبة للاثام • المزيلة للاقدام • الباقية
على الايام • ما يذهل الالباب • ويقطع الاسباب • ويشيب رؤس الولدان •
ويميت نفوس ذوي الايمان • لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد • متاع
قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد • قد غرك لعمر الله الامهال والاهمال • ودس لك
الابقاء والاغفال • وزد عالك البطر • الى مغالبة القدر • ووعدك الامل
على مناصبة الاجل • احسبت انك اخذت البلاد بيدك • ام فتحتها بايدك
اظننت انك لما غنمت سلبت • وبعد ما نهبت امنت • وان الزمان اعطاك
كتاب امان • والدهر ذل لك بعد شماس وحران • والايام ساعدتك • والليالي
اسعدتك • ام قد ظننت انك غير ماخوذ بمظالم العباد التي سود الله بها
صحائفك • او غير مسؤول عن المحارم التي انكر الله فيها مواقفك • وان عواقب
البغي لا تصرعك شرقت ام غربت • ومخالب الظلم لا تعلقك طلبت ام هربت
وان عين المظلوم لا تلحقك صعدت ام صوبت • وسيوف الحق لا تربك
قعدت ام قربت • لقد كذبتك نفسك • والله ما بينك وبين الخذلان
الا بمقدار ما ينفذ امير المؤمنين من اتابك • وينيأس من اجابتك • ويعرض
عن اقالتك • ويبرم بفرط تكوثك واستمهالك • ويبهت بجميل الثنا
وتشيع شنيع اخبارك في البلدان • وينزع عنك ما البستك من ملابس
الافتخار • ويرتجع عنك ما اعارك بيد الاستقامة والانتصار • ويحقق
من اعوانك عظام • واو ضحت من اموال الناس حرام • انك مغضوب عليك •
ومسلوب ما في يديك • وان كان اقرب الناس اليك نسبا • واوكدهم
لديك سببا • ويرى انه مقصود كيف سريت وشرقت • مطلوب

حيث صرت وطرت • وان تلاعبت بك ايدي الصغار • ودارت عليك
دوائر الاغترار • وامتدت اليك اعناق الادبار • وطلبتك خيل
المهاجرين والانصار • وان العزائم الصادقة مصروفة الى اقتناص صيدك •
والاستعداد عليك مضروبة دون خادمك • حتى يضم عنان طرفه •
ويقصر فيك اطرافه • ويظهر فيك خلافه • ويصير لك حربا • وعليك البا
فيه وسنانك بقدميه • ويتبرأ منك خوفا على دمه • فاين المفر اذاً من الله
جلت قدرته وقد سخطته برضاه كل حارب ذاعر • وعصيته في طاعة
كل ناعق في الفتنة نافر • واي عذر لك عند ربك وقد هتكت الحرم • وسفكت
الدم • وكفرت النعم • واهلكت الامم • وما تقول لمولاك الذي آواك وكنت
شريدا • واوناك وكنت بعيدا • واغناك وكنت فقيرا • واعلاك وكنت حقيرا •
وقواك برجال حتى لانت اخادع الايام لك • واعطاك من اموال ما جاوزت
فيه املك • واوطأ عقبك • وقد ملك على من تقدمك في الحسب والنسب •
واين المهرب من الليل الذي هو مدركك • والسيل الذي هو مهلكك • ان رحلت
تبعتك تبعات المسلمين فقصرت خطاك • وان نزلت ذلت بك قدمك
بما قدمت يداك • وان اغربت فمغرور مغلوب • وان انجدت فمجهود مكروب •
وان غربت غربت شمس اختيارك • وان شرقت شرقت بغصص اوزارك • وان
نمت طرقتك طوارق السيوف • وان انتبهت ارهقتك صواعق الحتوف • وان
شربت تصورت لك في مشربك آثامك • وان اكلت اخذ بمخنقك طعامك •
فلا ملجا • ولا وزر • ولا منجا • ولا معتصم • وكيف وقد اخطات مقاصدك •
وتخطيت مراشدك • واسرفت في ظلمك • واجحفت في حكمك • فلا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار • الم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار • لقد من
عليك امير المؤمنين مرة اخرى • وذكرك بهذا الكتاب ان نفعت الذكرى • وبلغ
في الابقاء عليك الغاية القصوى • وحذرك نكال الاخرة والاولى • ودعاه وفرط
شفقته على خدمه وعبيده • وحسن ثقته بربه في تمهيد ملكه وتشييده •
الى الانذار قبل الانتصار • والاعلام قبل الانتقام • وقلدك البغي بما انت
بسبيله آخذا بالادب الموروث من آبائه • ومستعينا بالله على اضداده واعدائه
فان ذهبت للتوبة والانابة فلا تقنط من اصلاحك • وان عدت عنها رأيت

سوء صباحك • والسلام على من اتبع الهدى • الرسالة ... التام ونسب ضيافها في الوعد والوعيد وهي من رسائل ... بن جماع

فقال النعمة من اراد ان يرتبطها بقنا مستقيمة • ويضبطها
عن التحول والتنقل سليمة • ويحبس لديه جمالها لئلا ينقص • ويحرس
عليه ظلالها لئلا يتقلص • اطلاق عنان الشكر لوليها حتى يجري رهانا في
مضماره • وانطلاق لسان التحدث بها ليتصرف على حكم اختياره •
ونشر محاسنها ليتضوع نشرها ويفوح • واظهار ما بها ليلمع
نورها ويلوح • واستدامتها بالذكر الجميل لتصفو خالصة من الشوائب
والشوائب • واستقامتها بالحمد الجزيل لتضفو عليه عارية من المعايب
والمعائب • واستشعر طاعة المنعم بها حيث سار متصعدا ومتصوبا •
واستمسك بحبالها كيف دار مبعدا ومتقربا • واعتقد وجوبها
مثريا ومقلّا • واعتقد فروضها استقلالا لها ومدعا • واتقا بان
الشكر ادب من الامر وتذكر اليه • وامر عظم قدره وحث عليه • و
سبب للزيادة • وطريق الى السعادة • ومفتاح يفتح ابواب النجاح • ومصباح
يستصبح به في المساء والصباح • وجنة من سهام الادبار واقية • وغنيمة على اختلاف
الاحوال والاعوام باقية • وفضيلة تشاد بامثالها المحبة والاجلال
اليها • ومكرمة تناخ ركائب الثناء والاطراء عليها • فاما من قابل انعم وليّ
نعمته بكفر وجحود • وعارضها بقنوط وكنود • وستر وجهها بسجف اغفال
واهمال • ونظر اليها بعين استحقار واستقلال • وغطى عليها انفة منها
واستنكافا • وسها عنها ازدراء بها واستخفافا • وطواها فلا ينشر
صحائفها • والقاها نكرا معارفها • وتناساها وهي في العالم مذكورة
واخفاها وهي فوق الاعلام منشورة • وتلقاها بحيي يده ظلم
الخدع والريب • وغدر بعقده في القطع والكذب • وتبرّم بها تبرّم من
جهل قدر نعمته • واعرض عنها اعراض من استشعر بغضا حدسه وفساد
حسه • وسئم سآمة من تبطره ناعمة صباح • ورافعة رواح • وغرته
رباح ثروة لا توذن بصلاح • فقد صد عن سبيل الباري وقصد
لغلب الدنية • واعرض عن رضى الاله وتعرض لسخط الرعية • وامتنع من طاعة
الله وتوحيده • وخلع ربقة الايمان عن جيده • واتبع الشيطان برجل

معرفي بلاد بني خلف • ويدأب في صاد من الغواية تجاوز واطلاق •
وضل من المنهج الأرشد • والمسالك الأقصد • معجبا برأيه الذي يقوده إلى
شقائه • ومغترا بالطاعة التي تؤذن بانقلاعه • والانقياد لزمانه الذي
يؤمنه بامتحانه وامتهانه • ومائلا مع آماله التي تسوقه إلى أوحاله ولوجا
ومنقلبا من سنن الحق على عقبه • لينشب في حبائل عقابه وعطبه •
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين •
وقد جهلت ولا يقال علمت ما كان من جميل صنع الله جل ذكره لك وجزيل
عنايته بك • حين أخرجك من ذل الإسار • إلى عز الإيثار • وخلصك
من أيدي الأعداء • إلى أيدي الأولياء • وعوضك عن ضنك محبسك
رحب مجلسك • ونقلك من ضيق كبولك وقيودك • إلى محل إقبالك
وسعودك • وأسلاك من الوحشة في مكانك • إلى الأنس بإخوانك •
وأزالك من شرف أشرفت فيه على حمامك • وتمنيت الموت فيه عند قدومك
وقيامك • إلى أحبتك وحبائبك • وما نيت الذي لم تحتمل به في سبيل
وشاهدت كيف كان دفاع الله عنك حتى نفك وثاقك • وتنفس خناقك
وتيسر انطلاقك • واتسع عليك نطاقك • ورأيت كيف نصرت على الباغي
عليك • وظفرت بالساعي إليك • وكيف أيدت حتى انتقمت ممن نكث يمينه
وعهده • وكيف أسعدت حتى جازيت من تجاوز في الغدر حده • فلو
انتفعت بما وعظتك به الأيام في تقلبها • واعتبرت بما دلتك عليه
الأحكام في تبدلها وتصعبها • وتأدبت بما أراك الملوان من عجائب
تذهل منها العقول • وتهذبت بما يتهذب به الفاضل لا المفضول • ووعيت
قول الله سبحانه حيث يقول • وإذا مس الإنسان ضر دعوا ربهم منيبين إليه
ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون • لجعلت الشكر لله تقدست
أسماؤه أمام أفعالك • والتوكل عليه زمام أعمالك • ولما بعت آخرتك
بدنياك • ولما زلت عن مقادم الطاعة قدماك • ولصنت عن سوء
الاعتقاد ضميرك • ولحاد عن سبل الغدر والفساد جفيرك • ولخلصت
في الوفاء سريرتك • واستحصدت في الولاء مريرتك • ولحسنت في آثار
الخير آثارك • واشتهر في بحبك أحمد مرجاك وعثارك • لكنك نسيت
صنع الله الذي أولاك حين توالت عليك من المحن رغائب • وتولت عنك

من الردى كتاب • وذوت سحب اموالك • وكثرت شعب آمالك •
ووقف عليك من الاقبال نسيم • وانصان لك بعد الابتذال حريم • و
تمهدت لك فرش السلامة فانت عليها تتقلب • واستملت قلوب العامة
حتى تهاب ولا تتهيب • ونبذت طاعة مولاك الذي اولاك • ما اقتصر
عنك من بعضه ومناك • فاصبحت تسر بنفاقك وبوفاق تظهره •
وتستر باطلك بحق تجاهر به وتشهره • وتغطي على عصيانك بشعار الدولة
تقلبه وتقلبه • وتوري عن عداوتك بتقربها الى الدعوة لا تصدق
فيه ولا تحسنه • وتبني عن اخلاصك برسائل تدل على تحرص وكذب
وتمنع من اقتناصك باحاديث لنت بشيع ولا غرب • كانك لم تدرك
امير المؤمنين علم اوائل امرك واخره • وعرف باطن مكرك وظاهره • وتحقق
ماكان منك حين دعوت غيرك الى العناد والنفاق • وما القته على شق
العصا والشقاق • واستحثثت من استثمار الخلاف ما كان [illegible] ك
استلكت الى ما في باماله لا تحب الارجحا • وخدعت مخاليك بايمان فاجرة
اظهرت لهم بها انك تنصح نصحا • وانما كدحت لنفسك كدحا • وادعيتهم فيها انك
تري لغداة فاجرة لهم رشدا • وانما سعيت في مصالح احوالك سعيا • وموهت
عليهم بالاباطيل زعمت بها انك تريد بها عمارة احوالهم وانما اردت خرابها •
واوحيت اليهم باقاويلك ذكرت انك تحب غزارة اموالهم وانما اجبت ذهابها •
وانتهابها غير عالم بان الله سبحانه مطلع على سوء خلتك وتعطيلك •
وفساد جملتك وتفصيلك • وانه قادر على ان يعيدك الى شر ما كنت عليه
من مقاسات ضر وذل • ومعاناة جامعة وقل • وتحمل هوان وحبس • وتجرع
خذلان ونحس • ثم اقرت بنائل رانك • وتجردت لمعادات اولياء الدولة
بظاهر تهديك واعتدائك • وطفقت تستبيح بلاد امير المؤمنين
بكلاب جمعتهم الاهوا الفاسدة • والاراء الشاردة • ونفيتهم الاسدة • والنيوف
الفاصدة • وجلبتهم لخدائع والمطامع • وتجيدهم البيض القواطع والسمر
الشوارع • وتقتل رجال دولته صبرا غير مشفق على احد • ولا خائف تبعة
قصاص وقود • وتستولي على حصونه وقلاعه القائمة لوصلاتك وفرعك •
الحربة لحالك وربعك • المغرقة لجندك وحماتك • الاخذة ببصرك
وسمعك • مقررا انك اخذتها وملكتها بشدة ذراعك • او تطاول

باعلك • وانا رفتها بحيلك وانواع خداعك • مُطرحا الحشمة والمراقبة •
وغافلا عن عاقبة المعاقبة • وسايرا في رعاياه وبسيرة الكفار ضار باعلى
مثالهم • ناسجا على منوالهم • تهلك سليمهم وسقيمهم • وتستخرج مهم
وتحريمهم • وتستاصل طاديهم وغاديهم • وتستاكل قاصيهم ودانيهم • وتحكم
في اموالهم واولادهم • وتحتجم على اذلالهم واهتاكهم • وتاثر اتباعك اولياء
الشيطان • واشياعك ابناء الزهيان • بشن الغارات في السبل على السوابل
وقطع الطرق على الرسل والقوافل • واضرام نيران الفتن واشعالها •
وارسال طلايع الاحن على ارسالها • وتطلق ايديهم في تخريب الممالك ثم تفا
وتغزيها • وتاشيب للسالك بتغيبها وقربها • حتى جلو الناس بمفارقتهم
عن مقارهم • وابعدوهم بعدوانهم وطغيانهم عن اوطانهم وبلدانهم • وغص
شوبهم الشام • وعم لومهم الاسلام • فاردوا منها الامن كنانتك • وما حلوا
خطانا الاخزانتك • ولو اثاروا كابن فساد الا وقدحوا فيه زنادك •
ولو اثاروا باطل محاولة الا خرطوه من قتادك • واتقدوا فيه عنادك •
ولا سلبوا ضعيفا الا البسوك خزيه وعاره • ولا دركبوا ضعيفا الا الزموك
اثامه واوزاره • فقد تخلعت في اختناق الغدر عند هم وقويت في هدم قواعد
الدين سواعدهم • وضعفت في حاية حمى عقايدهم • وامنوا مكر الله ولا ياس
مكر الله الا القوم الخاسرون • وعند ذلك كانت مخالفتك بل مخالفتك •
تحثهم على المجاهدة بالفسوق • وتحثهم على المظاهرة بالعصيان والمروق •
وترخم ان الايمان التي في اعناقهم متى ما حنثوا لا تفسد ايمانهم • وان البيعة
التي تقلدوها متى ما نكثوا لا تهدد اركانهم • مستخفا باليمين • مكذبا بيوم
الدين • مفتريا على الله ورسوله • متبريا من فروع الدين واصوله • مستحسنا
الشريعة مظهر البدعة • فاتلا بضلالك وغلوائك • واصلا حبالك
غرورك بحبالك • الى ان علت فيهم دقائق سحرك • وتمت عليهم طرائق
ختلك وختنك • واصغوا الى اقوالك التي طالما دنست بها اعراض الجهال و
طعنوا بضروب محالك التي كثر ما دنستها ولبستها على الاغمار الاغفال • فش
اليهم بحزب الشيطان • واخاب البلدان الذين استشرى عليهم الخوف واستولى
عليهم الشقاء والحرب • ثم من تفسيك انك سارعت الى مساعدتهم ومساعدتهم
وانما رمت لمكايدتهم ومطاردتهم • وتظهر انك بادرت لاعزازهم وانجادهم

تأشيب الثورة الفرنسية

وانما تكلفت ذلك لاذلالي انجادهم ، ولكن عزمتك فيما فعلت ، ومرادك
ما عملت ، فيران تجلس غدا في نوادي العرب بين زعماء عقيل ونمير ودرما
كلب وقشير ، ثانيا بعطفك ، مفاخرا بانفك ، مفتخرا انك جست خلال
ديارهم فدوخت القبائل بخيلك ورجلك ، وقسمت الغنائم دونهم
على عشيرتك واهلك ، ووطأت باعقاب رجالك رقابهم ، ودست
بحوافر دوابك اصلادهم ، وخربت ضياعهم بايد الكفرة الذين حشرتهم
حواليك ، واستبحت كرائمهم مع الاكرة الذين حشدتهم اليك ، واستخففت
عربا اعزهم ، كانوا اقدم منك نفارا ، واوثق عضدا ، واصح ذمما ، واكثر خولا وخدما
واكرم اصولا ، واوفر عقولا ، واكبر نفوسا ونفاسة ، واجل اقدارا ورياسة
واوسع جفانا ، وارفع نيرانا ، واشد ضرابا وطعانا ، واسمح في الازل
والمحل بنانا ، واعز احلافا وجيرانا ، واعظم مكانة وامكانا ، ولو عرفوا
مكنون اعتقادك فيما فعلته ، ووقفوا على باطن مرادك فيما اجترمت من
نفسك وبذلته ، لبعد عليك يومئذ ان تستاف ترابها ، فضلا عن ان
تذل اصحابها ، وترى هشيمها ، فضلا عن ان تستبيح حريمها ، وترد ماءها
فضلا عن ان تسبي نساءها ، وتسوق بقرها وشاءها ، ولكن نفقت
عليهم زيوف كلامك ، ودبت فيهم صنوف سنابك ، ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا
خزي وفي الاخرة عذاب عظيم ، فيا ابن مرداس حدثتك نفسك
لما امتد امالك وامهالك ، وتشعبت احوالك واعمالك ، وطال اعراض امير
المؤمنين عن معاجلتك بالعذاب الاليم ، ومقابلتك بما استحققته من التعنيف والتقويم
ومطالبته بما جنته يداك من العظائم التي لا يحل لمسلم ان يغضي عنها ويغمض ، ولا يسوغ
لمؤمن ان يترك جهاده عليها ويرفض ، ومحاسبتك بما جنته من اموال ، ومعاقبتك
على ما سفكته من دماء رجال ، انك من المنظرين ، او امنت سوء عاقبة صباح المنذرين
ام حسبت ان كبائر ذنوبك التي اشتهرت برا وبحرا مناحيها ومخازيها ، وانتشرت
سهلا ووعرا فضائحها ومساويها ، منسية ، او ان قوارض عيوبك التي انكشفت للعرب
والعجم مضارها ومعارها ، وعرفت في السهل والحزن انباؤها واخبارها ، مطوية
او قلدتك ما امنت من انتسافك واختطافك ، ولو كان فوق السماكين مسكنها
او البحار قاطعة عن اجترافك واختطافك ، ولو كانت الافلاك فلكها ، والذين

دمتهم من اوبائن وجوع • وكسوتهم من عري واطعمتهم من جوع • افلا تحققوا
انك الغيت ردآء الطاعة عن منكبك • وركبت ركوب العصاة العتاة
في موكبك • وان امير المؤمنين صرف في طلبك همة لو دار بها الفرقدين لاخذ
وجرد في بابك عزمة لو طلب بها الخافقين لحواها • وان العساكر المنصورة قد
انفقت على استعدادها • والبواتر المجرورة قلقت في اغمادها • وان الخيول اليك
نوازع • والرماح نحوك شوارع • وجنود الاسلام وسراياهم تحالفوا على ان لا
يقفوا دون لقائك • وتبايعوا على ان لا ينصرفوا من ورائك • ولو خلت
من الارض في اضيق وجار • او رحلت في بلاد الله الى ابعد دار • او هل توهم لا
يقتلونك وانت اليهم بسمة العصاة ماض • ام هل لك ارض تقلك ورق
تحتك عنك غير راض • ام هل مسلم لا يود ان يكشف الله على يده الظلم والغم
ويريح من اضرارك واوضارك الامم • ام هل جميع من جمعتهم طامعة لا يتشوقون
الى اصطيادك واستلابك • ولا يبيت دون من عظم ثامنك واجوابك • ولا يتبرع
بتسليمك الى من ادام بين فقر • واغناهم من فقر • وصانهم عن تبذل • واركبهم
بعد طول ترجل • وجندهم وكانوا رعاة • وكساهم وكانوا عراة • واكثر عليهم مائدة
ثلم احوالهم • وجاوز حدود امانيهم وآمالهم • فان والعياذ بالله • اخلفوك
ظن امير المؤمنين فيهم • وقابلوا النعمة مع جلالة اخطارها • ونفاسة اقدارها •
عندهم بما يفضحهم ويخزيهم فلا طمع اذا لاحد في اصطناعهم • ولا فائدة في تخريجهم
عند من كانوا اجناسهم • وكيف يهابونك ويحتشمونك • ام يجلونك ويعظمونك
وهم يعلمون يقينا انك اذا رفعت عنك جواري الانعام • ونزعت عنك ملابس
الاحسان والاكرام • وهبت اعصار الاغيار والادبار عليك • ونظر بعين
الاستصغار والصغار اليك • وتحاسن جريدة الامارة والزعامة اسمك
ومحي من صحيفة الاولياء والادنياء رسمك • وانحطت من مراتب ذوي
الاختصاص رتبتك • وسقطت بين العوام والخواص هيبتك • فانت
كواحد منهم ان فاضلتهم في طبقات اولي الغنا لم تفضلهم • وان ناضلتهم في منتهى
الرياة لم تنضلهم • فلا يسول لك شيطانك انهم يعادون الدولة المنصورة
في موالاتك • ويحتملونك ان امرك عليهم والحاجات اليهم على علاتك • او يؤثرونك
على مصالح انفسهم ونفوسهم • او يختارونك على احتلاد من اوطانهم ومساقط
رؤوسهم • او يجاورون منك لتبيحوا لجاوريهم نساءهم واولادهم • او يتبعونك

في مهديهم ليملكوا المشركين مقادهم. هذه ان غرتك نفسك فراسة ولكنها
فاسدة باطلة. ومخيلة ولكنها كاذبة زائلة. حيث ما ترى العصبة العادية
والكلاب العاوية. والفئة الباغية. والطائفة الممتدة في الضلالة
المتمادية. اولياء الدولة وعبيدها. وابناء الدعوة وجنودها.
متعطفين عليك. ومحلين بانعم الملك. وترى الرايات المنشورة خافقة
والالوية المنصورة بالظفر ناطقة. حتى يخفق قلبك. ويجب روعك
ويشتد روعك. ويتجدد جزعك. وتكوى نفسك. ويضيق
انفسك. ويخذلك حفيظتك وحسك. ويأخذك اقرب الناس
منك تشاورا وتحاما. واوثقهم عندك ذماما ووفاقا. واشدهم تحننا
عليك. واكرمهم تحببا اليك. ثم تنظر كيف تداوي آخر دوائك بكي
وتجازى على ما اسلفته من جهل وبغي. وهل يجازى الا الكفور. فتنبه
من رقدتك قبل ان يزيد داؤك. ويريك سوء فعالك ما فيه
شقاؤك وتناؤك. وافق من سكرتك قبل ان تحبطك الايام بغشم
وتندم ولات حين مندم. وازح الغشاوة التي اظلم منها قلبك وبصرك
والغباوة التي تولد منها ازلك وبطرك. واستقص النظر. واستبر
السير. لتعلم كيف كان عاقبة من كان قبلك ممن هدموا اركان
ائمتهم بغيا. وقتلوا ابناء اذ ربائهم بنكث وخبث. وسعوا في الارض
فسادا. واعتقدوا في الدين الحادا. واستولوا على ولاية ولاة امورهم
واستهوتهم الشياطين بخدعهم وغرورهم. وملكوا الحصون والقلاع
واخذوا الضياع والرباع. هل بقت الايام لهم مجدا او رفعت لهم
صيتا وعزا. او هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا. هيهات.
وايم الله ان الباطل وان طال مدده لزائل زاهق. وان الحق وان قلت
عدده لثابت ماد وشارق. وان الائمة الذين استرعاهم الله امور
خلقه فارضه. واتمنهم على اسرار حقيقته وفرضه. وفوض اليهم تراث
الرسالة. وافاض عليهم لباس العز والجلالة. وان عرض لهم في بعض
الاحايين ما يشغل قلوبهم. ويلوح مطلوبهم. ويلجيهم الى ممارسة
الاهوال. او يحوجهم الى مداوسة صعاب الاحوال. او يحوجهم الى
معاناة خطوب القتال. فحوزتهم ابدا محمية. وبضعتهم مرعية. ولقيتهم

والفضل . والذكاء والغناء . والاستقلال والاحتمال . ما لو استعمل
بعضه لصار مُبَرِّزا . ولو تظاهر بجزء منه لما وجد لحاسد فيه مغمزا .
وفقه الله لطاعته وليه ورضاه . ولا سلبه الفضل الذي كساه وحباه .
بعينه وامره وعونه . وحرسه على مستأنف الايام بحلمه . وبلغه امله .
بلطفه وعطفه . وقد كان من البر ما يلزمني واد في ما تقتضيه
الحال بيني وبينه في المجالسة والموانسة . والمحبة التي استحكمت
بيننا فصارت قرابة . والمعاشرة التي حسنت فلم تخلق بها معابة .
ان ابادر الى الحضرة المقدسة واشاركهم في اقامة حقوق التعزية
بكرة وعشيا . واساهمهم في احتمال الفجيعة وان كان لا يغني شيئا .
ولكن العذر في هذا الباب لا يخفى عليه . وتحقق باني ان تاخرت
عنه فقلبي لديه . وانا متطلع لما يرد علي من كتبه مشتملة على ذكر ما اتاه
الله من الصبر الذي لا يحبط اجره . والجميل التي يبني عليها امره . لاسكن
اليها . واثق بها ان شاء الله وبه النعمة وله الى الشريف القاضي نقيب
ابي الحسن محمد بن الحسين كتب اليه من طبرستان

مضى لي زمان لو اخيرت بينه . وبين حبوتي خالدا ابد الدهر .
لقلت ذروني ساعة وحبيبا . على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري .

كتابي اطال الله بقاء مولانا الشريف الجليل وادام دولته وسناه .
وكبت اعداه . من بعد . وقد طالت ايام بعدي عنه حتى حسبتها
دهرا . وانطوت احشائي على شوق الى الحضرة الشريفة احسبه
جمرا . وايام الفراق طويلة وان كانت قصيرة . واعداد الشوق
كثيرة وان كانت يسيرة . وقليل قذاة العين غير قليل . والصبر
الجميل على بعاد الاخوان غير جميل . والكريم يتلهف على مفارقة
صاحبه حسب اعجابه كان بقربه . ويتشوقه في حال بعده على
مقدار موقعه من قلبه . وكيف يكون حال العبد اذا فارق مولاه .
وبان من عنده كمال دينه ودنياه . وفقد من هو مفقود النظير
ادبا وفضلا . وعدم من هو معدوم المثيل فرعا واصلا . واعرض
عمن اقبلت الدنيا عليه وهو معرض عنها . ورغبت في التشرف بمكانه
وهو زاهد فيها . وغاب عن يتاسف انس على بعدها عدمة لما فاته

معمورة • والويتهم منصورة • واكناف عزهم مضبوطة • وساحة دولتهم محوطة • و
اسباب سلطنتهم موصولة • واطناب قدرتهم مجدولة • والله جل اسمه بنصرهم
متكفل • وبتأييدهم متفضل • ولبسط ايديهم ضامن • ولاعاديهم ومعانديهم
لاعن • فيأمن ازلف • ليتيقن ان امير المؤمنين لم يأل نصحا • ولم يطوعك من
التذكير والتبصير شرحا • ولم يرد ان يغلق باب الصفح ان رزقت الاستصفاح ذو نلك
اولويت من مراجعة الحق وكونك الى الطاعة وسكونك • وقد هداك الى رشدك
ان اعانك التوفيق • ودعاك الى التوبة من قبل ان يسد عليك الطريق • فان
نزعت بعد الاعذار والانذار الى امتثال امره • تقدم مشهور مكارمه • وان
استعددت بعد الابقاء والارعاء من نعمته • شامل رحمته • وان ضرب
الشيطان بينك وبين الانابة بالاسداد • وسد عليك الخذلان ابواب الرشاد
والسداد • اوردك موردا ما عنه صدر • وتركك لا يبقي ولا يذر • وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • **الى بعض اصدقائه من الاشراف في
المعاتبة** فارقني الشيخ الشريف الظريف ايده الله وان كانت وحشتي لفراقه غير بارحة
وما عندي في فرحه بسعادة كل بارحة • وتركني وانا اطول ليلي ارعى الكواكب • واروي النجائب
واذكر من محاسنه خلائقه • واضرب بذكائه واستبقاء حقوق وفائه مثله • واصف
من اخلاقه الرضية ما يطرب كل سامع • ويعجب به كل بارع • ويحمده عليه كل من
ينزل من الشرف على شرف • ويتعلق من البراعة والظرافة بطرف • واعلو في اجتماع
اثره • واذكر ما سارت به الركبان من جميل سيره • حتى خشيت عاقبة الانقطاع • وامنت
مخافة الاجتماع • وصل علي ما فاق ان امدح من اصبح بزهى النسب والادب محلى
واعظم من يعتزي الى بيت كان للوحي مهبطا ومحلا • واجل من حوى الجلالة من جميع
اقطاره • وفاق الاقران بجميل مآثره وآثاره • لا زال من النعم في اخصب جناب
وارحبه • ومن السعادة في اطيب عيش واعذبه • ومن العز في لباس لا يبلى
ولا ينتقص • ومن الاقبال في ظلال لا يزول ولا يتقلص • ولا سلبني الله الانس
بلقائه • والتبرك بطول بقائه • منه وعونه • الشريف الظريف ايده الله لا زال يذكر من
اوصاف الطعام ما يبعث كل شهوة خامدة • ويلهب بلذيذ نعته كل معدة باردة •
جامدة • ويدعو الشبعان الى الطعام حتى يجعله نهما • ويتقدم من غرائب الالوان ما
يترك كل جائع تخما • ويجد لصوت الاضراس في اذنه من اللذة ما يجده شراب العقار
من نغم الاوتار • وترنم الجراد في الاوتار • والوقود من برد الفؤاد عند ذلك النار

63

والكرمُ من الذنبِ عن مجاز • وازالة الاعسار عن الاحرار • والممدوح من
سماع حديثه يوم الفخار • حرصًا على ان تستنفر الناس الى دعوتها يستنفرون
الى الجهاد • وحثهم على مائدته اجتماعهم في الاعراس والاعياد • ورغبة في بذل
الطيبات من الطعام • وتنزّهًا الى جده عمر الندى هاشم • ومحبة لان
يرى بيت ضيافته بلا باب • وداره بلا حجاب • وجيم خبزه مباحًا
من شاء دخله • وجبانُ طعامه نهبًا من اراد اكله او حمله • ولما ذكر الباجه
الحلبية تحلبت اشداقي • واستر خت ساقي • وبت ليلتي لا ارى في المنام
الا كاني في حلب • وانا في مرعى كلام الحلب • وبين يدي الطيب والحلب •
ولما ذكر بعدها المضيرة تحضرت شوقا الى طلعتها البيضاء الغراء • ولم
اسمع بحديث الكنافة حتى اكتنفني من السعادة بلاد لها • وانصرفت عني
صروف الدهر او جالها واهوالها • وعلمت اني لا ارى طوالع النوادر مقبلة
مقبلة بالنصر والجلالة • مصفوفة على مائدة نورًا كالهالة • حتى ترجع
حي كتائب العرفيلة • ونقصد ربي قواضب الدهر كليلة • واصبحت اليوم وقد
ارسلت الرسل واصدرت الكتب الاصدقاء • وانفذت الى كل ذي رسولًا
قاصدًا • حتى يبادروا كالحية الراصدة • لحضور المائدة • وان اخر الله في
الاجل اريت الشريف ايده الله في داره زحمة ولا زحمة الحجيج يوم النفر •
وحشا لا حشر الناس في موقف الحشر • واكلا ولا اكل النار الحطب اليابس
وتمزيقا لا تمزيق الاسود الفرائس • ونسفًا لا نسف الرياح دقاق الذرية •
ونهبًا ولا نهب الاكراد مالي على باب الجزيرة • فليكن ادام الله سلامته
بما وعد به مجدًا • والامر مستعدًا • انما نعد له عدًا • وليعبئ الطبائخ
على اختلاف الالوان • وتعبية الجفان • لئلا ينام الناس من الشكر
لنعمته • وليامر بتسويد مطبخه ليبيض وجوه عارفته • ولا يواخذني بالتلو
بسلوي في الجون في هذا الوقت طرفة محبوبة • ولا يستوحش من دعابتي
فالعادة مطلوبة • والسلام • في مفاداة الى بعض اصدقائه

وهو ابو سعيد نصار بن حريث

لاستخراج المعيات يا سيدي ادام الله تعالى
خواطر ذكية لا تخونها • ورائز نقية لا تنكبو فرسانها • واذا صدئت
مرآة الافكار • وعميت عن الاهتداء لطرقها ابصار اولي الاستبصار •
وشاب الفهم الصافي ضعف المشيب • وتنته مصائب الدهر عن الرأي المصيب

لم يكد يدرك الاغراض القريبة فضلا عن البعيدة • ولم يصب
المرامي السهلة فضلا عن الصعبة الشديدة • واشد ما تكون المعميات
ما تكون الالفاظ التي يتعرف فيها المعمى غير صادرة عن الذهن البليد •
ولا معقدة بالاغراب والتعقيد • بل تكون مقبولة لا تمجها الاسماع •
معسولة لا تنبو عنها الطباع • مستعملة غير مهملة • منتقاة غير ملغاة •
مستقيمة غير سقيمة • منتقفة غير متكلفة • فاما اذا اعتلت الالفاظ
واختلت • ومالت عن منهج الصواب وعدلت • وقيدت المعاني اليها
بازمة الاستكراه • وبعدت اوضاع اصولها عن القرائن والاشباه •
فلا تثريب على صاحب الطبع الجلي اذا اراد ان يستخرج المعمى ان يتبلد طبعه
ويتنقض عليه اصله وفرعه • ونحن نسال الله الهداية والكفاية انه خير مسئول
ابن لي اعزك الله ما هو كرة صورتها صورة المراة الحسناء والشوهاء •
وحليتها حلية الثيب والعذراء • تاوي الى سندس وحرير • وتبيت
بين استبرق وحبير • ومطلعها مع مطلع الشمس • ومغيبها في غير
الرمس • صماء واذنها مفتوحة • وكحلاء وعينها ممسوحة • ولعنا
وشفتها دقيقة • وبخراء وطلعتها انيقة • امها ضعيفة • ومرضعها
لطيفة • وابوها قديم • ومدبرها حكيم • تضاهي السماء لولا انها
خالية من الكواكب • وتحاكي الملك لولا كدرة المشارب • مطروقة
المناكب • فلا اسنانها جديد • ولا لباسها حديد • ولا راسها طويل •
ولا باسها قليل • يدها يد البخيل • وجيدها جيد العليل • تسقى فلا
تروى • وتعنف فلا تنثني • ان قبلتها كرهت التقبيل • وان ضربتها
اكثرت العويل • تجمع الطبائع الاربعة وهي واحدة • وتتبع الصنائع
وهي فاردة • يظهر ظهرها الازهار والانوار • وتحمل الاثقال الكبار • بابها
مسدود • وعنقها ممدود • وطرفها مكدود • وظهرها محدود • وطرفها
موجود • وثديها مفقود • وحقها باطل • ونجمها آفل • وعهدها حائل •
وظلها زائل • وربعها آهل • وسمها قاتل • ويمينها شمال • وجنينها
قذال • ونعيمها زوال • ونوالها خيال • ونطاقها ذهب • و
رداؤها خشب • وطباقها عجب • فبعضها يمني • وبعضها عربي • وبعضها
هندي • وبعضها مغربي • تشتكي البعد بلا لسان • وتحوي البر بلا انسان

فهي الجرف ظهوره وبيانه • والقدر في باسه وسلطانه • والملك في
دسته ومكانه • والحاكم في حكمه ولسانه • والحبيب في استزارته •
والعبد في حقارته • محبوسة في خزائن ملوك الآفاق • مبذولة في
في الشوارع والأسواق •

فان كنت ذا قلب ذكي وفطنة • وعلم باعميته فاذكر الغرض •
والا فلا ترجف بانك عالم • وكن مع قوم في قلوبهم مرض •

كتاب بفتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب
تبشيرهم وحمايتهم تنزع الحال الى صديق له بدمشق

الحمد لله المنعم على عباده مبديا ومعيدا • المبدع لهم في كل وقت صنعا جديدا •
الذي لم تزل الالباب شاهدة بانه القادر الذي لا يلحقه عجز فيما يقدره ويقضيه •
والقاهر الذي لا يرهقه ضعف فيما يدبره ويمضيه • والملك الذي لا يزول
ملكه وسلطانه • والجواد الذي لا تحصى نعمه واحسانه • والاحد الذي تقصر الاوهام
عن تصور ذاته • والصمد الذي تعجز الافهام دون تحديد صفاته • يحمده امير
المؤمنين حمد مستذل لعزه وعظمته • معتبر الجوده ورحمته • واثق بفضله وكرمه •
متقلب في بدايع نعمه • مستزيد مواهبه وعوايده • مستمد التوفيق
في مصادره وموارده • ويؤمن به ايمان مفوض اليه امره باطنا وظاهرا •
مخلص لسره غايبا وحاضرا • ويشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى خلقه حين اطبقت سحابة الكفر ساحبة
اذيالها • وطبقت عصابة الشرك رافعة بالها • وظهرت رايات الفساد
برا وبحرا • ونشرت آيات الالحاد سهلا ووعرا • وفوقت امداد الارض
بسطع قتامها • ووريت زناد البغي بسفع ضرامها • والناس من الفترة في
شبهة مظلمة تركت العقول طايرة • وطرق مبهمة غادرت النفوس حايرة •
فلم يزل ينذر ويبذر • ويذكر ويحذر • الى ان ابتسم الحق فاسفر صباحه •
وانحسم الباطل فخمد مصباحه • واشرقت شمس الرسالة فبهر سناها
وسناؤها • واغلقت نفس الضلالة فسقطت اوارها والواؤها •
وعلا الايمان ظاهرا وطاهرا • وتوفي الكفر دابرا دابرا • فصلى الله عليه
صلوة دايمة قايمة • نامية سامية • لا انتهاء لمددها • ولا انقضاء لمدها
وسلم عليه وعلى من هو من بعده • والسابق الى بعثته • والفريح في

نبيه • والمجاهد في سبيل ربه • افصح العرب كلاما • واوضحهم سلوما •
واحلمهم لسانا واحكمهم • واعلاهم مكانا واعلمهم • واوفرهم فضلا واوفاهم •
واكثرهم في المآثر واكفاهم • واسعدهم في الدين واشعاهم • واذكرهم واتقهم وازكاهم •
واشجعهم وابقاهم • واعدلهم واتقاهم • وافضلهم واسخاهم • علي بن ابي طالب •
وعلى نسله العترة الطاهرة • وثمرة الشجرة الناضرة • ذريته الائمة الاخيا
الطاهرين الابرار • الذين اذهب الله عنهم الرجس اهل البيت وطهرهم تطهيرا •
اما بعد • فان نعم الله تعالى ذكره على عباده وان كانت متفاوتة الاقدار و
المراتب • متباينة الاخطار والمذاهب • متفاضلة المناهج والمواقع متباعدة
المدارج والمطالع • فاعلاها اقدارا • واغلاها مهرا • واضخمها اجرا • واشهرها
فخرا • واعظمها نشرا • واحسنها اثرا • واسدّها شواهد • واعمّها مشاهد
وابقاها توابع • واسناها مشارع • واولاها بان تودع جلد الايام •
ويعتز بها الاسلام • ويعجز عن فروض شكرها الانام • وتثني عليها الملائكة
الكرام • واجلها خطرا وقيمة • واحقها بان في قلادة الزمان يتيمة • نعمة
ابدت الدين بعد ما هم بنيانه بان يتزعزع • وجددته بعد ما ارادت اركانه
ان تتضعضع • وشددت قوى الملك بحبل من عند الله وثيق • وشدت
بناه بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق • وحسمت اطماع من دلاهم بغرور • وحكمت
لانصار الحق بعلو وظهور • وقذفت في قلوب المخالفين الرعب شرقا وغربا • وآمن
سرب المؤالفين بعدا وقربا • كالنعمة التي توّجه الله سبحانه لامير المؤمنين بمحاسنها
التي تقصر عنها بوالغ الهمم والآمال • وخصه ببيانها التي تسير بها سوائر السير
والامثال • وغادرت من اعلام السعادة ما رغمت له معاطس ذوي الشقاق والنفاق
وساق اليه من احكام مجادلة ما اشتهر ذكره في الآفاق • وانجد جنوده وعبيده
واوليائه • في مفارق مجانبيه واعدائه • الذين جحدوا الاحسان • وعبدوا الشيطان
واستطوا مركب الغدر فاستطالوا • وتمنوا بالاماني الوا • واظهر من جميل صنعه
فيه ما كان مطويا • وذلل من رقاب النصر المعلنين بشعاره ما كان ابيا •
وجعل ما يسره له من الفتح • وقدّره من النجح • آية للناس ورحمة منه وكان امرا
مقضيا • فانها نعمة خرّت لها جباه النعم ساجدة • وغدت الملوك فوق سحب
السماء قاعدة • واطلقت اعنة المفاخر جنوبا وشمالا • وبشرت بان روادفها
من النعم المتظاهرة التي تكفل الله بادنائها وتقريبها • وتواليها من المنح التي وعد به

الجم

الايام نبيا فتنا اليه على ترتيبها • لاعظم موضعا ما شوهد وَرُوِي • واحسن
موقعا ما شهد وَرُوِي • وبهذا جرت عادته الكريمة في اوليائه • المعتزين الى
طاعته وولائه • المعتزين بظل رايته ولوائه • وسبقت عدته في الانتقام
من اعدائه • واصطلام اضداده الجاحدين لالائه • والله لا يخلف الميعاد •
ولما اتصلت كتب مملوكه امير المومنين المظفر باجماع كلمة الطغاة
المارقين • والعتاة الفاسقين • من قبيلتهم وتمانيهم على الخلاف • واغترارهم
بما حشدوه وحشروه من الالفاف والاجلاف • وتحالفهم على لقا العساكر
المنصورة بنفوس قصرت الاجال مددها • وطرقت الاوجال افئدتها •
وعقائد مدخولة • وعقود محلولة • وحدود مفلولة وجدود مخذولة •
مغلولة • غافلين عن نقم الله • مترصدة لجاحدي حكمه تسفع بنواصيهم وتجرهم الى
سوء المصارع • وتولع باديانهم واقاسيهم فتقودهم الى اخشن المضاجع • وعرض
بالحضرة اتفاق ارائهم الفاسدة بالشام على اثارة الفتن • وتخريب البلاد
والمدن • واحتشادهم بها موضعين في الفساد • مجتمعين على الكفر والالحاد •
متضافرين بلوم افتخارهم • وقبح اثارهم • على محاصرة ثغورها وحصونها
وانتهاب سهولها وحزونها • واستباحة اموال مالكيها • واخافة السبل
على سالكيها • متحككين بالهلاك فعل الرعاع الاغمار • متهافتين في الباطل
تهافت الفراش في النار • مجدين على اجتلاب العطب لنفوسهم بسو تدبيرهم
وتدبيرهم • مجتهدين في اجتذاب التلف لصغيرهم وكبيرهم • مطمعين
الغافلين في حبالهم • الضالين بضلالهم وخبالهم • في ضروب من المحال
تهلكهم مخافتها • قبل ان تدنو مسافتها • ويوبقهم سماعها • دون ان
ينكشف قناعها • دافعين باراهم القصيرة في صدور ما اولوا من النعم
التي ارتق طغونهم • الى ما رات منه عيونهم • ولا تطوح امالهم • الى ما انتهت
اليه احوالهم • مستعطين العدد التي انفطت من كل طريق • والعدد التي
ارتشفت من كل فج عميق • جاهلين بانهم وان اقلعوا الهرب من السياسة
ممسكون بايدي الهيبة والانتقام من كثب • محتكون بسيوف السطوة
والاصطلام باهون الطلب • فلما علم امير المومنين ان الاندرا بجمعهم
زادهم غرا واجترا • والانتظار لهم كسبهم اصرارا على العدوان واغراء وان
الله سبحانه قطع منهم عصمة التوفيق • بكثرة مراراتهم • والخذلان شملهم من

عن شمائلهم وايمانهم • وان الدمار يرمقهم بطرف ساهر • والدبار يحكم بسيف
باتر • وان لا تردعهم من قطيع اعناقهم الكتب دون الكتايب • ولا تقد لهم عن
شنيع ضلالهم الصحف دون الصفايح القواضب • صرف الى الحسم دا لهم
وقطع سواد جهلهم واستيصالهم • بعزمة طال ما صدقها الله جلت قدرته
في كل ما زاوله وحاوله • وعزم كثيرا ما وفقها لجميع ما امره وامثله • وامر الوزير
الاجل صفيه وخاصته وهو السديد في تصاريفه • المجيد في مواقفه
الذي يخدمه الاقبال مقتربا اليه • ويعطيه التوفيق واقفا بين يديه •
لا يرد القدر صوايب سهامه اذا سددها ورماها • ولا يفل الزمان
سيوف اعتزامه اذا جردها وانتضاها • ولا تنوب منابه مداجاة
ولا تثنيه موالاة مراآة • ولا يعتاقه عن مجد مقام • ولا يعتاص عليه
مطلب ومرام • باستقراء اخبارهم • وتتبعهم باخبارهم • والتجرد لطلبهم
من الارض حيث ما اناخت ركايبهم • والاخذ بمخانقهم حتى تضيق عليهم
ونهارهم • وانقيا له لا يعجز عن خطب نكولا • ولا يهتم بصعب الارض
ذلولا • فلم يزل يمد العساكر المنصورة من مقر الخلافة برجال تعودوا
من عند الله نصرا والطافا • ويزيدهم من بيوت الاموال بما يزيد على
قدر الكفاية اضعافا • الى ان كوتب الامير المظفر في شانهم وذابهم • وصغر
اليه امورهم وانحرابهم • وارشد الى طريق الراي في استدراجهم واستيصالهم •
وعرف الوجه الذي يؤذن بقلع اصولهم وقطع اوصالهم • وامر بالتوفيق
في قراعهم وطرادهم • والتثبت في جلادهم وجهادهم • وترتب مغاطبتهم
بالقتال الا بعد الانذار تاكيدا للحجة واتباعا للسنة • وتكميلا للنعمة واتماما
للمنة • وتقليدهم البغي الذي يصرع راكبه وان امادة ايامما • وتوليهم
اعماسا لجده وارغاما • فامتثل المرسوم طايعا • وقبل الحدود سامعا •
وبلغه خبر انضمامهم بالاخوانية القيسية من شرقي نهر الاردن مستمرين على
عادة طغيانهم المؤذنة الى خذلانهم • مجاهرين بكلمة عصيانهم الهادية لادراكهم
آيسين من البقاء • عند اللقاء • مختبين قبل القتال بالشقاء • ضالين عن
سواء السبيل • ملحقين بالويل والعويل • واقعين في البلاء الطويل • فنهض
نحوهم في عسكره بعدما حقق التوكل على الله جنته الذي يجيبه عند نكايد
الدهر ونكايده • ودرعه التي بها يتقي كل من يبارزه من خطب ويواجهه •

دعاه

ودعاؤه الذي يكشف البوائق والبوارح • واعتقاده الذي به تشترك المنائح
والمناجح • وسائر الهم في جميع اولياء الدولة المنصورة بعقل ضابط • وقلب
رابط • وعزيمة صادقة • ونفس بصنع الله واثقة • وصرامة تذل العقاب
اذا جمح قيادها • وشهامة تلين الصلاب اذا لج عنادها • قد صحبتهم السلامة
في مواقفهم ومقاودهم • واقترنت السعادة بجوادهم وكرائهم • منتظرين
من الغلبة ونجح الطلبة • ومنتهزين الفرصة في مناجزتهم قبل ان تتفرق
جموعهم • ويتبدد تابعهم ومتبوعهم • ومستنجزين وعد الله سبحانه في
نصرهم حيث حلوا من ارض • وقواعدهم اينما نزلوا من نشز وخفض •
فكان لا ريث ما وصلوا الى حرف شاطي النهر • حتى احتمى المخاذيل بالادبار
والقهر • وحسبوا ان الانهار تعوقهم عن العبور • وترد عنهم نوازل المقدور •
ولم يعلموا ان اقبال الدولة يجعل البحار ثمادا • والاهوار جمادا • ولجج البحار
مخاضا • واعراض الاعداء لنبال الردى اعراضا • فكان الا دون لمحة باصر • ونفرة
طائر • حتى خاضوا لجج الحسينية وقد احسن الله فيه عواقبهم • وسهل عليهم
مطالبهم • فكسروا واظهروا صدورهم جسورا • وعبروا عليها اليهم عبورا •
وملكوا عليهم ارضهم التي قد رووا ان حصانتها تقيهم طوارق المخاوف والنوائب •
وترد دونهم طوارق المتالف والمصاعب • وقد هزتهم ضجة الابطال •
فنبهتهم عن سنة الاغفال • وتقدمت طلائعهم وطوالع النحس تسوقهم
الى مصارع نفوسهم • وطائر الشوم يحوم فوق رؤسهم ومرؤسهم • فبادر
جنود الله الغالبون الى اقتناصهم • ومن يزحم الجبال اذا تزعزعت رعانها
ومناكبها • ويمسك السماء اذا تهاوت نجومها وكواكبها • ويرد عواصف الزعازع
اذا استمر سلطانها • ويعرض صدور الرماح اذا استمر اذانها • فلما راى المذكورون
رجال الدولة مستظلين بظلول الالوية الخافقة بالنصر والاظفار • والرايات
الناطقة بالغلبة والاقتدار • والبنود الهاتكة لاستار ولجا الغدر والختر •
والجنود المالكة لرقاب اهل البغي والخطر • وشاهدوا فرسان العرب وشجعانها
الذين اعرضوا عن ضنا عشائرهم في الولاء • بما سدوا قوافيه من البلاد • وحازوا
محاسن الاختصاص والاصطفاء • بما اظهروه من الاخلاص والوفاء • وانعقدوا
هم في بقعة واحدة كل سام من خصام حماة الدين والذابين عن حريمه • وانصار
الحق المجدين لتشييده وتعظيمه • تحققوا ان الناقضين كانوا في عقدهم • و

المكثرين لقليل عددهم • غرتهم بالمحال والباطل • وغرورهم بالرأي الفائل •
وانهم شهد واستشهد للثبات بنير غرر • وورد واوردوا ما عنه صدر • فاستقتلوا
وقد افترضنا جال اولئك الاغفال • واستبسلوا وقد انقضت اعمار اولئك
الاغمار • فلم يك الا بمقدار ما ازعجت اسنة الرماح من احشائهم • واختضبت ظبي
الصفاح بدمائهم • حتى تزلزلت اقدامهم • ونكست اعلامهم • وانزعجت كماة الترك في نحورهم
فاختلطت قنابلها وقبائلها • وتقصفت الرماح فتقصدت عواملها • وتقطعت السيوف
فتثلمت حمائلها • واظلم النهار • وزاغت الابصار • وعز الثبات • وخشعت الاصوات
وطارت العقول • وحارت الخيول • وضاق الخناق • ومالت الاعناق • وسالت الاحداق
وتعاظمت عليهم النبال ترسل لكل متقصدة وقاصدة • ونابت السيوف من نوب
الايام راصدة وحاصدة • وبقيت النفوس طائرة الاحلام قائمة قاعدة • وتدحرجت
الرؤوس تحت الاقدام هابطة وصاعدة • وكست السماء من ملابس القتام ثياب الحداد
وثبت انصار الدين واشياع الحق ثبات الاطواد • وطفقت سوابق الخيل تمرح في مجالها
بين اولئك القتلى باعناق ناشزة من الكواهل • وايد نابية من الانامل • وصمت
الاسماع من صليل المناصل • وزلت النفوس من السمر الذوابل • فما انقشعت
تلك البروق • ولا انحرفت تلك الغبرة • حتى تحكمت البواتر في مفارقهم • ونحت القوام
والله وابز على سابهم من الطاعة وشعارهم • وولى الارجاس الذين نسوا وامع النعم
بمحمد واستحقوا النقم • والانجاس الذين تخلقوا بخلق البهائم • فجهلوا طرق المكارم • على ادبارهم
اذنابهم لا يحميهم سيد • ولا يعضدهم عضد • ولا يؤويهم بلد • ولا يجيرهم
من الله احد • وطعن الشقي ابن الدوقلية وقد اشتد بالخيبة رجاه • ونسي ما قدمت
يداه • طعنة بحكمه اخرق منها بدنه • وخر صريعا لليدين وللفم • وحز راسه من
ساعته فاصبح معفورا • بعد ما كان مكثورا • واضحى مهشما • عقب ان كان منعما •
واستعلى على عالية الرمح سنانا دونا بمعسوم • ولازم سنانه فيها على الحوم • قد
رمقته الابصار • وسفى عليه التراب والاعصار • وخذله الاعوان والانصار
وخلت منه البلدان والامصار • وجدل شلوه ملقى بالقاع عبرة للاديم •
وتحفة للضبع والرخم • وعظة للناظرين • وآية للعالمين • وعاد الغادر الخاسر جرحهم
على دمهم • حتى الحماة براسه • وآنى له النجاة وقلبه مرعوب منكوب • والشقا عليهم
مضروب • والغدر بجنبيه مغضوب • والفناء عليه مكتوب • ونصر في الهزيمة زوايا
المعارك • وبقايا السيوف البواتك • القتل من اهله ورهط الذين رماهم

الله بغضبه وسخطه والمنايا تستلحق بقاياهم فتلحقهم • والبلايا تستحدق
ببراياهم فتجتاحهم • والحين المتاح سايقتهم الى مصارعهم • القدر المتاح
متكفل بجزر ما غرهم وذادهم • واستغنى الذين جاهدوا في سبيل الله بما افاء
عليهم من اموال وكراع • واسلحة وشاع • وعدد وعتاد • واماء واولاد •
واقتسم الباقون من احزابهم • وطغامهم واصحابهم وحماتهم اولياء الشيطان •
واخوان الرهبان • العادلين عن الطاعة والناكبين • والناقضين للعهد
الناكثين • بين قتلى مطروحين في مهب الجنوب والشمال • واسرى مجموعين
في الجوامع والاغلال • واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من
وال • فالحمد لله معز الحق ومديله • ومهين الباطل ومزيله • الذي اطال للحق
باعه • وعمر للدين رباعه • واحسن عن الملك دفاعه • وانتقم ممن عصاه
بمن اطاعه • وفتح لامير المؤمنين مشارق الارض ومغاربها • ووجب بمناكب
دابر وعالي رايته سنام الضلالة وغاربها • وخفض انصار الدولة وعبيدها
وعساكرها وجنودها • باحسانه العظيم • وصنعه الكريم • وعم بحد الاسنة
من تخطى الى الفعل الذميم • وعدل عن الصراط المستقيم • واروى حدود
المرهفات من دماء الفسقة الذين انحرفوا عن قبلته • وطهر الارض من ادناس
من كفر بنعمته ومال عن ملته • وصب على المردة المارقة سوط عذاب • وافاء
على المؤمنين المجاهدين في سبيله ما اوجفوا عليه من خيل وركاب • وجعل
ملك امير المؤمنين معقودا بحبل لا تحل مغاره وحربه محروسا بسيف لا
ينال غراره • وادام عزه مؤبدا • وجلاله مؤيدا • ونصره مجددا • وسلطانه
ممهدا • والبشارات بحضرته متناصرة • والمسار في ايامه متواترة • ومد على
اكناف مملكته • واطراف حوزته • ظلال الامن • ورواق اليمن • واعاد عليها
مناظر العدل والاستقامة • والف على طاعته قلوب الخاصة والعامة •
هبة
واكسبه بعالي الرغبة في توفيقه ما تحمد عواقبه • وازاهره ما تستدام • نعم عنده ودنوا
بجوده • ومجده • ولطفه • وعطفه • طاعته بذكر ما جرى ليقف عليه • ويسكن اليه •
ان شاء الله

في المداعبة يعزي بكلب كان للقاضي ابي علي الحسن بن ابي الذبر هلك بدمشق

كتابي اطال الله بقاء القاضي وادام سلامته
وكفايته وسعادته ورقايته • وانا عار رباع الحزن خصاب • قصير باع الانس اكتئاب •
ضعيف قوى النفس طاب • ومسلم كما استجاب • والصلاة على محمد واله ...

الجزع وراء ظهره ۔ ويتمسك بعروة صبره ۔ ويستسلم لمحتوم القضاء الالهي
واوره ۔ ويطرد بحسن التسلي ما يعتلج الهم في صدره ۔ ويعتصم بعرى التصبر
والتجلد ۔ ويجانب جانب التضجر والتلدد ۔ ويسلك مسلك من ركز موضع من العلم
اليقيني ۔ ومحل من الرأي المتين ۔ ومعرفة بمجاري الاقدار ۔ واختلاف
احوال الليل والنهار ۔ عالما بان الانسان وان تناهى في الاكتئاب على
المصايب فمرجعه الى الصبر والاستسلام ۔ ومرجعه الى الاعتقاد لا تجري به
حوادث الايام ۔ وان الجزع وان افرط لا يرد زندا ۔ والبكاء وان استنفد
الدموع لا يعقب رشدا ولا يكسب اجرا ولا حمدا ۔ ثم يتفقد امر نفسه ۔
ويقيس بين يومه وامسه ۔ ويعلم ان الشيخ الماضي رضي الله عنه لم يحظ
عند صاحب العصر والزمان الا بما له في الدين كالنص ۔ وتنزهه
عن منازل ذوي النقايص ۔ وستره وعفافه ۔ واعراضه عن الدنس
والخراف ۔ واستفراغه طول عمره بدراسة العلوم الحقيقية ومجالسة
اهلها ۔ والتحلي بحلاها والتعلق بحبالها ۔ ومجانبة جميع ما يستقبح باطنه
وظاهره ۔ وتستوخم موارده ومصادره ۔ حتى صار بحيث يعقد في
على عقد الخناصر ۔ وزينت مكانه المشاهد والمحاضر ۔ وان الاحرى
به ان يجعل هذه الجملة اماما بين عينيه فيتبع اباه ۔ ويشيد ما
بناه ۔ وينشر ما طواه ۔ ويجدد ما ابلاه ۔ ويضرب في التواضع
والصيانة على قالبه ۔ ويتخلق في الخضوع والديانة باخلاقه وضرايبه ۔
ويسير على منهاجه وسيرته ۔ ويتشبث بطريقته وتيرته ۔ لينال ايده
الله من العز عفوا ما ناله هو جهدا ۔ ويحوز من الذكر الجميل قريبا ما
لم يحزه بعيدا ۔ ويحصل له من الجاه والقدر في ايام شبيبته ما لم يحصل
في اعوام كبره ۔ ويجمع من الاحدوثة الحسنة في حضره ما لم يجمع في سفره ۔
فان وراءه من الاعداء من تدب عقاربهم ۔ وتهب جنايبهم ۔ وتغر
جنادبهم ۔ وتثير ركايبهم ۔ ويعدون عليه انفاسه ۔ ويدسون
الى مراعاة احواله اصحابه وجلاسه ۔ ويرصدون افعاله فيغيرون
محاسنها قبايح ۔ ويرقبون افعاله فيجعلونه صحايفه فضايح ۔
ويتشارفون اسبابه فيصيدون من سوانحها بوارح ۔ مع ما انه بحمد الله
وعونه من شجرة لا يخلف ثمره ۔ ومن ماء لا يخشى كدره ۔ ومن اصل لا يميل
فرعه ۔ ومن منبت لا يجور نبعه ۔ لا سيما وفيه من العلم والحلم ۔ والعقل

البيان

والفضل

ولباب • والمصايب لدام الله سلامة القاضي تتفاضل اقدارها • وتتفاوت اخطارها •
فمنها ما تزحم مناكب الحزن • وتهزم مواكب الصبر • وتثلم جوانب الصدر • وترمي
بقاصمة الظهر • ومنها ما يخف محمله فلا يزيل الافئدة عن مستقرها وان اقلقها •
ولا يحرق القلوب بنارها وان ازعجها • وكلما كانت المصيبة فيه افظع • كانت
مواد الاصطبار اقطع • وكلما كانت الرزية فيه ايسر • كان محل الفجيعة فيها اقصر •
وعلى قدر الفقد تتزايد الفجايع • وبحسب ما تجنه الاضالع • تفيض المدامع •
وعند انقضاء الاجل المضروب تسترد الودايع • وعلى حين من السلو يلتقي
الصابر والجازع • والذي يستقبله العاقل • يستدبره الجاهل • والذي ينتهي
عنده الحازم • ينتهي اليه الغافل • فالاولى بمن يعرف احكام الزمان في اختلاف
احواله • وتناقض افعاله • ويرى الدهر كيف يهب • ثم ينهب • ويعز ثم يحجب
ويعطي ثم يحجب • ويكسو ثم يسلب • ويعرف انه لا يستطيع لفقد ورد دفعا •
ولا يملك في حال من الاحوال لنفسه ضرا ولا نفعا • ويدري ان قلة رضاه
باقدار خالقه • مستنزلة لسخطه وبوايقه • وكثرة عتبه في دهره • ماحية
عظيم اجره • وفرط تمالكه في مصابه • حايط لثوابه • ودوام شكايته من
زمانه • داع الى دوام امتحانه • ويتيقن ان المصايب اذا تخطت الاصول الى الفروع
مواهب • والرزايا اذا تعدت بجلتها الى البهم عطايا • والزمان اذا اقتنع من
بالاطراف • فقد بالغ في الانصاف • والدهر اذا رضي من الكل بالجزء • فقد تناهى
في تخفيف الرزء • ان يقابل البلوى بالصبر • كما يلتقي النعما بالشكر • ويأخذ
بادب الاسترجاع • لئلا يضيع اجره في الغابر • ويصبر على فادح المصاب
راجيا عظيم الثواب في المآب • والله سبحانه يسهل الى العزاء طريقه • ويحسن في
جميع احواله تدبيره وتوفيقه • بجوده ومجده • ومنه وكرمه • ولما انتهى الي خبر
انزعاج صدر القاضي ترحه الله بالمسار • ووقاه طوارق الليل والنهار • و
اشتغال قلبه • لنفوذ القضاء المحتوم بكلابه • وتقسم فكره من الوجد الذي وجد
لفقده • ومن استيلاء الوحشة عليه من بعده • علمت ان ارتكاب الكتابة
معادة • ولم تبلغ الفجيعة فؤاده • لجلالة خطر المفقود وعظم مقداره •
ولا يجهله بانه لم يكن اول من فاجاه الموت فاصطلى بناره • لا سيما وكلما
يوجد عنه العوض • يخف عليه المضض • وكلما يسهل منه الخلف • يقل
عليه الاسف • ولكنه من رقة طبعه • وحسن تهذيبه • ونفاسة نفسه •

وجنة قلبه • ودماثة خلقه • وكرم عرقه • ولتربيته اياه من يوم فصاله
الى حين فطامه • ومن وقت صغره الى وقت كبره وانقضاء عمره • ولتذكره
الايام التي كان يقعد تحت ركابه • ويفرق بها فضلات صيده على اصحابه
ثم عدم الانس به • وحرم الالفة بعده • واختطف احرص ما كان على اثارة
الظباء من كنسها • واستخراج الظباء من وجرها • واراغة الارانب من مجاثمها
واستنباط الوحوش من مواطنها • اصابه من التحسر ما اضعف قوى جوانحه
وضاعف جوى برحايه • واثار كامن حزنه • وبلد ثاقب ذهنه • فيا لهفي
عليه فلقد كان كلبا مهذبا • ونديا متدربا • وصبورا مؤدبا • وحوولا
مجربا • وبرقا خاطفا • وريحا عاصفا • وشيخا آلفا • وللباب حصنا لابثا •
وللحريم حارسا • وللغرانيق فارسا • وفي الخلوة مؤانسا • وعلى الاعداء عاديا •
وللحاير عن قصده هاديا • وللذمار حاميا • وعن الزوار محاميا • وللعفو
معتزا • وبالخير مبشرا • وبادية المفرد متخصصا • وبذيل الاجود مبصبصا •
وللطراق مستقبلا • وللعصي من مخافتها مستقلا • وعن الرذايل جانبا •
وعن المعايب مجانبا • وبقليل المطاعم قانعا • وفي ارواح طرايده متحكما • ولانفاسها
متنسما • وبكون الكلب كافلا • وللمعول عليه مائلا • وربما اسفي عليه فلقد
شاهد تراخف اشباله مؤونة • واجملها صاحبه معونة • واذكاها حسا • واجراها
نفسا • واسرعها ادراكا • واحدها امساكا • واشدها ضبطا • واقلها خبطا •
واشدها عدوا • وامدها خطوا • واسلمها غبارا • واجلها آثارا • واعرفها
بدقايق المكيدة • وازهدها في اكل الطريدة • واوعاها للشروط والادب •
واكثرها ملازمة للباب • وقد اخترناه على اقرانه وبلاده • وعلى ما فات من بركات اقتناصه
واصطياده • وعلى الايام التي مارسنا بها عددا من الغزلان عند الاقتناص بها •
ولا بالقطيعة عن شره الاعتقاد لها واختطفناها • ولا بالفرسة ربما الا كونا فرقنا
ولا بصيد صيد الارنب او زوجه • ولا بالمعرة وكنا الوحش منا نفرقه • نعم • ان اعز
الشيخ اوادوا الصحر استه بهذه الرزية وحالي منها في المصيبة دون طالع • واخر الي ما عني
ويخفى من ودنه دون اخر • ولكني اردت ان يتحقق اني محافظ على عهده كما فطمته عليه
وان كنت متاخرا عنه العذر الواضح لديه • واسال الله ان لا يخلي مشاهد الفضل
عنه • ولا يوحش معاهد الانس منه • وان يفسح في مدته • ويجعل دار اهل
مودته • وان ينزل العقيد للكلب جنان النعيم • ويجمع فيها بينه وبين اصحاب الكهف

عليه السلام

والرقم. ونحن بمجزي المكلفين يوم الحساب. في جزيل الثواب. ويجعله شفيعا
لكلب وكليب وكلاب. فانه وان لم يشابههم في الانسانية. فلقد شابههم
في الحيوانية. وان لم يشاركهم في الجسم. فقد شاركهم في الاسم. وان لم يجانسهم
في الصورة. جانسهم في المحاسن المأثورة المشهورة. وانا انتظر جواب كتابي بما
الهمه الله من الصبر والتبصر على مصابه. لاقتدي فيه بادابه. ان شاء الله وحده

ورقعة اعتذار الى الصديق لم يهنه بالختان

لا يحسبني الامير الموفق ادام الله توفيقه غافلا. وقد اصبحت بافلا. ولا يتعذرني
ذكيا. وقد بلغت من الكبر عتيا. ووردت علي رقعته ادام الله رفعته. يلتمس
فيها اصدار كتاب الى فلان. وكنت مشتغل القلب بشيء معهم. منقسم القلب بخبر
بلغه. فعدلت في الجواب عن الواجب في الخطاب. وحدت عن طريقة الصواب
في ترك الالقاب. وركبت من ساعتي قلم التذكر ما نسيته واغفلته. واستدركت
ما ضيعته واهملته. الا بعد ما سار القلم بل طار. وهذه الرقعة براءة اعتذار
بل كتاب استغفار. والامير ادام الله علوه. وكبت عدوه. اولى من ان يوسعني
عفوا. ولا يؤاخذني بما نسيته سهوا. ولا يضعني بحسب عتاب. ولا يحسب علي
سوط عذاب. ولا يتعقب اثري بعتاب. ويجري على عادة تفضله في قبول العذر
وتحسين الاثر. اعانني الله على النهوض بمفترضاته. ووفقني لما اكون عليه من توفر
مرضاته. بسعة جوده.

كتاب الى الشيخ ابي القاسم منصور بن محمد وهو بخراسان

كتبت اليه كتابي اطال الله بقاء الشيخ العميد وادام علوه وسموه وانا
معتصم من كفاية الله بحبل متين لا انفصام لعروته. وملتجئ من وقايته الى حصن
حصين لا ترتقي همم الحوادث الى ذروته. والحمد لله كما هو اهله. وصلواته على محمد
والطاهرين من عترته. الطيبين من ذريته. فاما حنيني الى طلعة الشيخ دام الله عزه فانا

حنين امرئ فتان شاهد شرعا ... من الماء لا يرقى الى الشرب
واما نزاعي الى محادثته ومفاوضته ومجالسته. ومداعبته
نزاع فتى قد صد عنه حبيبه ... فهام وما يبغيه شيء سوى القرب
واما تأسفي على الايام التي كانت سمحت لنا فيها بموارد الانس. وانصرفت عنا في اثنائها
وانس الحبو تأسف من قد نقص الشيب عيشه ... وقد كان ايام الصبي فرح القلب
واما تحيري من بعده ووحشتي لبعده
تحير ماش في مفاوز قفرة ... اقام بلا زاد وظل من الركب

وأما تشوقي للنظر إلى لقائه ❊ وشوقي سمعني الله بمقامه

فشوق ذي سقم يؤمل صحة ❊ وذي كربة يرجو الخلاص من الكرب

وأما ورودي بمكانه إذا تذكرت غرايب آدابه وفضائله ❊ وتفكرت في محاسن خصائله وشمائله

فسرور غريب كان فارق أهله ❊ فعاد إليهم بعد ما آيس من القرب

وأما سكوني إلى ما يبلغني دائما من أخبار سلامته والبشرى من انتظام أمره واستقامته

فسكون خلي بال غير خايف ❊ صروف الردى يختال في العز والخصب

هذه جملة أحوالي وحقيقتها ❊ وجلية أموري وطريقتها ❊ وصفة أيامي التي تمضي وبيني وبينه بلاده ❊ وصورة أوقاتي التي تنقضي وما تخرق فيها انقضاء ونفاد

فليت شعري كيف عهده بعدي

أكعهد أخلاي الذين عهدتهم ❊ يدلك على الإخلاص والقرب والبعد

أم تلون بتلون الزمان

فصار كعهد الغانيات وهل ترى ❊ لغانية يوما ثباتا على عهد

وكيف عقده على ما عرفته

وثيقا صحيحا ثابتا لا يشينه ❊ فساد ولا عيب كواسطة العقد

أم كما يوجبه الوقت

ضعيف القوى رث الملابس متغير ❊ الملاقي كريه المجتنى صلد الزند

وكيف وده كما شاهدته

صريحا بلا مذق سليما من الأذى ❊ وأخبار توفي على السلسل والزند

أو كما تقتضيه الأيام

تغيرت معانيه وأقوت ربوعه ❊ وعفت كما عفت وشايع من برده

وكيف ورده كما كنت أورده

زلالا برودا صافيا شاب طعمه ❊ جنى الشهد بل أحلى مذاقا من الشهد

أم تكدر بعد انقطاعي عنه وبعدي منه

تراه أجاجا آسنا متغيرا ❊ فأورد ملحا ما أخره ذردي

وعلى الأحوال كلها فشخصه بين عيني ممثل ❊ ووده من قلبي بموضع ❊ ولساني بذكره متناق ❊ وعناني بشكره مطلق ❊ وأياديه لدي غرر أن سيرتها أقامت علي في المشاهد شهودا وشواهد ❊ وإن نظمتها صارت في عنق قلائد وفرائد ❊ وما هو على الله بعزيز أن يمد في سعادته ❊ ويجريني على جميل عادته ❊ ويمن علي برؤيته

السرور واعادته • لاستوفى لحظ سر عنا هذه بجوده وارتضته • ثم بلغني ان
الشيخ ادام الله تمكينه بلغه خبر اشتغالي بخدمة ذكرها • لم اوثر ان اشتغل باذ بالها
والمرض ان لم ننتهي باشبالها • ولم نبعد ان شيئي قصرت حتى انتصرت بعد
المشرب السايغ على الرنق • وعفت المشرع الصافي على الطرق • ولعل ادام الله
ايامه رب خدمة تحسبها عزيزة • ويعرفها غيرك خبيرة • وتعدها جليلة عظيمة •
ويعدها سواك رذيلة ذميمة • ثم استعدى على من احتشم • وفي الشفقة
والتعفف اذا تهم • وهذه جناية لو تصفح فيها عن وجه العذر لقبل الاعتذار • ولو
عرف صورة الحال لازال الانكار • وقبل وبعد فان الحر اذا قاده حران
الدهر الى بلد الغربة ركب الذلول والصعب • وشرب المر والعذب • واحتمل
الخصب والجدب • ولابس السلم والحرب • والغريب اذا الجاته دواعي الاضطرار
الى تجشم الاسفار • واجاته مجاري الاقدار • الى معاناة الاقتار • جرم البر
والفاجر • وقصد المؤمن والكافر • وخالط البادي والحاضر • وانتجع الوالي والتاجر
ونزل العاير والقاطن • واتصل الوارد والصادر • وجلا عرايس اداته على كل خاطب
واهدى نفايس علومه الى كل طالب • وعرض بضاعته على كل من يريد •
وباع سلعته فيمن يزيد • وهذه صورة حالي • ولعمري لقد استحدثت بعد
مفارقتي الشيخ ادام الله علوه اخوانا فاستخشنت قشرتهم • وعاشرت اقواما فما
استحسنت عشرتهم • واختبرت طرافا فما حمدت مذاهبهم وطرايقهم • وبلوت
منهم اصنافا فما ارتضيت ضرايبهم وخلايقهم • ونادمت جماعة فندمت على
منادمتهم • وواصلت منهم طايفة ورغبت في مصارمتهم • وجاورت الرؤساء
فما بالت منهم باوفق ناصل • وقصدت الفضلاء فلم احظ من واحد منهم بطائل
وقلت سلاما لما خاطبوني • ولم اشبههم كلاما حين قاربوني • وفررت منهم
وطلقتهم ثلاثا بتاتا • وكبرت عليهم اربعا حين رايتهم امواتا • لما مخضتهم
فلم ار الزبدة • وفرقتهم واثرت الوحدة • وبقيت سهما في الكنانة مفردا •
والانفراد من اللئام غنيمة • والانفراد مع السلامة طيب • وفي الاعتزال سكون قلب
واثر • ونفضت كمي في وجوه خيارهم • وجلست وحدي ليس عندي صاير •
وليس يزين البيت ساج ومرمر • ولكن يزين البيت من هو ساكنه • ثم
تذكرت ايامنا التي مضت فاستعبرت عيني حتى حسبتني ارمد • وبكيت على
محاسنها كما بكى لبيد على اربد • وصار اكثر انشادي قول ابي النجم •

سقى الله اياما لنا ولياليا ❊ مضين فلا يرجى لهن رجوع
اذ العيش صاف والاحبة جيرة ❊ جميعا واذ كل الزمان ربيع
واذ انا اما للعواذل في الصبى ❊ فعاص واما للهوى فمطيع

وقول القيرواني

مضى ما الفنا من عيشنا غير عائد ❊ فلم يبق الا ما بمثله الذكر

وقول حبيب

كم منزل في الارض يالفه الفتى ❊ وحنينه ابدا لاول منزل

وقول ابي العالية الشامي

ولو انني اعطيت من دهري المنى ❊ وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لايام مضين الا ارجعي ❊ وقلت لايام اتين الا ابعدي

وقول ابن الوردي

بلد صحبت به الشبيبة والصبى ❊ ولبست ثوب العيش وهو جديد
واذا تمثل في الضمير رايته ❊ وعليه اغصان الشباب تميد

وقول محمد بن الفضل

فان ترجع الايام بيني وبينهم ❊ بذي الاثل صيفا مثل صيفي ومربعي
اشد باعناق الهوى بعد هذه ❊ مرائر ان جاذبتها لم تقطع

وقول يزيد بن الطثرية

سقى الله عيشا قد مضى في حلاوة ❊ لو انه يرجع لي ~~ا~~ بعود
اذ الحول بعد الحول تمضي شهوره ❊ علينا ولم يعلم انه عديد

واني اذا قست لذة سعادة الشيخ اليوم وما ذقته من النعم السابقة التي لا اقدر على وصفها جملة وتفصيلا ❊ وما خصصت به من الجاه العريض التي انا موقوف بركاته في الجلاد في ليلة القطر ❊ والعقد الخطير الذي انا اعظم ليلة كما تعظم ليلة ليلة القدر ❊ والمال الذي ياتيني عفوا ❊ واذكر للعفاة نهبا ❊ وبتسرع نوى مشتاقا متيما ❊ فاصبر الى الزوار صبا ❊ والحال التي حلتها ايدي الاقبال باحسن حلى فلو مطمع الزمان فيعطلها ❊ وجلتها السعادة في ابهى زي فلو سطع الدهر في تحويلها ❊ والقول المسموع ❊ والاثر المتبوع ❊ والامر الذي هو انفذ من السهام الى الاغراض ❊ بل من سهام الجفون المراض ❊ بما فارقته عند بعدي منه ❊ وافتقدته بعد نايي عنه ❊ من العيش الذي لم يشبه الكدر ❊ ولم تشبه

الغبر • والجناب المخرّج الذي غفلت عنه صروف الدهر فلم تطرقه • ووردت
عنه عيون النوائب فلم ترمقه • وزمان لذاذتنا وطيبنا • واوقات
حداثتنا وشبيبتنا • وايام لهونا ناضرة وبأظفار الانس خضرا ناضرة • ووجوه
الدهر الينا بالاقبال ناظرة • ومسابقتنا الى مجالس الادب ومحافله •
ومزاحمتنا على مشارع الفضل ومناهله • وجدت جميع ما انا فيه من النعم
الواقعة بالاضافة الى تلك الاحوال السالفة يسيرة محتقرة • وحقيرة مستصغرة
فيا لهفي على عهود الصبى • وان ادركت بعدها من الدنيا المنى • ووا اسفي على ايام
الشباب • وان نلت من زماني بعدها جميع الحاجات • ووا حسرتي على ما
فاتني من تلك النعم ذلك الشيخ العميد السيد رضي الله عنه وارضاه • وجعل
الجنة متقلبه ومأواه • وخدمته في حضرته • كانت الاذن لهم واخدمهم ايام
انسهم • وعلى غيبتي عنه ايام محنته واعتلاله • وكنت اوفر الناس نصيبا
من نعم ايامه ودولته واقباله • نسأل الله ان يختم بالسعادة اعمالنا • فقد انقضت
في الخطايا اعمارنا • وان يحقق في كرمه آمالنا • فقد عظمت آثامنا واوزارنا •
وان يبدل الحسرات الباقية في القلوب بغفرانه • والغصص الكامنة
في الصدور بالسرور يوم النشور • وان يعوضنا عن النعم الفائتة في هذه
الدنيا نعيما في دار كرامته • ثم يعيد احسانا في جوار رحمته خالدا • انه ولي الاجابة
بفضله وطوله • الى بعض اصدقائه من الاشراف وهو ابو الحسن
ابن الزبيدي كتب منكرا عليه هذا على ان النقيب السيد الزبيدي ادام الله سعادته
فانبرك بلقائه وازوره في داره التي عمّرها الله بطول بقائه • ثم نشيعها على
الموافقة التي استغربت منا الى القرافة • وهو يعلم ان القرافة محل الافة • والحرم من
من الافة والمخافة • تنفسح فيها القلوب • وتنشرح الصدور • وترى العين في
هوائها مسارح • وتجد النفس من هوائها مراوح • اطيب المواضع بقعة •
وافسح المواقع رقعة • واعذب من غيره مساءً وماءً • وارق من ارض الرقتين
هواء • تتنزه الابصار • وترتاح النفوس لتنزهاتها • فكان ساكنها مضارب
منا • وكان ساكنها نال فيها المنى • وكان جامعها عروس تفتر عن طيب
مبسمها • وكان شارعها شارع مكة ايام موسمها • وكان بركتها ابهى كاس
مجوهرة • وكان ارضها بالزمرد مرصّعة • وكان في اطرافها فرشت مطارف
من طرائف الوشي والحلل • وكان اشجارها وصائف حليت في غرائب

جواب رقعة تقدمت

71

او كاليل والكلل • وكانما سطوح منازلها افلاك منها يتقدح زهر النجوم •
وكان سككها وازقتها بروج تنشرح فيها شهب الرجوم • وكان مساجدها
مشاهد الائمة من كثرة الوفود والزحم • وكان المصلين فيها ملايكة
ينتظرون من عند الله سبحانه غواشي الرحم • وكان اوقات المشاعل
من ضوء المشاعل والقناديل ضحوة نهار • وكان اصوات القرا بالليل
فيها جس اوتار او نغم المزامير • وكان هضابها المطلة عليها هضاب
قدس مطلة على قبة الصخرة • او جبل ابي قبيس مشرفا على فناء
الكعبة • فحيثما توجهت منها مرج ومرج • وكيفما جلت منها فلها ومالنا
وايما نزلت مشرب ومجلس • الايام فيها قصار • والليالي اسحار • والزمان
بها ظرائف • والماكل طرائف • والقرا يتجاوبون الى الصباح بقلوب خاشعة •
والمشايخ يتداعبون من الافراح بنفوس طايعة •

هذه صورة القرافة فانظر • منزلا هل ترى عليه مزيدا •
حرما آمنا وحصنا حصينا • وفناء رحبا وقصرا مشيدا •

فليبادر الشريف ادام الله سلامته الى منزلي فان ايام اللذات ان
ادركتها ففرص • وان فاتتك فغصص • واوقات المسرات ان ملكتها
فمختصرات • وان ضيعتها فحسرات • وزمان الطيبة ان اقام فقصير عمره
وان تولى فحثيث سيره • وليغتنم ساعة الاجتماع فانها تجمع شمل المعاشرة
والموانسة • وتحفظ نظام المذاكرة والمدارسة • وليعلم ان في احياء هذه
الليالي الشريفة بتلاوة القران • ومحادثة الاخوان • استعمالا للزهادة
تخلص من الكدر والكروب • واستنزالا للرحمة من عند الله لتمحيص
الذنوب • واستجلابا للسعادة تهزم جنود الشقاء • واشتمالا على
عبادة تعلي الدرجات في دار البقاء • ومن سعى للآخرة فقد ربح
وافلحت تجارته • ومن تعلق بالدنيا فقد افتضح وافتضحت خسارته •
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور • ولله عاقبة الامور • الى ابي
الحسن عميد الدولة وقت الوزارة وهي اول رقعة كتبها اليه •
انا اعلم اطال الله بقاء عميد الدولة ان كل سبب ليسد على المرء طريق سعادة
ويحول بينها وبين ارادته فمعدود في الحجب وان كان خفيا عن الابصار •
منسوب الى تقدير الرحمن وان كان فيه ضرب من الابتلاء والاختبار •

وهذه جملة حالي وتفصيلها • اني ركبت من داري بكرة يوم الخميس الثاني
من يوم العيد وقد اسفر الصباح عن نقابه • وقوض الليل وقطع اطنابه • ولا اقصد
الى الا الجليل حضرة التي هي شريعة برودها ونود المفضل بآمال • ويقصد روك
عنها باموال • وتنفشها جنود الاقبال • فتحظى منها بالجمال والجلال •
ولا غرض الا التبرك بمشاهدته • والتشرف بطلعته • ومعي كفيل الملك
ابو البركات • وكنا نقطع المسافة بمحاسن اوصافه • ونطوي الطريق
بنشر مناقب اسلافه • ونتفاوض في ذكر رياسته الاصيلة القديمة
واخلاقه الجميلة الكريمة • فلما بلغنا سويقة الوزير اعترضنا في مضيقها
فرس عابر عاير لحين الدولة شعاذة كفاه الله شره تعتريه على رغم
الراكبيه • في اوقات صبوح عاريه • او كافة الشاربه • فصدم البغلة
التي كانت تحتي صدمة الزقت ظهرها ببطن الارض • وبانت فوقي بالطول
والعرض • حتى جرت من تحتها جرا • واقمت اقامة من لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا • فلولا ان تداركني نعم من الله سبحانه الذي لا احصي نعمه • ولولا من نعمه
ما رفعت يدي قلما • ولا نقلت رجلي قدما • ولا تنفست نفسي نهشما
ولما • ولكني تحققت ان سعادة حضرته التي كنت متوجها اليها بعد صنع
الله الجميل • وفضله الجزيل • استقبلتني فاقلتني • وتوقتني فوقتني •
ووافتني فاكتنفتني • واقبالها قابلني فصرف عني صروف النوائب
وبركاتها احاطت في خاطتني من جميع المصائب والمصاعب • نعم ولولا ما
ابتليت به في هذه الحضرة سالفا وانفا من حسد الاعداء • ورميت به
قديما وحديثا من سهام اولاد الزنا • وفرقي من ان يعرض لي حاسد
في مجلسه فيقول ان العميدي لم يكن في تهنئته بالوزارة من السابقين
ولم يحضر حضرته حضور المخلصين المحققين • ولم يكن باذيال من
المتعلقين • لصنت مجلسه عن الانحجار • وما اشرت بساط الاعتذار
ولا جلالته من الابرام والاملال • ولما انهيت اليه صورة الحال
ومع هذه الحادثة التي قصرت خطاي من السعي الى حضرته • ولم تساعد
في تهنئته • بلسان يجري دائما طلق الجموح في مدحه وحمده • ولا ثنى
عنانه في الثناء عليه في قربه وبعده • رايت الاخلال بالمفترض له
على الحادي في دين الطاعة والولاء • فقدمت هذه الرقعة نائبة عني في

التقرير • ورذيلة سمة التأخير والتقصير • وانا اسأل الله ان يسعده
بهذا العيد وبسائر ايامه • ويضاعف لديه سوابغ اكرامه وانعامه •
ويبلغه نهاية مراده ومرامه • وان لا يخليه في جميع احواله من عز دائم •
وسعد لازم • وعرض سالم • ودهر مسالم • بمنه • وجوده •

في ذم الحسد يعرض فيها ببعض الرؤساء الاشراف

الحسد مذهب لا يعتقده الا من ضعف دينه • ومركب لا يقتعده الا
من سخف يقينه • وطريقة لا يركبها الا من قلت تقية بريته • و
خليقة لا يرضيها الا من استولى الرين على قلبه • وشريعة لا يردها
الا من يعارض الله في قضائه وقدرته • وطبيعة لا يريدها الا من
طبع الله على سمعه وبصره • ولباس لا يرضى بلبسه الا من يعرف
نقص نفسه • وفضل ابناء جنسه • وكفى الحاسد حزنا ان لا يقدر
ان يبوح بسره • فيشرق بغصص صدره • ولا يستطيع الابانة
عما في قلبه • فيموت بحزنه وكربه • ولا يمكنه اظهار حسده • فيتشقق
من غيظه وكمده • وان تنقطع كبده • اذا رأى من اغناه الله من
فضله • ويتوزع لبه اذا شاهد من يصنع المعروف الى اهله •
وحسبه حزنا ان يسهر ليله غما والمحسود هاجع • ويضجر نهاره هما
والمحسود وادع • ويستسلف عاجل الاضرار والمحسود غافل • ويصلى
دار البوار والمحسود عنها ذاهل • ويرى في مساءة غيره مسرته • وفي مضرة
من سواه منفعته • وما ظنك بمن لا تقنعه من الانسان زوال نعمته
حتى يرى سفك دمه • ولا يرضيه عند ذهاب ماله الا مع هلاكه
واستيصاله • ويتناهى في حسده • حتى لولده • ويقتاته بجهله • حتى من
اهله • ويبارز بلسانه وقلبه محارب • ويكاد يعيب في اعلانه وضميره مغاضب
ونسال الله ان يطهر قلوبنا من درن الحسد • ويغفر ذنوبنا الخافية من اجل
الرشد • ويزيدنا في الدنيا بالزهادة • التي هي سبب السعادة • وفي الآخرة
بالغفران الذي هو تمام الاحسان • بكرمه وجوده • اما يا سيدي ادام الله
بقائك • وكفاك شر من احسنت اليه • ووقاك • اتعجب من جوابك في فضل
الحرص الى اقصى غايتك • وتلقيك اعاديك بصفحة الهاز مع فضلك
وكفايتك • وارى لك ماء وجهك عند من يفنى بشربة ماء عليك •

فلم يخط معي المقاتل . واسمعني من صوت المفاجي ما اورثني صمما . واراني من
الخطب الفضيع ما ابكاني دما . وادمى بوفاة الشيخ تجاوز الله عنه جرحا
لا تلتئم فطوره . واماتت بموته قلبا لا يرجى نشوره . فيا لها من مصيبة
عمت وخصت . وكدرت على الحيرة واغصت . وفتحت للاحزان
بابا . وصارت بيني وبين السلوان حجابا . وسيف من كان للمتقي حصنا
ومعتمدا . ونكات كلوما لا تاسوها يد الزمان ابدا . واوجبت على كل من
يعزب من الدين يسهر ان تنسكب بدموع ساجمة . وبرثيه بنفس ذائبة . ويتجرع
لفقده كاسات الحزن صرفا . ونعت على الدهر فلا تقبل منه عدلا ولا صرفا
فلقد اثكل من كان محتشما في المجالس فلم يوقف منه على زلل . ومحتملا للقضا
فلم يبت منها على وجل . فيا لهفاه على فقده . وواسفاه على فقده
وما اعظم المصيبة فيمن كان سيفا لناصح الدعوة فانثلم . وركنا
[illegible] كان للدولة فانهدم . وبدرا استضاء المؤمنون بنور هديه
فدرج خسوفا . وشمسا تبلج في العقول من عارضته فيجمع صنوفا .
وغربا في ارباب غربا . ومتقصيا في ولاية فلا في يوم مكتسبا
فقد نقله الله الى جواره . واختار له الاخرة ليطهره فيها من اوزاره
فمضى وطعم الموت في فمه احلى من الشهد مذاقا . وراى انفاق عمره
في طاعة مولاه نفاقا . واعتقد ورود المنية في ابتغاء رضاه
عزا . وبلوغ الامنية في مخالفة امره عجزا . فلقي حمامه بعزم غير
منتشر . وجاش غير منكسر . وعقيدة بحسن الموالاة معقودة
وذكرة في ذات الله محمودة . ففارق دنياه مشتاقا للشهادة .
لتحقق في عقباه من السعادة . وبادر الى روحه في تحفة ليؤدي
بها حقوق النعمة . وساعيا في مصالح الدين سعي الناصح الامين
رضي الله عنه رضى يحله بحبوحة جنته ويقبل منه نجعته . وعفوا [illegible]
بها جنانه . ويرفع فيها مكانه . ورحمة يقدس بها روحه . ويفسح
عليه ضريحه . والهم الشيخ العزاء وان عظم بهذا المصاب خطبه
ورزقه الصبر وان انقطع في هذا الرزء سببه . وجعل هذه المصيبة
اخر مصائبه . وخاتمة رزاياه ونوائبه . واجزل له الاجر والثواب بما يبدله
من التسليم والاحتساب بمنه وجوده . والشيخ ادام الله سلامته اولى من [illegible]

وبذلك مضون حاجتك لمن لا يصلح ان يقف بين يديك • وتردد
الى من لا يرى قضاء حاجتك • ولا يستطيع ان يزيد في رزقك •
وانقطاع آمالك عمن عمت الخلق نعمته • ووسعت كل شي رحمته • وتتاجر
على حرام تدخره • معتمدا على انك لا يبقى آخره • وتفاخرك بحطام تلفقه •
ولعل عدوك ينفقه ويفرقه • اما تعلم ان مجموع الدنيا متاع الغرور •
وانك لا تنتفع بمال تخلفه لغيرك يوم النشور • وانك اسلم ما تكون
غدا اذا خف ظهرك • وقل وزرك • وصفا ايمانك • واستوى في الخير
سرك واعلانك • وان تلقى ربك غير مسرف • ولا مقترف • ولا مجحف
ولا ملحف • وكاني بك وقد بلغت الى هذا الفصل فتلوت من القران العظيم
قول الله الرحمن الرحيم • اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون • وتقول مخاطبا يا واعظ عظ نفسك • فانك
تامر بخلاف ما تفعل • وتنهى بضد ما تفعل • وتخبط كالعشوا • وتخبط
في الظلما • وترقم على الما • وتذهب فيما تقول مذهب الشعرا • وطالما
رايناك وانت متعلق بحبال الغرور • وبكلتا يديك • تعشق من محال الزور
ما نقلت وطاير عليك • مستدع في هواك • متبع مناك • موشح في
الخطايا خطاك • بايع آخرتك بدنياك • واصل ليلك بنهارك فيما
ثلم دينك • ووسم بالحرمان جبينك • آمن من سهام دهرك • طالب
نظام امرك • مصادق من ما نعك في اخفائه • وان بمن اسرّ حسوه في
ارتغائه • ساكن الى من سعى في فسادك • نايم عمن تنبّه لعنادك •
متقرب الى من جدّ في ابعادك • محتب الى من اجتهد في جهادك •
غافل عمن دبّت اليك عقارب فكره • ذاهل عمن انصبّت عليك
سحايب شره • معول على من ذاحمتك مناكب غدره • متكل على من
هزمتك كتايب مكره وختره • مصاحب من مشى بينك باب الهجر •
معاشر من لبس لك جلد النمر • مغتر بمن اوردك موارد الغرر • معتمد
بمن تربص بك اوابد الغير • معتمد على من قصدك وافسدك • ومعتمد
فابعدك • ونكبك فحربك • وبغضك فتفضل • وهلم جرا الى اليوم
وانت بعد راكب راسك فيما يكسبك الاثم والاثام • ويغشيك الظلم
والظلام • جار في ميدان الهوى طلق الجموح • لاه بالنصيح ساه عن التوبة


النصوح

73

النصوح • ساع فيما يلقيك بعد الكد في الاكدا • ويشقيك عقب الكد بالدا • ناس لطول الامل قصير الاجل • وليتراخى المهل مستقبل الوجل
شفيق عرك عن ما تقرع عليه سن نادم • وتمرغ له انف راغم • مستذل لمن يعرف بمقدارك • ولا يثق في الفضل غبارك • فكيف تنهى
عن خلق وتاتي مثله • وتحمل غيرك ما لا تطيق حمله • وترشده الى طريق تعجز عن ان تسلكه • وتمنيه بما ليس في قدرتك ان تملكه • وكان من
قضية العقل ان ترتدع عن كل رذيلة ثم تردع اخاك • وتمتنع من كل نقيصة ثم تمنع سواك • وتطهر عرضك عن المعايب ثم تعيب اخوانك
وتثني عنانك عن الباطل ثم تطلق بالحق لسانك • لقد نصحت والله فيما قلت • ونصحت وصدقت فيما ذكرت وشرحت • فما اعذب لفظك
وانفع وعظك • وما ادفع ملامك • واشبع كلامك • وما اضلني عن منهج الحق وطريقه • وما احيرني في ورطة الباطل ومضيقه • وما الحجني فيما
ياخذ بكظمي • ويقيمني هذا على قدمي • وما اشد اختلاجي بين غربتي وصحبته • وغرتي شيبته • ونفقي على نفاقه • وتخدعني سكونه واطراقه • وما
اكثر اغتراري باليوم الحاضر • واقل اعتباري بامس الدابر • وما اقوى ايماني بمن كذب في وعده ووعيده • وما اصدق حاجتي الى الصنع من عند الله
يقيني مكايد الحساد • وعناية من لدنه تعينني على اعداد الزاد ليوم المعاد •
وما ذلك على الله بعزيز ان يصون وجهي بالقناعة عن التبذل للمتبذل
ويوفقني لما يرضاه في القول والعمل بطوله وحوله • وجوده ومجده •

رقعة في الترغيب بصون الحكمة والرغبة بتخفيفها ابو الفتح الهروي

لعلك يا فلان ارشدك الله الى الخير تحققت ان في هذه الدنيا سوقا تروج بضاعتك فيها وتنفق • وتبتاع سلعتك التي تتاجر
بها وتنفق • فامتريت من الوقاحة در اخلافها • وجمعتها على صنوف
اختلافها • وملكتها باجناسها واوصافها • واحتويت عليها من جميع اطرافها
وانفت من كتابتك وان كنت قليل المعرفة بها فتحرين الحظ منها
والقيت ثقلها من منكبك • والغيت ذكرها من قلبك • ونفضت
من وساوسها كنانتك • وقصيت من اياسها الباسك • فبئس الراي
الذي رايت • وبابليس في هذا الباب اقتديت • وان كنت اعلم علما يقينا

ان الكتابة حرفة لا يتحلى بها الا المحارف . ولا يتجرى منها الا عالم باهل
الزمان عارف . فياليت شعري ما الذي يعارضك فيما اخترت لنفسك
او يفاوضك فيما فعلته في يومك وامسك . وانت ما كنت تكسب
بكتابتك الخسيسة ابدا درهما واحدا . وبلغت بطنجتك ومشقتك
عنان السماء فصاعدا . يا انسان . واستغفر الله من قولي هذا فقد شوهت
بصورة على ما بلغني من الثقات مطنزا ومضحكة . وما بقيت من العقل
الذي يتعرف بالناس لك بلغة ومسكة . تركت طول نهارك في الاسواق
مارا وجائيا وامامك تقاد مراكب . وقدامك تجب جنائب . وقد
وسعت جيب سراويلك . وارخيت طرف منديلك . واسبلت
شاربك . وسلكت هندية . ولبست زنارك . وجاجلتك
عضدية . وسخرت قواما صفاعنة سميتهم حاشيتك يمشون
بين يديك بالترسة والرماح . ويتناولون بالتطريق والصياح
اشكالك بعقلك المروس . ووجهك المقشر وقدرك المحنز . وشومك
المكور . يطلع المخبز . ويلبس الخز . ويجيش بالتقريب والترحيب .
ويقلد خدمة البريد والترتيب . ولا يضرب كالطبل . ولا يربط
في الاصطبل . ولا يفرش من مخمة السماد . ولا ينقل على ظهره الرماد .
ما اسرع ما ظلت بافزعة . وما اوشك ما تقرنت بابدق . وما اكثر
سقاطك لنفسك . واشد تورطك في نحسك . ان البغاث بارضنا
تستنسر استنت الفصال حتى القرعى . لئن كنت من الناس فانوق
الذرى كلب . ومن اعجب الاشيا تيس مطرق . اتنسيت بإهذا ايام
جوعك . ومحاولك في مسالة الناس وقنوعك . والتحافك بحصر المساجد .
وقصدك ابواب السوقة بالقصايد . وربما اشتهيت ان تشبع جوفك .
وتامن خوفك . وتستر بعد العري جسمك . وتظهر بعد الخمول اسمك .
اترى ان استخدمت في الترتيب الا استنكافا من سوء حالك . ورحمة
لك ولامثالك . فباي وجه استحق منك تنسب ما تدنس به عرضك
الي . وتصانع الناس عليه من حطام الحيا . وتخيل ما هتك الله به سترك
ووضع من قدرك . علي . اجهلك ابقائي عليك في ابقائك على
خدمتك وتركك . ام حسبت ان يدي تقصر عن تاديبك وعركك .

او للذي قرأت بهذا برام القاضي حتى مسحت منه مضاغير محدوح • و
سَعَيت معه في هلاك دبح الى فوح • وكذبت في كل ما كتبت • وجلبت
لك ولغيرك من سوء الفالة ما جلبت • خفي على سمع وضوحه • ولاح على
بحث وجه • ليست خدمتك التي تنظر فيها خدمة الترتيب • ولا دكتك
التي اسمع بذكرها ركبة الحازم اللبيب • عسى انك لما دانت لنفسك دبتة
طفيفة • وجعلت لما يدتلك كل يوم وظيفة • تمنيت ان تكون خليفة
هذه مقدمة الجنون والوسواس • ونتيجة دماغك اليابس • مع ما اني يعلم الله
اني لا اعجب من غلطة الدهر وترقيه لك بلغت هواك • ويملكك مناك •
ولا استبعد من شوم الزمان وحرفان ينقلك من حفرة القذارة والسخافة
الى درجة الامارة والخلافة • فنيلك بحمد الله لكل حالة آلة • ولكل صدر
جلالة • ولست تعدم من ابرار الخلفاء غير ثلاثة اشيا • الدعوة • ودار
الضرب • والمظلة • اما الدعوة فانها استناطرة من الضعفاء عليك
متصلة من كل جهة اليك • لازمة لك حتى تقطع وصلك • وتقطع
اصلك • وتبدد شملك • وتربك فعلك • واما دار الضرب فسترى
لنفسك محادثة فيها من قريب حين تبدد تنقل • وحبس طويل وبحس
وهوان • وخذلان وامتحان • فيضرب فيها كعبك • ويخلع قلبك • و
توافق على عيوبك • وتعاقب بذنوبك • واما المظلة فربما تبطوا منك
وجودها • ويتعسر في خلقك عوضها وعودها • ولكن ترى بدل المظلة
مذلة تظل عليك حتى تركب ومركوبك الادهم • وتشرب ومشروبك
العلقم • وقد جرى في الموقف الاشرف زاده الله في جلالته من ذكر اهمالك الجالبة
لك الغي وما يصم اذنيك • ويسخن عينيك • والليك يساق الحديث
وان غدا لناظره قريب **اقتضا منزل اسعد بن مقبل في سوغ**
مطل بها ابن بدرون بخير لا يأتي على عجل • والتربيس بيلة شراه •
استلبنا حفظك الله واتمتع بك في ايامنا هذه بعصابة من الانذال
غضب الله وسمهم بالخذلان • وامتحنا بطائفة من السفل طافت عليهم
دائرة الحرمان • قد اشتهر والله نفاقهم • وطال في سوق الباطل نفاقهم •
وقد دنست اخلاقهم • وظهر في المصادر قبح اخلاقهم • فجزاهم الله عنا شر
الجزاء • وحرمهم قلوب الرجاء • وعوضنا منهم اخوان الصفا • التمكين

يوى الوفا، بفضله • قد كنت حفظك الله شاهد ما جرى بيني وبين ابن •
بدروس شهور عند اجتماع • وما كان يتكلفه من التملق الذي هو عادة
الرعاع الاتباع • ويتعاطاه من مخادعة ابناء بمنطق خلب • وبرق
خلب • وقول كذب • وجد في صورة لعب • ويعلق رجاي ابا ما
بباطل وعده • وعاطل عهده • وواهي عقده • وواهن وده •
وكنت اراه بعين الاستزراء وانظر اليه نظر من يعلم انه كسدت بضايعه
وفسدت ذرايعه • وانحلت نواميسه • وركدت طواويسه • وانحقق
ان مودته تكدي • ولا تجدي • وانه يخفي خلاف ما يبدي • وان مواعيده
كلها اضغاث احلام • وهواجس اوهام • فهو لا يتقرب الى سلطان الا
بشر غالب • او وعد كاذب • لا يعتمد عليه لانه كالثوب الخلق ان رقع
من جانب • تخرق من جانب • رداه الله برداء عمله • وقصر باعه
دون بلوغ امله • والله لا يصلح عمل المفسدين • ثم كنت ارسلت
الى صديقنا فلان رقعة في معنى اخراج الحال بسبب الكسوة التي في الخزانة
الخاصة مقرونة برقعة لطيفة الى الاستاذ الفاضل ابي البيان ايده الله
واعتمدت على من هو معتمد كل قاصد • ومعقل كل عاقل • وتعلقت على من لم
يزل متعلقا على المكارم • متهالكا على المغارم • نازلا من المجد طود الاذربات العرانين
هضابه • متمكنا من الفضل بحيث لا تقطع الايام طنابه • حالا من المجد الاعلى محلا
لا يستبيح الدهر جنابه • متعلقا من المروة بما لا تقطع الحوادث اسبابه • وان
المروة موقوفة بالاطلاق • وهي جولب امالي من الاكداء والاخفاق • فاشد ما تكون
الحاجة اليها في العيد وقد قربت ايامه • ودنا التامه • واحب ان لا
تجتمع بقصد بعناق كلا • فان قضيت الحاجة فانت بقبضها من الخازن
مطلوب • وكان عرضتها على الاستاذ ايده الله ليهتم باتمامها فانا اليه منسوب
وعليه محسوب • والسلام • رقعة الى صديق لي رق الاذكار
وهو هب انا اذا اضيفت الى الشيخ ادام الله عزه بعد التحسن والتعزز علقت
نفسي باقتراب القرب • فاقنع بها عليلا • وسقيتها بورود منهله العذب
لتسكن قليلا • ولو وجدت سبيلا الى الاستكثار منه • واقتباس غرايب
الاداب عنه • لرايت فيه الغنيمة الكبرى • والفايدة العظمى • بل لو تمكنت
من ملازمة تلك الحضرة الجليلة التي هي ملتقى الركبان • وموسم الشعراء

وزارة

وزارة الفضل ومجمع الفضائل • ومشرع الرياسة والنباهة • ومنبع الاقبال
والسعادة • فلو زرتها لملازمة الظل • واخترت من قلبي بمشاهدتها
جنوح الشغل • ولكني عكوفي على الخدمة السعيدة التي بها اعتز وبها
اعتزي • وفي كنفها امني ولكنفها انتمي • قصر شان تصرفي على حكم الاختيار
وتعذر الطريق الى الاخلال بها او فسح طرف الاعتذار • والله يبقي الشيخ
ورقيه • ويمتعني بروحه • انقبضت عنه او انبسطت • وفرطت في قضاء
حقه او افرطت • وغبت عنه او شهدت • وقربت منه او بعدت •
فلا يخليني من المرغوب فيه من مودته • والمظنون به من مخالصته
ومشاركته • بمنه وقدرته • كان الشيخ ادام الله عزه يوم الاجتماع في
موضع كذا ابتدأ مستقصيا للتجارب في امر مجاري بانكار ما تم على
ما تمامن جفاء الديوان وسوء عشرته وضمن عن الشيخ متولي ديوان الزمام
تولاه الله بحفظه السعي في تحصيله • والاهتمام بجملته وتفصيله • فلقد
ابتليت يعلم الله في امر هذه الصدقة بمن لا يصدق في وعده • ولا ينتهي
ان ياكل الا وحده • وانا شديد الثقة بما بذله من جميل ضمانه • عارف
بمكانه • ذلك المحير وامكانه • معول على المشهور من مروته وفتوته • ولولا
الحشم تقطعني من مخاطبته • وتمنعني من مكاتبته • لذكرت له بعض ما
يتم على كل سنة منه علما بانه يتجرد لمصالحي تجرد من يعرف قدر الحال •
ويصونون مصونه جاهم عن الابتذال • والشيخ ادام الله عزه اولى من
يتطول بتعريف ذلك الحر ما ضمنه لي عنه • ووعدني به منه • ويشيد
بنا ما الله في المودة لا تتضعضع مبانيها • ولا تتقض مغانيها • ويتلطف
في السعي بين الاثنين لئلا يتصعب على ان اطري كل وقت برعاية •
واهدي ما يكسد من بضاعتي اليه • ويحثه على اعتناق هذا الامر •
واطفاء ما احترق من هذا الجمر • فلقد رضيت بالنبع العام منه وان كنت
فيه مظلوما • وارضى بان ياكل مالي مثله وابقى محروما • ويتكفل بجهده
الحاجة تكفل من حرص على ارتباط عرى الشكر • والامان في تصرفات
نوادر الدهر • ويعرفني من اخبار سلامته • وانتظام امره • واتساق
ما اسكن اليه • واعتد بشكر الله كثيرا عليه ان شاء الله • وله رقعة في
الشيخ النجم لم يعد علته اخي جسم ان يكون بعون الله ملحوظا • ومن

نوائب الزمان ونوازله محفوظا • وبالاقبال مقرونا • وعن صنوف
الاغلال مصونا • بحضرة الشيخ نجيب الدولة احسن الله ولايته • ودوام
كفايته ووقايته • فانه جمع بحمد الله من الكرم • ووفر من المجد تمكينه
ووسم بالفضل جبينه • لا زالت خدود الاعداء له ضارعة • والسنة
المودة لمساعيه طائعة • ثم انني ابكرت اول امس من منزلي
بالقاهرة مبادرا الى النزول اليه لعيادته • واستيفاء الحظ من
سعادته • فصدمتني في الطريق بغلة ريثا • وهشمت بدني
رضا ورضيا • حتى لقيت من تلك السقطة ارا صعبا • وجذبت
من نحرها بعد اللتيا جذبا • وبقيت الى يومي هذا كالمنكوب المكروب •
ولا اطمع في تحريك ركبتي فضلا عن الركوب • ولما بلغني اشتداد
الوجع به • توجعت لوجع من يشاركنا نائبه • وساقه بما اصابه •
وقدمت رقعتي هذه نائبة في الاعتذار • ومقررة الضرورة التي
حالت بيني وبين الاختيار • وانا ابتهل الى الله في ان يجعل مقامه
مديدا • ويعقبه عاجلا ركوبا حميدا • ولا يفجع اهل الفضل بعدمه •
ولا يخلي الكافة من تنسم روائح فضل كرمه • بلطفه وعطفه •

رقعة الى عميد الدولة ابي الحسن بن صالح في [illegible]

قد تفضل الشيخ عميد الدولة ادام الله فضله • ولا ازال مناظله فيما تجشم
وتلطف فيه من الاذكار بحديث الجاري وجرى على كرم عادته في اعادته •
بعد انقطاع مادته • وسعيه في تمهيد الامر بالحضرة المعظمة زاد الله في
جلالتها وتقريره • وتسهيله على الحالة التي ذكرها بعد تعذيره • حتى استقامت
الحال بعد ان كانت مائلة • وحليت بعد ان صارت عاطلة • والقت
عصاها بعد ان كانت راحلة • وطاب جناها عقيب ما كانت ذاوية
ناحلة • وزال ضناها بعد ان كانت ضاوية ناحلة • تفضلا منه
اطلق لساني بشكره حيث ما سار وسرى برا وبحرا • ونطق لا بسط بناني
بنشره كيفما تصرفت نظما ونثرا • وبحي فيما قدمه في باب مكرمة ادني طريق
مكافاة عليها او الاتيان بها معتذرا • وسالت مجازاته على ما خصني بجمالها
متوعرا • حتى يجانبني الضرورة الى ركوب مركب الثناء الذي هو اطوع مقادا •
والميل الى جانب الدعاء الذي هو اخصب مرادا • واخلصت رغبتي الى الله

ه

ان يمده بالمعونة على ما يتولاه ويعضده بالكفاية فيما يتحراه ويبلغه
الارادة فيما يتمناه ويؤيده بالسعادة في اولاه واخراه بلطفه وكرمه
وللشيخ عميد الدولة ادام الله نعمته عندي منن اثقلها اوزها واسناها
ادناها قد اضعفت كاهلي عن ان ينهض بحملها واهبطت كاهلي
عن ان ينوء بثقلها وبقيت تكرمة واحدة اذا انجزها واحكمها صار
في وجوه ما سلف عندي من منته غرة وفي قلائد ما نظم لي من
اياديه درة وهي ان يتلطف في فصل امري بالحضرة المقدسة
زاد الله في عزها على احدى الحسنيين اما امساك بمعروف او
تسريح باحسان ويعلم ان لي نفساً عزوفاً متشعرة الدنيا بالدون
وهي كالحرة تجوع ولا تاكل بثدييها ويقبح بي وقد لبست بهذه
الحضرة ملابس العز وجررت بولاياتها جلابيب القدر وامتزجت
فيها اخلاقي بالمنفع والفقر ووفيت بشروط الشكر والفخر ان اصبر
على خطتي خسف وهوان وانذلل لفلان وفلان وينظر الي
بعين ابتذال وهوان وينقص رزقي من رزق مدبر الديوان
هذه والله الخطة الشنعاء والداهية الصلعاء والطامة
الكبرى والمصيبة العظمى والفضيحة التي لا يلتئم جرحها
والمحنة التي لا يزول على الايام قبحها واذا ما جنيت كنت جديراً
ان ارى غير مصبح حيث امسي الله يعلم اني ما جئت بارض الا
كنت عند صاحبها معظماً مقدماً ولا حللت ببلدة الا
كنت صاحبها موقراً معظماً ولم ارض نفسي الى هذه الغاية حيثما
القيت رحلي الا مميزاً بالاصطفاء والاقتفاء بين الاكفاء والنظراء
ومخصوصة بالاعظام والاجلال من بين الامثال والاشكال
ويعز علي ان احط بعد الحذاق الى تعلم حظي وهوان وان اضع
قرني في يدي بزاز فليت شعري باي جرم يسقط رزقي الراتب
وباي ذنب تشمت بي الحاسد الكاذب ولم الام وانا نقي الجيب
من كل عيب ولم اضام وانا من صناعتي في حمى كليب وما جنايتي
اذ المراجع واجب في الضرائب وكم لا اعد الماجد دون الذنائب
ولم اجرح بكل سهم عابر عائر واداس بكل ظلف وحافر او عاجز

فالاعتبار ينسبني الى العجز في الخدم • او ناقص فالاختبار
يفضلني على افاضل الخدم ومن فضله عن الخدم •

جنايتي ان حسادي فانهم • عمي عن الفضل زواغ عن الكرم
لا يعرفون مقادير الرجال ولا • يدرون بالفرق بين الكلم والكلم
قوم لئام اذا ابصرت نعمتهم • دعوت ربك يستعفي عن النعم

والشيخ عميد الدولة ادام الله دولته اولى من يتجرد لتخليصي من
هذه الورطة بجميل عنايته • ويخرجني من هذه الظلمات بنور
هدايته • ويذيقني من حلاوة منته ما لا ينغص بعده عيش
علي • ولا تهتدي الايام بعد الى الاساءة الي • ان شاء الله تعالى

وفصل في المعاتبة والاقتضاء والشكوى تعريضا وتصريحا

لو كان العبد ادام الله عز الشيخ عميد الدولة في دوام عطلتي
وعزلتي • وامتداد ايام بطالتي • واتلاد حالي لا ارعا غير
متعهد وعارها وقعا على غير متحفظ مقدارها • لاحتملت ملام
العايب • ولقبلت كلام العايب • ولكنني تحقق انه ما يسال عن
حالي سائل • ولا يسمع بخبري مقيم ولا راحل • وهو يعلم ان
صناعتي غير ضعيفة • وبضاعتي غير طفيفة • ويدي غير
كسيرة • وعبارتي غير قصيرة • ومعرفتي بها اوتوه غير قليلة •
وبصيري بما اولوه غير كليلة ولا عليلة • ثم يبلغه اني بهذه الحضرة
الجليلة في صورة المطرود المجنى عليه • والمقصود المسا اليه • والمطرح
الذي لا رغبة لاحد في استخدامه • ولا قدرة لفاضل على اعادة امره الى
نظامه • والمبعد الذي ضاقت هذه الحضرة الرحيبة مع انفساحها واتساعها
وكثرة دخلها وارتفاعها • وعظم خطرها ومكانها • وجلالة مالكها وسلطانها
على الاشتمال عليه • وعجزت عن الاحسان اليه • واجاز فيها يجري فيطي
يتقلب في النعيم يمينا ويسارا • او عطلي يقارن قارون ثروة ويسارا •
او دخيل في نسبه يخون السلطان اعلانا واسرارا • او عليل في ادبه
ياكل الدنيا اسرافا وبدارا • الا ونسب ذا عن الى ضعف الانتقاد • وسوء
الاعتقاد • او كثرة العجز والنقص • وقلة التمييز والفحص • او الحسد الذي
اكثر ما يبتلى به الفضلاء • واللدد الذي لا يخلو عن مثله الاغنياء • وانا

٦٩

أحاشي حضرته أن ترى يومًا من الفضائل • أو تخلو عن المحامد والعقايل •
أو تنسب الى اضاعة حقوق الافاضل • أو تعجز عن محاسن آبائه الاوائل •
لا سيما وبيده عنان الملك يصرفه كما يريده • وديوانه الذي هو اليوم
عماده وعميده • واحوال جليلة تنبئ عن اصالة عقله • وجلالة
أصله • ووفور انصافه وعدله • وظهور ادبه وفضله • وتعصبه
لمن يجيل في الآداب قِدحًا • أو يبذل في مودته نصحًا • وقد شرحت
صورة حالي له في رقاع عدة سبقت اليه • وذكرت له ما تحققته انه لا
ينفذ رعليه من ذكر حالي بالحضرة المقدسة واصلاحها • انقضت
معاهدها • وتكدرت مواردها • على اني زاهد في هذه الايام
في الاعمال وان كانت جليلة • وقانع بتلك الصدقة التي كانت على رسم
الجاري وان كانت قليلة • وواثق بان هذه المنة اذا انها كانت
واسطة في قلوبه منه الغر • وصنيعة تحدث بجمالها الى آخر الزمان ان شاء الله

الى بعض اصدقائه في المعاتبة وهو ابو البيان

يا سيدي احسن الله معونتك • وادام الاستمتاع بك والدفاع عنك • كذب
النعاني ان المجد لا يتغير بتغير الآباد • وضعف الاجواد • وقل الامجاد •
وكثر الحساد • وظهر في الناس الفساد • وطاب البعاد عنهم والانفراد •
وصارت المروة قد عز مطلبها • والفتوة صعب مركبها • والمكارم ابكر
مذهبها • والفضائل اسود مذهبها • والآداب محصاة في النوادر و
المضاحك • والمحامد ملقاة كحرف العاتك • والصدق قليل ما يستعمل
الا في المطل • والرزق قليل يستنزل بالسخف والهزل • وبقيت من
ربوع الانسانية اطلال لا انيس بها ولا مناخ • وابتلينا باقوام يعدون
مفاخرنا كبائر • كأنهم لم ينشدوا قول بشر بن كدام الهلالي حيث يقول

العرف من يأته يحمد مغبته • ما ضاع عرف وان اوليته حجرا •

وقول ابن مناذر التميمي حيث يقول

ما دام جاهك معمور جوانبه • فابذله للناس حتى تبلغ البيدا •

وكأنهم لم يسمعوا قول صديقنا ابن نباتة رحمه الله وهو يقول

يعطون ما يعطون من نفوسهم • فيه فلا يزكو ولا ينمى •
فاذا اتى معروفهم لم يأت في • وقت يفرج عن اخي الغم •

من محاسن اثاره واحواله • واشتاق لمن تشتاق غداً الى مشاهدته
لايغتنم من روايح شمائله وخصاله • وباعد من تتنزه في رياض خلقه
واداب الاسماع والابصار • وتحاسد على جلاده عدد سكان البلاد
والامصار • وهذه حالي ومن فارقته • وصورتي ومن باينته •
واعجب ماترى في هذه الشقة • مجادلة قلبي ورجلي • وغرايب
معاتبتهما من اجلي • فقلبي يقول للرجل لولا مسيرك عن مستقر
الفضل الاصيل • وانتقالك عن ظله الظليل • لما انقلب على لهب
من الشوق لا يخبو ضرامه • ولما اصبح غرضاً للنزاع لا تشتوي سهامه •
ولما انطوى على اسف يؤثر بعضه في الحجر الصلد • ولما انفرد عن جناب
دونه جنة الخلد • والرجل تقول لولا كثرة ملالك وضجرك • وازماعك
على سفرك • وفرط قلقاتك اذا كنت بارض ثاويا • وسعيك
فيما لا يخليك عن الشغل خاليا • لما وطئت الاسباط لجلادة ليلا
ونهارا • ولما نقلت خطاي منه رواحا وابتكارا • ولكفيت بقعودي
مؤونة الطلب • ولما اسا في اوان السير الى التعب • وانا ساعي
بينهما بالمسالمة • ومانع لهما من في المخاصمة • وقائل لهما ماكما ذنب
ولا عليكما عتب • ولا انتما ملامان • ولا ملومان • فاول ما يلام على
ابعادي • عن مرادي القدر المولع بتنغيص العيش • واحرى ما يذم
وينتام عن اقتصاصي عن مباني الدهر المؤذن بالشتات • وهل صفا
عيش لكريم فيكون لي صافيا • او ساعد الزمان حرا فيصبح لي مساعدا
والدنيا اكثرها هموم • والحريص فيها مهموم محروم • والنازع في حل دقائق
بجز عاياتها المقتصر • والانوثث في اكثر تاراته يدرك ما لا يدركه
العاقل المتبصر • وما ذلك على الله بعزيز ان يسعدني عاجلا بلقاء
مولاي الزينة الجليل • ويعيدني من حضرته الى حال كنت بها مسعودا
محسودا • ويذيقني من حلاوة الناظرة ولا ابرحها بمنه وعونه • فاما
حديث المسافة التي سلكتها بعد مفارقتي حضرته آنسها الله الى هذه
الناحية • فلقد كانت يعلم الله شاقة ودعة • ونتنة صعبة • لم اركب
كل يوم الا بعد توبة واستغفار • ولم امر طول طريق الا على شفير
هار • ولم اصحب الا شياطين الانس • ولم احط رحلي كل ليلة الا

بدل العز

في

فيضيع ما الهم واجرهم … هذا ولا يخلون من ذو

الحمد انك تعلم ان الضرورة تدعوني الى ان اجري بما لا اوثره قلبي • وانقل الى من لا اخبر قدري • واطرح بزي عند كل من لا ينتز بضاعتي • واكره نفسي عند من يعرف كبر سني وصدق قناعتي فاغنني بجودك عن مخاطبة من لا يخاطبني الا من السما • وعن من لا يسقيني على ظماي غير لعوق الما • انك سميع الدعا • قد برد يا سيدي ادام الله عزك الخطاب • في حديث الثياب • ولو صرف الاستاد ادام الله حراسته عزمته من عزماته الثاقبة الى عرض الرقعة • وتلطف في تحصيل اعتداده بالشرعة • لعددناه من عنده خلعة خالعة لقلوب الحساد • قاطعة لآجال الاضداد • لوجدني جاريا من شكره في ميدان لو جارتني الريح فيه لتركتها مقيدة • ولو سابقتني الاقدار لها لغادرتها حائرة متبلدة • والذي اوثره ان نلتقي به في خلوة وننشده على طريق الاذكار • بيتي الزبير بن بكار في الفتح ابن خاقان •

ما انت بالسبب الضعيف وانما … نجح الامور بقوة الاسباب
واليوم حاجتنا اليك وانما … يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

وانا اتحقق ان فيه اريحية تهزه على اكتساب المكارم وابتنائها • واجتلاب المحامد واقتنائها • ويطالعني فيما يتجدد فاني اراعيه ان شاء الله تعالى

الى الشريف القاضي ابي الحسن بن ابي طالب الزيدي يستزيره ويعاتبه

سيدي الشريف القاضي ادام الله نعمته وسعادته نازل من الشرف على شرف لا ينال مكانه • ويقيم من المجد على طود لا تتزعزع اركانه • ويحل من طهارة النسب بمحل يرفل في حليه وحلله • وحال يغني غيره عن تفصيله وجمله • فاذا عنى ان اقول في امره اذا بالغت في استطرابه لم ابلغ عاب ستحقه الا يسيرا • واذا تناهيت في مدح آبائه رجعت على ادراجي حسيرا • واذا لم يغن الاكثار فالاختصار اجمل • واذا لم يجد الابلاغ فالاقتصار امثل • ابقاه الله كيف يشاء وكما يختار ليحيي الدين بمناقبه معمور الجوانب • واحياه لحيي الفضل بحياته منصور المواكب • فانه حجة على النواصب • وجمال لآل بني طالب • ثم انا اتحقق ان سيدي الشريف القاضي ادام الله نعمته اذا عقد عقدا وفى بعنانه بالكرم • واذا قصد لم او صنع

للفظ

98

اليه موضع المنقب • واذا وعد وعدا اسلف انجازه قبل وقته • واذا غرس
غرسا سقاه قبل نضوج نبته • وقد علم الله ما بذله لسانه • واكد فيه
ضمانه • من ايناس الكافة بحفظ نظام الالفة في ليلتي الجمعة والسبت
بالقرافة • وليس الغرض يعلم الله في تجشيم المشقة الا للتشرف
بطلعته • والاستشفاء بغرته • والتبرك بمجالسته ومحادثته •
والتيمن بمصافحته ومطايبته • وقطع الوقت بما يصل انسنا •
وليسر نفسنا • وقد جرى ما جرى • وسومح بما مضى • وطويت
والله صحائف فلا تقبل منه بعد اليوم معذرة • وا عضلت
على الذنوب السالفة ما بعدها الا نفقة مغفرة • وانا راغب الى
تفضله • ومعول على ما عنده من جميل تطوله • وملتمس اجراي
على جميل عادته في تشريف الجماعة وعمارة سبيل المودة بقربه • وتبين
قرائن الاعتذار • بالابتدار الى الدار ان شاء الله تعالى

الى بعض الروسا من الخدم يعاتبه ويعرض بانساله

مستقبل بالذي اهوى وان كثرت • منه الاساءة معذور بما صنعا
في خلقه شافع يمحو اساءته • من القلوب وجيه حيثما شفعا

انا مع الاستاذ ادام الله تمكينه بين حالتي تعجب واعجاب • وعتاب
واستعتاب • فاذا رايت اعراضه عني تعجبت • واذا سمعت بما
يعتقده في رجحت واعجبت • واذا تحقق حظي من رعايته ادللت
وعاتبته • واذا نقص حظي من عنايته استرضيت واستعتبت •
فلا عدمت من لا يزول عن ضميري وده • ولا يستحيل عن مناهج
الصدق عهده • ولا يخل عن القرب والبعد عقده • ولا ينفك
على اللسان شكره وحمده • ولا خلوت من ان اخطره بخاطري انشرح
له صدري • واذا مثلته لناظري استقام امري • واذا حللت
بعقوته علا قدري • واذا استمسكت بعروته اعتبني دهري • واذا
ذكرته بلساني ارتفع ذكري • واذا استظهرت بفضله اشتد ازري •
ولا زالت الدولة خادمة لحضرته • والايام جارية على حكم ارادته • و
الاقبال متقبلا لبنيه • والسعد مقرونا بساعده • ثم كنت ادام الله
عز الاستاذ من اول شوال والى هذه المدة اقاسي من العلل الصعبة

ما هدّم جسمي وَهدّه • واضعف بدني واجهده • حتى اشرفت على
الحين نحولاً وانحلالاً • ولم اركب فيه غير مرتبتي مضطراً لاختياراً •
وكان الامر العالي زاده الله نفاذاً واخرج فيه بالانعام من غير اعتماد على
احداً واتكال • او الحاجات في سؤال • باطلاق كسوتي في المحرم كما كان
الرسم جرى به • وكان التوقيع نفذه فيه الى ابن بدرس • ولم يزل يسوّف
ويماطل • ويزخرف ويطاول • ويخنقني بالزبد • ويخلفني في الوعد •
ويسقيني السم ويمنيني بالشهد • ويقرا علي عند اجتماعنا في السقف
بالقصر المعمور صحائف كذب ما بدو ورتبتها اللسان • ويبشرني
مصاحف ما يهتدي الى الجزء منها انسان • الى ان مللت خطابه •
وتركت عتابه • وانفت لنفسي من الاقتضا، ترفعاً عن مكاشفته
وجرى هو على عادته المشهورة في مجازفته ومحارفته • واوضع في
السقوط ولم يترك للمجاملة موضعاً • وحملت صاحبي اليه رسالة
يؤديها • ويقضي حكم الامانة فيها • وهو ادام الله عزه ولي الفضل بأجرائي
على كرم عادته • في التوقيع باطلاق الكسوة ما لا يزيد وقتي من حلاوة
احسانه ما يزيل به عني مرارة العسر • ويطوقني من منّه ما لا ينزعه
عني مدّ الدهر • ان شاء الله **الى الخيد بن بشر في شفاعة
والتعريض بانسان ذميم قاعة** كنت كاتبت سيدي ادام الله عزه
مرات • وارسلت اليه تارات • في معنى الربع المنسوب الى جماعة من وراء
حجاب • تقتضي المروة ان ادبر شؤونها • واحامي دونها • وتوجب الفتوة
ان لا اخلي ادبها بجناح • وحرمها بانتباح • وابن وهب اليهودي لا اوهب
الله له جزءاً من العافية قليل البركة • سيّء الملكة • لئيم العهد • ضعيف
اساس الود • لا يخاف ويفري • ويخبط ولا يدري • وقد احلى منه بابدائه
وفحو اقتضائه • وفرط ترسيمه وتغريمه • ارادة منه ان يظهر الكافة جلالة
مكانه وامكانه • وسطوة قدرته وسلطانه • وقد منعه سيدي ادام الله عزه
مرة بعد اخرى • وثانية عقيب اولى • من التعرض الى الضامن البائس فما
امتنع • وردعه عن سوء العشرة فما ارتدع • وتنبهه وهو راقد • ويقصح
وهو في صالحه قائد • وعرفته صورة الحال وهو في الغي زايد • ووالله لولا
تصوّني وترفعي عن مقابلة ذا الكلب بما يستحقه لجزعت من الموت كالسالم

يرح بعدها ثبورا . وتصفقه صفقة تهوي بها في نار جهنم يصلاها
مذموما مدحورا . وليت تحضر بالشام التي تفاخر بها بنو امية . وتشاهد
اهلها بلؤمه وجموده . وهذه جملة تفصيلها شكاية الى مولاي الوزير
الاجل ادام الله قدرته تصليه جحيما . وتترك عظامه رميما .
واحب ان يتفضل سيدي ادام الله فضله بقبض يده عن التعرض
لهذا الربع . وتعريفه بما ادخر له من الضغع الى ان يتهل الله بيعه
فحينئذ هو بري من التوراة ان لم يسع في خرابه . ولم يبالغ في هدمه
وانتهابه . ويأتي في هذا الباب بما يوذن بحسم المادة ومنعه من الاعادة
وقبح العادة . ان شا الله

نسخة امان لاهل دمشق لما صبروا وجدوا في قتال الاعدا وجاهدوا

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله
بما تعملون بصيرا . اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك
ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا . اما بعد فان احق الرعايا
بان تفاض عليهم ملابس الانعام . وتضاف اليهم نفائس الاحسان
والاكرام . ويميزوا من بين امثالهم بالادنا والازلاف . ويخصوا
من بين اشكالهم بالادعا والاكناف . ويوثروا بجليل الاثرة والانفعة
وينهوا بجليل الحظوة والاصطفا . وتقبض عنهم ايدي النوائب و
النوازل . ويرتقوا الى اجل المراتب والمنازل . رعية حسنت في
الاخلاص اسرارهم وسرائرهم . وسلمت من الانتقاد ابصارهم وبصائرهم
واتحدت في المتابعة والولا عقودهم وعقائدهم . وشهدت بالثقة
والوفا جهودهم ومعاهدهم . وثبتت على مواقف الحق اقدامهم . وابانت
عن صحائف الصدق اقلامهم . منكم يا اهل بلد كذا اسلمكم الله فانكم
صفوتم حين الموارد تكدرت . واشتددتم حين المعاقد تفرقت . وخلصتم
في اعتقادكم حين القلوب تغيرت . وحرصتم على جهادكم اذ الخطوب
عزت وتوعرت . واستمسكتم فيها باصالكم بقوى الاصطبار . وسلكتم
فيها بانكم مسالك المهاجرين والانصار . وصنتم حوزكم بايدي متناصرة
وارتبطتم نفوسكم بقلوب متظافرة . وعرفتم ما في التخاذل من العار

فعدلتم عن طرقه • وتحققتم ما في التواصل من الفخار فسعيتم في طلبه •
وتناصرتم على الحامات عن ذماركم مرة بعد مرة • وتوازرتم على
المناضلة عن دياركم بنفوس مُرّة • وعلمتم ان الباغي حيثما قصد
وجد مخذول وان انفقت لاجله • وان المبغي عليه اينما امّ والمّ
منصور وان انتظر منه صولة • وانفتم لانفسكم في القتال من
قلق المستغيث الصارخ • ووقفتم عند النزال كالجبال الرواسخ •
وكسبتم بما ابديتموه من الشجاعة ثواب اهل الطاعة • وكسيتم من
الفخامة ملابس البسالة • ونشرتم من حميد اخباركم ما تخلد
جاله في الاعقاب • وشهرتم من شديد اثاركم ما يرد قول الحساد على
الاعقاب • حتى اصبحتم بنعمة الله اخوانا • ولاولياء الدولة المنصورة
انصارا واعوانا • ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى
الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا • فجزاكم الله عن رضى اعمالكم
جزاء المحسنين • واتاكم من جزيل انعامكم ثواب الصابرين • ورضي
عن مساعيكم الحميدة في الطاعة • ومناحيكم الرشيدة من بين
الجماعة • ووفقكم لشكر ما انعم به عليكم من امدادكم بعد الباس بالقدرة •
وانجادكم بعد الياس بالنصر • واذهاب غراتكم • وتخمد سواركم • حتى كسبتم
من اجماد امير المومنين ما استقللتم معه كل كثير • وجلبتم من رضاه ما
استصغرتم كل كبير • من اعتداده بكم واعداده لكم ما يحلو ما جاد في
افواهكم ثمره • ويلوح على صفحات احوالكم فرباطه وبركته • ويحقر ما
كثرته اتباع الباطل من حولكم • ويبلغكم نهاية ما قسموا اليه نواصي امالكم
ولقد تصور بحضرته ما دهمكم من المحنة التي هددت بناكم • وقصمت
عراكم • واضعفت قواكم • وقطعت بلوكم • وحلت حماكم • وعلم علما
يقينا لا يتعرض الريب ليقينه • ولا يعترض النقص على براهينه • ما
جرى عليكم من منازعي الحق واعداء الدولة • ومنابذي الصدق ومحادي
الملة • حين حلوا في منازلكم • وتوافقوا على مقاتلكم • وما استحلوه
من تخريب الضياع والعقار • وقطع الاشجار وقلع الثمار وهتك
الاستار • واجلاء الضعفاء من مساكنهم • واخلاء منازلهم واماكنهم •
وهدم المباني الذي هدّ بوانيه قواعد اديانهم • ونظروا منه شوارد حلم

اللهم

موكبين

ولددهم في القتال الى ان تكدرت حواسهم • وضاقت عليهم نفوسهم
وانفاسهم • ودفعكم في نحورهم حتى انقلبوا اصاغرين • وهربوا هاربين •
وطاروا اشتاتا حصائد السيوف • وصاروا اوزاعا طرائد الحتوف •
وولوا موكبين على الادناب • ورضوا من الغنيمة بالاياب • فاذاقهم الله
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون • فيجب ان تنظروا
قدر النعمة فيما كشف الله عنكم من سحايب الظلم والظلامة • واراح قلوبكم
من نوايب الغم والغمة • وتدارك جماعتكم من الرأفة والرحمة • وتثقوا
بصنع الله الجميل • وفضله الجزيل • وتحققوا ما يعتقده امير المومنين
فيكم من ارتضائه لمذاهبكم وضرايبكم • ونفقته بشاهدكم وغائبكم •
واعتماده على خلوص ضمايركم • واعتداده ببواطنكم وظواهركم • وتعلموا
انه في تطلع من نظرائه ما يأسو كلومكم • ويزيل همومكم • وتقر عيونكم
ويحقق ظنونكم • ويقرب فوارج امانيكم • ويرغم اناف اعاديكم • ويسير لكم
مناجح الآمال • ويحط عنكم فوادح الاثقال • ويعيد بلدكم الى احسن ما
كان عليه عمارة وحسنا • ويبدلكم بتوفيق الله من بعد الخوف امنا •
وما توفيق امير المومنين الا بالله عليه توكلت واليه انيب • ووقعه
منه الى محسن بن بدروس وكان على بيت المال لما بلغه انه ذكره بالحضرة
بالقبيح فانفذها الشيخ علي بن عجلان ايها الشيخ اعانك الله على الطاعة والتقوى
وجزاك عن نيتك الجزاء الاوفى • وهداك الى سبيل الخير والهدى •

وهذه عادة لو سكت لعفيته • لولا اني سالت الله فيك وقد فعل
قد تحققت بعلم الله في فرط دهائك • وتكرارك واستهزائك • ومكرك اهتدائك
من التقرب الى ضروب لو عاش معوية بن حرب لما اهتدى الى بعضها • و
تسلقك على ابواب من الخبث لو نشر عمرو بن العاص لما قدر على نقضها • وتطرقك الى
دقايق من السحر لو رآك المغيرة لعبدك لها عبادة • وتعمقك في طرائق من الخبث
لو عرضت على عبيد الله بن زياد لما وجد عليها زيادة • واقتدارك على القوم
على عقد لو اجتمع الشيعي على حلها لاعيتهم الحيلة • ولو خشي المرء على قلبها
لاعجزتهم مكايدك العريضة الطويلة • ثم مع هذه الخصال الغضة الجدد
والفطنة الحاضرة العتيدة • والكبر الذي لا يخلو مثله من امن الحياء في
وجهه نضارة • والنفاق الذي لا يرضى باستعماله من في مولده طهارة •

والتملق الذي يتعدى من حد التودد الى الطنز والسخرية ۞ والتشوق
بالباطل الذي لا يعتقده غير الانفس الخبيثة الغبية ۞ والطبع الردي
الذي يزداد على الايام ضعفا وكدورة ۞ والخلق الدنيء الذي لو ثبت جزء
منه على الارض لالتهبت حرارة ووعورة ۞ وقبيحة في الناس بظهر
الغيب ۞ وطبيعة لا تشتمل الا على النقص والعيب ۞ وتمزيق الاعراض
الاحرار تضاهي صورتك الوحشة المكدرة ۞ وتتبع لمجالس الانذال
تحاكي شبيبتك الخبيثة القذرة ۞ فلو غاص الشرق بطن السمك
لاستسهلت خلقه مغاصا ۞ ولو ارتقى الى الفلك لما وجد منك
خلاصا ۞ فسبحان من خذلك حتى هدمت التوفيق ۞ واضلك حتى
ضللت الى نحو الطريق ۞ واعمى بصيرتك وبصيرتك ۞ وقوى في الفساد عزيمتك
وبغضك الى اهل الفضل ۞ ورفضك في مهاوي العماية والجهل ۞ أتحسبت
ان هذه الايام الناضرة الزاهرة مثل الايام التي كنت تدنس جماعة امنوا
بك وهم شر من الكفار ۞ واعتزوا بأباطيلك اذهم اصحاب النار ۞ وتعلم
كيف تنصب الحبائل ۞ وكيف تركب المكامن والمحائل ۞ وتنفق حلاوة
تمكينك على اصحاب الاخبار ۞ وتوافق تلاميذك اساتذي الاشرار ۞ على
اراقة دماء الناس ظلمهم ودفعهم ۞ ونحسهم ومنعهم حتى لم يسفك دم
الا وانت سافكه ۞ ولم يظلم احدا الا وانت تساهم في الظلم ومشاركه ۞
ولم يجترح جرم الا وانت تسبب اباحته ۞ ولم يجح كريم الا وانت الطريق الى اجاحته
ولم ينصب كيد الا وكنت ناصبه ۞ ولم يغر انسان الا وكنت صاحبه ۞
فليت شعري باي شيء تدل على الناس ۞ ابالادب ۞ والله ما تفرق بين
سليم وسقيم منه فرقا ۞ ابالحسب ۞ والله ما ضربت فيك كرم عرقا ۞
ابالصيانة ۞ والله لو قلبت اربابا لما وجد في باطنك غير التحريف والتزوير
ابالديانة ۞ والله لو فتشت سبالك طاقة طاقة لما شم منه غير الخنزير ۞ ابالصورة
والله ان القرد ليأنف ان يكون لك شبيها ۞ ابالنفس المرة ۞ والله لم تك
قط الا سافلا سفيها ۞ واذا كانت هذه محاسنك ومشيئتك ۞ فاسمعني عجيبة سخر
انفك ۞ يا هذا ۞ بلغني عن من لا ارتاب بصدق مقاله ۞ ولا اخشى النميمة
باشتماله ۞ انك ذكرتني بالموقف الاشرف بالقبيح والشيوخ قعود ۞ وهم على ما اخبرت
وسمعت شهود ۞ حتى اطرق بجميع منكرين لخطابك ۞ عارفين لللوم حشو ثيابك

فيبقى

وشتمني لامير المؤمنين غرضك بما عبتني ومرضك بما اغتبتني
فاتاك مغضبا محزنا وعلم ان اباك كان امرا سوء وكانت امك بغيا
ولو كنت حاذقا لكشفت للحاظرين غطاء امرك واوقفتهم على كيدك
القديم وغررك ولدللتهم على باطن شرك وكامن سرك ولدبغت
جلدة قفاك بنعال البت وخاطبتك بما اخاطب به اولي الطاغوت
والجبت ولقصرت لسانك الذي لا يزال يبذيه من خلق ولكيت
المسلمين مؤونتك بكي دخق وما دامت طريقتك الافترا على
المضاد والاقتدا بمذاهب السفها والتقرب الى الحضرة بالنواميس
التي مجارها عندك واسعة ومضارها لديك شاسعة والتقشب
على الدولة التي بها صرت متبوعا وكنت تابعا ونلت شبع جوفك
وكنت جائعا فالقدر طالبك ومطالبك والسيف خاطبك
ومخاطبك والدهر خصمك ومحاربك والله خاذلك وغالبك
وارجو ان نلتقي معا في الحضرة الشريفة فترى كيف اخاطبك بحذاء
الخدم واجابتك بما تعرف عنها بالعي والفحم ان شاء الله وبه الثقة

في رقعة عنه ايضا في معماة الى صديق له وهو ابو الحسن ابن المدبر

اراك يا سيدي ادام الله عزك مغرى باستخراج المعميات والالغاز
مدعيا في استنباط غوامضها ضروبا من الاعجاز والامر بخلاف ما
يجول في ضميرك وبضد ما في تقديرك فان كان لك ذكاء فقل
لي ما هيئة تشبه الافراخ وتبارز الرياح اصغر من قيد شبر واقل
من قدر فتر ووجهها في قفاها وفي الشرفات سكناها انثى ولا
تحتاج الى ذكر تحبل لا من بشر تطعن في غير قتال وتقطع بغير
نكال وتضم من غير عناق وتوصل بعد اشتياق معدومة في
اكثر بلاد السودان محبوبة الاعلى ملوح للركبان بخيلة ولم تعذب
بالهجران ضئيلة ولم تبل بالاخوان هيئة لينة ساكنة ظاعنة ضيقة
واسعة قريبة من زوجها شاسعة لا من الحديد جوهرها ولا من
النحاس عنصرها ولا من البحر نجارها ولا من الجو قرارها ولا في الهوى
مطارها ولا من النار استمدادها ولا من الفضة تركيبها ولا من
الذهب ترتيبها ولا من الخشب منحوتة ولا من الحجر منقورة فرة جوا

كالارجوان ٭ وطورا بيضا كالاقحوان ٭ وتارة قاعدة بالديوان ٭ وكرة
منعطفة كالخيزران ٭ وحبا تراها صنف آنس الناظرين ٭ ويوما
تبصرها زرقا تعجب الرائين ٭ نصفها بعيد من المتقشف ٭ ونصفها
قريب من المتأسف ٭ وان تحققتها فصفة لعاشق ٭ وان صحفتها
فاتعال اولي لحقائق ٭ ففي القران ذكرها ٭ وفي الانسان بزها ٭ وفي
الظروف امثالها واضدادها ٭ وفي الحروف ازواجها وافرادها ٭

٭ فهات وصفها بما سترت فانني ٭ عليم بان العلم منك بعيد لي
والجواب فقد وردت عليه من انشاه ان يضرب بينه وبين صديق
وصلت رقعتك ايها الشيخ حرس الله مدتك ٭ وجعل الرشاد والسداد في كل ما تاتيه
وتذره عدتك وعدتك ٭ وما دعوتك نجما لكبر سنك ٭ ولا لاستحضار حنك
ولا لفرط مواد تجربتك ٭ ولا لقوة امداد حنكتك ودربتك ٭ ولا لرزانة عقلك
ورايك ٭ او لكانة تاتيك وتهذيبك ٭ ولا لاعتدادك بكل الاسباب المشكلة
اذا التبست طرائقها ٭ او لمقدرتك على فتح الابواب المغلقة اذا تعسرت مغالقها ٭
ولا لمقوم الاسفار البعيدة بنيلك وازوادك ٭ ولا لتنفيذ الاوعار الشديدة
صعودك وصدك ٭ ولا لممارستك المصاعب في البلاد المتباينة الاقطار ٭
ولا لملك بتنك النوائب في الايام المختلفة الاحوال والاخطار ٭ ولا لان الشبا
قولك عن لجاب الملبس ٭ ولا لان المشيب غادر افنان راسك كالثغام المختلس
ولا لان الغراب الاسحم طار عن فوديك ٭ ولا لان الابقع زارك فاقام
لديك ٭ ولا للدلالة على توقيرك وتفخيمك ٭ او للاشارة الى اجلالك
وتعظيمك ٭ بل سميتك حفظا لنظام الخطاب ٭ واقتدا بمذاهب
الكتاب ٭ واتباعا لسنتهم في المسامحة بالالقاب ٭ ولما قريتها الاني وجدتها
مشتملة على فصول مستخفة ٭ واصول عن مواضع الصواب محرفة ٭ ومعان يابى
الطبع من تصورها لتعقد الفاظها وتعورها ٭ والفاظ ينبو السمع عن
استماعها لضعف اوضاعها ٭ ورايتها تجمع جامع سفيان ٭ وتشبه مخلط خراسان
وتحكي مقطعات الصبا رفية فيها من كل ضرب قطعة ٭ ومرقعات الصوفية
فيها من كل لون رقعة ٭ كانها اختصرت من كتاب خبث الدولة لولا خلوها
من مضحكات النوادر ٭ او نخلت من اشعار ابي الرقعمق لولا اشتمالها على الحكايات
الغوائر النوادر ٭ هذيان محموم وعقل مبرسم ٭ وكلام مكلوم وحكمة حالم ٭

شعر

وجنيه

وخديعة ووقيعة ونميمة • ممزوجة بجنونك المتقادم •
فلم اتأمل فيها بحمد الله منها فصلا • الا عدمت فيها فضلا • ولا اقرا
منها سطرا • الا استقصيت من عمري شطرا • ولم ابق منها حرفا • الا قلت
سكت الفا ونطق خلفا • ولم اتصفح منها بعضا • الا شاهدت فيه جنونا
محضا • ولم انظر منها ورقة • الا تحملت من عيني طبقة • ولا مررت منها
منزلة • الا وجدت فيها مزبلة • حتى ختمت قراتها وكانما ختم عمري
بالكبائر • وطويتها وقد طويت دوني ابواب الفوائد • ونبذتها وراء
ظهري ولولا اشتغال خيفتي لاردت ان اقصي غرد • والقيتها من
يدي وما خلفت يوم قراتها جلدا • وعلمت ان تلك الالفاظ
المتكلفة ما صدرت عن مبتذل لفراغ • وتلك الاخلاط المختلفة
ما خرجت من راس فيه دماغ • وذلك الخذلان المبين ما يسمع خاطرين •
وذلك الهذيان المكرر ما يجري بلسان تشوق من الذم متحرز • وذلك
التضريب البارد ليس يخفى فيه اعراضه • وذلك التلبيب الفاسد ليس
ليس يتخفى ايماؤه اليه وايماضه • هذا أبعد المشيب • اخدع بالزبيب •
وبعد ما شاب شواتي • تزعقتاني • وبعد ما تسمع صنفاتي • تقرع صفاتي •
وبعد طول التجارب • تفزعني بالعقارب • وبعد انسلاخ جسمي من
الجلد • تغزني بالكذب • وبعد تحمل مشاق الاسفار • تحدثني حديث
القط والفار • وبعد مبارزة الملوك • تقدني في النوك • وبعد
التناهي في السن • تقعقع لي بالشن • وبعد مطالعتي كتاب البتاس
تعلمني اخلاق الناس • وبعد معرفتي اخبار عاد وشداد • تكتب لي
ابا جاد • الى متى تؤذيني باحاديث النساء • وتضرب لي الطبل
تحت الكسا • وكم تحفر للاسود الحفر • وتعلم الحوت الحرق • وحتى متى
تنصب الرجال الحبائل وانت فيها تربك • وتنت الابطال
وستزك دونها تهتك • وتجمع عثرات الاخبار وجدك عاثر •
وتخبر على زلات الاحرار وفضلات دارس داثر • وتعرض بكلام شل
عرضك مبتذل • وتتشوق بنظام شعر عقلك مختل • وتبذل
منك بفصيحة تكسبك فضيحة • وتورد عليك نميمة تركس لك قيمة •
وكم في معناك تتزيد • وفي سماياتك تتردد • وفي حكاياتك تتردد •

في مثل المحبس. حسبتني في المنازل شوك القتاد. وذربني
دقاق السهاد. ورماني الطرق الكدر. وتدماني البغال والبقر
كأنما ارقى في السماء وانا مصعد. او تخسف بي الارض وانا مصوب.
او يغرقني طوفان نوح واليوم ماطر. او تقصر عني ريح عاد والنقع
ثائر. فمرة اركب وانا على خطر عظيم. وتارة ارتحل واعتسف
صراطا غير مستقيم. الى ان تفضل الله سبحانه علي بكشف ما كنت
ابتليت به ودفعه. واجراني على ما عودنيه سالفا وآنفا من جميل
صنعه. واوصلني الى هذه الديار بادي رمق. وانجاب عني ما
تداخلني من فزع وفرق. وكتبت هذه الاحرف وانا على وفاز
رحلة. واطالع حضرته من بعد بالآصال والبكر. اذا لقيت
عصا السفر. واتطلع لورود كتبه متضمنة ذكر اوامره ونواهيه
ان شاء الله تعالى. وله الى ابي الفرج احمد بن محمد القسوري
من تدمر عند خروجه منها. كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ من تدمر
ظهيرة يوم الاثنين ساعة وصولي اليها والصيف قد شب ضرامه.
والحر قد نشر اعلامه. والسموم تركت النبات هشيما. والفلاة جحيما.
واورى الحر نارا. واقلقت الضب اوارا. وعطشت جلد الحرباء. وبحث
عصا المعزاء. واثارت النعام من ادحيها نافرة. واخرجت الظباء
من كنسها حائرة. وقشعت الوقائع فلا يرى بها اثر الماء. والكدت
الجنادب فلا تطير الا بالعشاء. فالاصيل من اشتداد الجو هجير.
والمقيل سعير. والسائر حرض بريقه. والمسافر نجم عن طريقه.
والارض من استعار الشمس توقد وهجا. والخدود تلفح الوجوه فتحيل
الرووس نجا. والنفوس تكاد تسيل من ضمرها وقنودها. والانفاس
من وقد الغيض مختبس في صدورها. واما في النهبا. ومن البادية
البيداء. التي تضل بها الرياح. وتذهب بها الارواح. وليسقط
للطير قبل احتراقها قوادمها وخوافيها. وتفزع قلوب السعالى من المقام
بها. ويرتد طرف الدليل عنها كليلا. ويكون اكثر حدائه فيها تسبيحا
وتهليلا. وتقضي المطايا فلا تطيق ان تسير ذميلا ولا وجيفا.
وتوحش الركب فلا تسمع الا عزيفا. اعماقها قاتمة. وآفاقها

وفي كتابتك تتعطر • ما ذلك نطا، ذنب لا انوح حتى اعنفت فقد لك
قد ملك • وبلاد طم الاشفا حتى اشيبت على انه براق دمك • ونسعى في الحال
حتى صرعت • ونرعى في الفلا لحتى صعفت • ونستعمل في خدمتك
زمانا بكيا • فقتلك سنزلت نهيكا • واعضك انا ملك وشيكا • وتركك
المكسي تريكا • فاثابك الله على قدر اعتقادك ولا اجب وصفه وكشفه
وجزاك غني لا اتني وعجل لك نصفه • وسلط على الحرام الذي جمعته من
يفرقه ويمزقه • وعلى الحطام الذي ادخرته من يسرقه وينفقه • بطول رزحته
وحوله وقوته • ذكرت في رقعتك الدالة على رقاعتك • المنبية على ما اتلفت
وكما عتك • ان فلان اذا سمع باسمي حابني • واذا غبت عنه اغتابني • واذا ذكر
في ناد ولع بذمي • وولع بدمي • وبالغ في شتمي • ورتع في لحمي • وتناهى في
وصمي • واسرف في ثلبي وثلمي • وزعمت انه يقول اذا خلا باصحابه
المسلين الى محرابه • اني لاعجب من العميد كيف يدعي ما لا يقيم عليه
برهانا • وكيف يتصدى لما يكسبه الا امتحانا وامتهانا • وما له والتحلي
بالكتب السلطانية • والترقي الى الرسوم الديوانية • التي تقصر بها بلادة ختمه
عن بلوغ نفرها • وبصيرة كما شئه عن توغل سهلها ووعرها • وغاية
ما انتهى اليه فوق عليه ان يكون معلما للصبيان • او ناسخا في الديوان • وما
احسن خطه حتى يكون كاتبا • وما علا قدره حتى يخاطب السلطان راتبا
لهذه الصناعة الجليلة ابا زيد فقد علا منها قدره • وهذه الحد منه السرية تفرد دستا
الخط دون ادراكها قدره • ومن ابن له طبع صقيل لم يدنس الطبع صفاره
وعقل اصيل لم تدنس الظلم ضياءه • ومع هذا فليس كل من تعلم مسئلة في
الكلام امكنه اثبات التوحيد • ولا كل من يقرا كتابا في اللغة يكتب مع عبد
الحميد • ولا بالنحو يهتدي الانسان لانحاء الترسل • ولا التعطيع في الكتابة
كالتكلف والتعمل • فلا تحسبوا ان هذه الصناعة تدرك بقراءة الاخبار
ولا تنال بركوب الاسفار • او تنال بجمع الاشعار • او تعلم بالاستكثار من النوادر
والله لو ابتلي غيري بما ابتليت به من انشاء سجلات غريبة • في معان عجيبة
مع الاستعداد • وسوء اعتقاد الاضداد • لما بات منهم الا على وجل • ولقال في
رب واني خجل • ولكني اعلم ان بيده سرا في اظهار جلالتي • فاذ لك اكل حسود
والتي • واترا في علوي • فانه اك عدوي • ولكواكب السعد بناي عنايته

فلاكد

فقل لمن جعلني في الكتاب آية • وانشد

فيا عجبا للذي يقتدر ان يحط • بالحظ والفقر بالعلوم

كم اديب تحت الثرى متضاعل • وضعيف في العلم فوق النجوم

لقد صدق والله في اكثر ما قال • ولم يجاوز الحق في جلها افتخر بها اسقطا
من الذي يناقشني في الحساب • ويضايقني في الخطاب • او يغالبني على علم
او يحسده على نعمة يحله • اما انا فاني اغضي على القذى • واحتمل على
الاذى • ولا اواخذه بذنب • ولا اعارضه بعتب • بل اقول هنيئا له
من عرضي ما استحله • وما عقد الود بيني وبينه فاحله • ومن حباني ما
اباحه واطاحه • ومن قدري ما وضع منه وضيّعه • ومن حبل الوفاء
ما صرمه وقطعه • ولا اتريب عليه وان شمتت بي جماعة الحساد • وباعني
في سوق الكساد • ولبس بحمل حتى حلي بالبنات • ولا يثني لطفي عن عزمي
نقض بيت • ولا ينفر طبعي وان رماني بصواعق • ولا يشغل سمعي وان
اطرق بمطارق • ان جنى علي فذنبه مغفور • وان اساء الي فمعذور
وان ذكرني بالقبيح فهو بالخير مذكور • وان اعتقد في جيلا فهو مشكور
لبست مكالمتك تجزيني جبلد • ولا سعايتك تستفز مني شجاعا
بقلاد • ولو كانت تشب بيني وبينه نار حرب • ولا تحرشك يؤدي
الى طعن وضرب • ولا قولك يورثني الاحتداد والاحتقاد • ولا سلك
بجرما بكني القتاد • وان كانت في قلبك منه حزيرة فالحق بينك وبينه
حرب كليب وجساس • وان كانت لك عنده ترة فاضرب في طلبها اخماسا
لاسداس • وان اردت معاداته فاظهر سلطانك • وان نشطت
لمهاجاته فادر من حلقه لسانك • وان عزمت على مقاتلته فاجلب عليه
بخيلك ورجلك • وان احببت ان تطاول فطاول فاني لا اطاول من
اجلك • وتحقق ان وقوعك فيه دلالة على قلة عقلك وسوء فعلك • واستحقا
به شهادة على طيشك وخفتك • ووضعك منه مبني على رأي السافل
وقدر نازل • وعهد حائل • وود مائل • ومعاذ الله ان اوحش صديقا
او اركب من الغدر طريقا • او ارفض من حقوق المروة مفروضا • او ارتضي
من مذاهب النفاق مرفوضا • او اكشف معايب الجوار وانا عيبة عيب
او افعل فعل الاحداث وانا صريع صلع وشيب • او اوضع في خلاعة

ومجون . أو أرتع في عرض مصون . أو أبتلي من المعتاب بمهنة . أو أمتهن
بالشباب بنشأة كريمة . أو أبتذل وقاري بنزق . أو أنتقل من كرم طبع
وخلق . أو أثلم ديني بسخف وسفاهة . أو أعدل عن طريق صيانة ونزاهة .
إذ أنا متزمل بثيابك . ومسوغ في إهابك . ومتخلق بأخلاقك .
ومتنطق بنطاقك . وراض بعقابك . ومنتسب إلى أصالتك

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه . عرض عززت به وأنت ذليل .

فأما قولك إن هذا الفتى خالك فأنا أحق من فخر عن الحذمة بجميله . وإن
تلك الشهادات الصابيات كانت من قبله . ولم يجر من الذي اتهمته بصرف فعله
دخل ولا دغل . ولم يكن له في فساد حالي ناقة ولا جمل . وما زعمت أنه
ما قصدني بالأذية . ولا حسدني على المنزلة السنية . وبرأت ساحته وهو
صاحب الجناية . وسترت فضيحته وهو حامل راية الغواية . وقلت أنا أجل
قدراً من أن يؤذي حراً أو يتأبط شراً . وما نطقت من كلماتك التي هي في القلوب
كلام . ورقيته في زهاتك التي هي في النفوس أراقم . فقد عرفته ومن جهل قدر
نفسه كان بقدر غيره أجهل . ومن دغل في خاص أمره كان في أمر سواه
أدغل . ومن رغب في أخفاء دائه فهو في أخفاء دواء غيره أرغب . ومن كذب
على أبنائه فهو على أصدقائه أكذب . فقل ما هذه المغالطة التي إن كشفت
غطاءها فضحتك . وهذه المواربة التي إن برح خفاؤها جرحتك .
وهذه الأباطيل التي تهتك العورة وتظهر العوار . وهذه الأقاويل
التي تشبه المعذرة وتصدر الاعتذار . تجيبني والله ما أضلك عن غيك
وأنت عليل النجار . ويحاماتك عن من سوالك وأنت غير محمي الذمار . و
تعصبك لمن عرضته لسهام الأرهف . وإسرافك في مدح من لا يفارقه
سرف ولا خرف . فليت شعري لم ترض بالآحاد في السماع . وتخالف طريق
الإجماع . ومن يعمل على حكاية ويبيع بغير برهان . ومتى كنت فرارة
الفضل . ومتى كان حكم الله في كتب النحل .

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما . شح اللئام وأخلاق المجانين .

إليك عني فإني أعلم بالأحكام من أن تنبهني على أحوالها . وأعرف بالأيام
من أن تخبرني بأدبارها وإقبالها . وأبصر بالناس من أن تنبهني
على أخلاقهم . أو تلبس علي فرط نفاقهم وزرقانهم . وإنما أنا أحاذر الأعادي

84

حاذق الوفاء ۝ والا ادوبهم مداراني السابح في الابحار ۝
ولا انمى الثرو والنسر نادكي ۝ ولكن منى احل على الكواكب

ما من شيمتي اعاتب كريما ۝ فكيف اواتب لئيما ۝ ولا من عادتي ان اداعب رئيسا ۝
فكيف الاعب خسيسا ۝ ولولا الضرورة يشهد الله ما فارقت منزلي يوما ۝ ولا
عاشرت مثلكم قوما ۝ ولتوفرت على ذكر ما انسيته من العلم والادب ۝ ولا اجلت
في وجوه الطلب ۝ وانما بان الله سبحانه يجري على اجمل عادة ۝ ويؤديني الى
اكمل سعادة ۝ ويجتزا عاني بما يجتزيه عالي اوليائه الذين لا يخطرون سواه
ببالهم ۝ ولا يقصدون غيره حتى في غفران ذنوبهم ۝ ونسوكا عليه وهو حسبي

ومن انشائه كتاب من الشيخ سعيد الله المستخدم بالرياسة ...

قد علم سيدي ما تكفل الله من نصرة الدولة واعلاء رايتها واسعاد المخلصين بسعاد
دعوتها ۝ وما اولى الاولياء من العز والانتصار ۝ والغلبة والاظهار ۝ حيثما سار وافي
ارضه ۝ وخصهم من التاييد الذي لم تهتدي الايام الى نقضه ۝ ارادة منه تعالى ان
تبقى كلمته العليا ۝ وكلمة اعدائه السفلى ۝ فليس ينفق مع ثقته بالله واعتماده
عليه ۝ وتفويضه اموره كلها اليه ۝ ومعرفته بان دولته على تصرف الاحوال ۝ و
تصرم الايام والليال ۝ في كنف من الله محروسة محوطة ۝ وبعين كلاءته ورعايته
منوطة ۝ ولا استعان باحد فيما يرومه ويحاوله ۝ ولا استظهر بظهير
فيما يطلبه ويزاوله ۝ غير انه لعلو همته ۝ ورغبته في افاضة النعم على رعيته ۝
والمتمسكين بحبال طاعته وحرمته ۝ على ان يعم اقطار الارض عدله ويشمل
اهلها على اختلاف طبقاتهم احسانه وفضله ۝ يرى ان يجدد كل وقت عند
عبيده صنايع ۝ ويورد عليهم ما يختصه منهم روايع ۝ ويخصهم بمراتب تبقى الاوهام
عن نيل اشتمالها خاسئة حسيرة ۝ ويرفعهم الى منازل تدع الهمم عن اقتراح
امثالها قاصرة قصيرة ۝ وينقلهم من ذل العدم الى عز الوجود ۝ وينقلهم من
وهدة الخمول والنحوس الى ذروة النباهة والسعود ۝ حتى لا يبقى احد ممن يتعلق
باسباب الطاعة والولاء ۝ ويأوي الى ظل الدولة الغراء ۝ الا وله لسان حالة
ينفصح عما ناله من نواله ۝ والظاهر من تجمله يشهد بما تظاهر عليه من تطوله ۝
كما خصني به آنفا من النعمة التي يعجز الوصف عن ذكرها ۝ وتقصر القدرة
عن توفية كنه قدرها ۝ وكسانيه من ملابس لا تبليها صروف الغير ۝ واولانيه
من منايح لا تنغصها شوايب الكدر ۝ والقاه الي من مقاليد تنفتح مع توفيق

الله تعالى سمو بأصحاب المعالي • وتعبير حسن ذكرها في المغارب والمشارق •
واوجبت على ان لا استنفد الوسع في مصالح خدمته • واستوعب الوكد
فيما يقربني من مرضاته ومحبته • واهجر الراحة حتى اصل الى اغراضه • ولزم
من الامور ما آمن به على الايام ولعيات انتقاضه • والله ولي المعونة على
بلوغ ما في النية من التجرد في خدمة تشرق آثارها • وسماحة يتساوى
اعلانها واسرارها • واليه الرغبة في ان يوزعني شكر نعمته • ويزلفني بما
انتهي فيه الى غاية رضاه ومسرته بمنه وقدرته • ولما سهل الله امر كذا
وتنسمت من اخبار سيدي ايده الله واستقامة اموره ما تجلت به
نشاطا • وتجلت بمكانه ابتهاجا واغتباطا • واقتضت احوال الخدمة وما
اتولاه من الاسباب المهمة تقدم المراسلة والمكاتبة • بادرت بهنائه بما
شرفت به من النعم التي هي في ضمان الزيادة • وقران الاقبال والسعادة في
بقعة يفرض ما يجب عليه من النيابة في الخدمة التي هي بكفايته منوطة • وبثنا
وصرامته مربوطة • ومن التناهي فيما بعد عندي حاله ومحله • ويكسبه
من الاجلال اعلاه واجله • ليطالعني بما اسكن اليه من احواله واخباره • و
يستدعي ما احببه اليه الى ايثاره واختياره • ان شاء الله

وله رقعة في الاذكار عليه الى الشريف ابي طالب محسن بن ... الزيدي

سيدي الشريف اطال الله بقاه • لا يحتاج الى تنبيه فهو ابنه من النجم •
ولا يفتقر الى تبصير فهو بحمد الله ذكي البصيرة والبصر • ولا احض على
مكرمة اذ هو اشرع من الماء الى خفضه • ولا ابعثه على شفاعة فيما يكسبه
شكرا فبعضه شفيع بعضه • فهو دائما ياتي من الجميل عفوا ما لا ياتيه سواه اذا اجال
فكرة جلية • ويجعل بديهة من الخير ما لا يجعله غيره روية •

• بديهته تعلو روية غيره • فتحسبه ذو روى اذا هو بدها •

وقد تحققت ان بحضرة فلان حرسها الله من الاشغال المتراكمة • والاسباب
المتزاحمة • ما ادهش ناظره • واشغل خاطره • واتعب باطنه وظاهره • والانسان
لا يخلو في اكثر احواله من نسيان • والكريم ينتهز الفرصة اذا فقد الاحسان
والحوائج اوقات • ولكل من اربابها درجات • فمنهم من اذا على بوعد صبره
امتثل • ومنهم من يرضى بالقول دون العمل • ومنهم من يرجى باسرها الامنية والامل •
ومنهم من لا يتصدى الى عمل وان جل لما كفاه الدهر مؤونة التصرف • ومنهم

من

من لا يشبع وان كان مستظهرا الا بالتخبط في اللجاجة والعسف . ومنهم
من عنت الزمان حجب صبره . وضيقت الاضاقة فسيح صدره . فاذا
تقطى باستار المطل بدت عودته . واذا رضي بسراب الوعد انشدت
حسرته . واذا قلت حركته في طلب مصالحه كثرت نداماته . واذا قعد على
طريق الانتظار قامت عليه قيامته . وسيدي ادام الله عزه قد وقف
على حقيقة احوالي فلا يحتاج مع علمه بها الى شرح طويل . واستوعب جملها
فهو مستغن عن تقسيم وتفصيل . وصح عندي ان فلانا ان احضر في
يومنا بالحجيم . وذكرني ساعة في مجالسه . واوقفت همته على اصلاح حالي
لحظة . واجرى في تمهيد امري لفظة . لرده باسي . واحيى رجائي . واغناني
عن الوقوف على الاطلال . والركون الى الابتذال . وعرفت ان لي من فلان
شفيعا لا ترد شفاعته . وظهيرا لا تشتغل بشاهد الفضل براعته
وبضاعته . وان كان هو ادام الله ايامه بمكارمه ومعاليه . والفضائل التي
اجتمعت فيه . لا يحتاج الى نوائب وشفائع . وحرمات وذرائع . وسيدي
ولي الفضل باذكاره كل وقت حديثي حتى لا تنسج عليه العناكب . وصبا
جاهي حتى لا تدب لافساده العقارب . وقرينته تزييني كل مجلس بذكره .
وتحلّي في كل مشهد بشكره . نفسي اكبر بالذي بحركته ايام الدهر فقد طالت
هربدته . ويبشر لي بجد فقد دانت عرقدته . وتضعيف المنن في هذه
المعارفة الى اخواتها من المنن السالفة . ان شاء الله تعالى ورسالة الى

بعض الاشراف يعاتبه فيها لانكاره حقيقة شوق تاخرت عن زيارة
الشريف ادام الله عزه اياما قلائل نعاتب بل عتب . ثم جئته مرات فاستتر
عني واحتجب . فان كان التاخر اساء ظنه فلم الزيارة ما اسرته وقوت
امله . وان كان التقصير افسد اعتقاده واغله فلم التوفير لم
يصلحه ويعدل ميله . وان انكر كثرة الاعتاب فلم لم يسهل على المجانبة
ثم لما طلع بعد السرار . ورفع حجب الاستار . ودنت مسافة المزار .
وجئته مترنّما على قدم العضاد . لم يهتز لي اهتزاز المشتاق .
ولم يبد صفحة التعطف والاشفاق . ولم يزو اوضعه . ولم يقض
الصديق فرضه . واظهر قدرة سلطانه . ولم يتزحزح عن مكانه .
وانجبته حالة دسته . فلم يبل منه شق استه . وسارقني في قيام

مصادقته لحذاية . ولم يشبعني من خطابه . كاني سائس دواب . ولم يجل قدر العلم
والادب . ولم يتوجع لي نسبه بالكرب . ويستحق كان يجده من سيايا الجلب
ويستفيد ربي كان على فيصاص الحرب . وكتب على جبينه عنس وزلي . وتلقاني
باولئك فاولي . وتعالى من ان يصافحني وانا الوارد لمصافحة الشمس قاعدا .
وتعالى من ان يرفعني وانا الواجب ليلغت السما صاعدا . فاقدني باول قدم زلت
بدخولها اليه . ولا نفسي باول نفس غلطت فتطفلت عليه . ولعلها زادت وان كانت
تصدق النوادر . والمحاذر ينطبان وان كانت خطاه تؤذن بالفواقر وتحب من
الكبار . ودخلت اليه حفظه الله وانا العبدي ما ضاع لي ادب . ولا انقضى لي نسب
وخرجت من عنده وانا العبدي ما علت لي رتبه . ولا زاد لي نسب . فان تصوحت
المرابع عنده فما الارض مرابع مخصبة مرعة . وان تكدرت المشارع لديه فان لنا
مشارع عذبة مترعة . وان تقلصت ظلال دوحه فظلال غيره ممهدة . وان
اخلفت جبال تهديه فجبال سواه محصدة . وان ضاقت اكنافه فمن كناف غيره
للمتطفل اتساع . وان جنت اخلاقه ففي اخلاف الكرام ارضاع واشباع .

دعوني فلي في الدنيا كرام وسادة · هم لذوي الآمال ظل امقاصد
سا طلب اسباب الغنى غير عاجز · فلا الارض ضاقت بي ولا الناس واحد

انا والله لا ارغب في صداقة من لا ينظر في صداقتي هدى . ولا اعتمد على
من لا يحسن في اعتقاده يدا . ولا امنح محبة من لا يكون محبته سمحا . ولا اجيل
في مصافاة من لا يريد في ندحا . ولا اسرح لحاظ من لا يجازيه رفدها
ولا اوطي مدح من لا يوليني كل يوم مدحا . فان وجدت من يصفيني وداده
ويملكني قياده . وبتلقاني بوجه كساه الاقبال طلاقة وبشاشة . ويرضاني
باخلاق سمحة لم تشبها كثافة ولا وحاشة . ويراني بتواضع لم يخشنه الصغر عادمه
وتطول لم يثلم التطاول جانبه . ود ما ثلم يتزل اليه وادبها . وسجاحة لم يحل
الكبر ناديها . اجريت لساني من ذكره بما يكاد في سيد اولا لا يدرج في مضماره
واطلقت قلبي من وصف مناقبه في بستان تعجب الناس من انواره وازهاره .
ووقفت قلبي على محبته فلا يتقدم ولا يتاخر . ونشرت من محاسنه بما يفتن
به الناظرون فاصبح توجيه اليه وعين تنظر . وان اعتقد التجبر واعتقد التكبر
وذهب من الباو آمذاهب لنا الطانام . واختبط في نعام الاكرام اختباط
الانعام في الظلام . وقعد متربعا فلا يرفع لاحد طرفا . وتلفع باللوم فلا يعرف

من كتاب المروة حرفا خليته في طرق المضاحك ، والقيته كخرق العارك ، وبعته
في سوق الكساد بقطعة ، وطلقته ثلاثا بلا رجعة ، وتراوبت عنه بحيث لا
اسمع له حسا ، وكتبت عليه تكبير الشيعة خمسا ، وانا امرؤ ما راني قط مالك
الاكثر باعجابه ، وتسهل لي حجابه ، ودرج في اداني طرفه ، وتادب كل اديب
بعدي خلفه ، ولربما اخرني رئيس الا قبضني بجميع كفه ، ولا طاولني سطاوله
الا طلته على رغم انفه ، ولا جالسني اديب الا استحلى كلامي ، واستعذب مراتي
واحمد مقامي ، وخدم مرد واتي واقلامي ، ولست اجب عن بابه وعن ملك
ولا يقول لي حجاب انت من ، فالشريف ادام الله سعادته اطرحني كل الاطراح
واستقصر بابي ولو مددته لدفعت اليه بالراح ، وما بالا استزري بي وقدري
لا ينكره الا اهوق ، ووضع مني وتحت انخفضي للفتوق ، وصارفني في قيامه على
جلته بافعاله ، وعاملني بالوراء احد لا يستجهله ، ودفع علي من لم يجلس في
منازل السرقة الا في صف النعال ، واستدفى من يحتاج ان يربط عنده
بالشكال ، اترى استقطني من عيبه الادب الذي انا ملي بشعاره ، ام النسب
ام النسب الذي انا سابق في مضماره ، ام الفضل الذي طي يجري بتياره ، ام العلم
الذي انا نزيل داره ، اذا ابصرتني اعرضت عني ، كان الشمس من قبلي تكون

ولست جاهلا من غير فضل ، فا تدري اغث ام سمين

ام حفرت في نفسه لحاجة في ماله ، او الطمع في نواله ، او افتقار الى جاهه ، او
لخدمة له ولاشباهه ، كلا ، كاني بالشريف ادام الله عزه ، وقد اخذته عزة
النفس ، وعلته ابهة الشرف ، واقلقته خشونة الكلام ، واخرجته ضغطة
العتاب ، وزرقته غيرة الاعجاب ، وحنته حمية الغضب ، وهاجته سورة الغضب
وزعزعته عظمة النسب ، فهاج وثار ، واستشاط غيظا وفار ، وجرد واغتاظ
ونطق بما شاء له من الفاظ ، واضطرب واغتاب ، وما خاف الجواب
وصال وحده واستطال ، وقال فيما قال ، لا واخذه الله فيما استباحه
من عرضي واستحله ، ولا حاسبه على ما امتهنه من جاهي وابتذله ، ذنوبه
كرامة لاباته عليهم السلام مغفورة ، وعيوبه اجلالا لهم وتعظيما مستورة ،
واسباب المعاتبة وابوابها عنه منقطعة ، واوامره فيما يشكل لي شبهة متبعة

وحلة امري لا خلاف لامره ، اقرب او اقصى واسخط او ارضى

جعلت له روحي فدا من الردى ، ونفسي مملوكا وخدي له ارضا

وله رسالة افتتح بها الى بعض الرؤساء وهو في مجلسه حلها من قصيدة ابي تمام ابن اوس

يا من يواصل في سيره بين ايجاف واهراع • ويتابع في طريقه بين ارقاع
وايضاع • ويطوي الفلاة اذا نام عنها الدليل • ويسأل السرى اذا التبس على
غيره السبيل • فلا يجم مطاياه حتى يبلغ مناه • ولا يريح مراكبه حتى يدرك
مطالبه • اذا بلغت فلانا فاخدم حضرته بسلام • وحياه من تحية اجلال
واعظام • ولا ترم حد متن احسن لزام • تستوف منها حظوظ اعزاز واكرام •
ولا تصلح لخدمته الا لمثل ذلك السيد الذي طابت على الغيب والمشهد
اثاره • والسيل الذي سالت بالنجيب والمنجد انهاره • والبحر الذي زخر
وطمى تياره • والبدر الذي ظهر فعمت انواره • والربيع الذي فاحت
للمرتبع نشره ورباه • واداه للمنتجع بالغزارة • فكفه جود اذا لم يجد
الانواء مستقاه وتيب اذا طال في غيره الرشاء • ورماحه مترعة ابكار والبناء
وصفاحه مقلعة اثار الاضداد والحساد • وعطاؤه ينال من السؤال
في كل طريق • ودعاؤه يسمع صم الجبال في ذروة كل نيق • وعسكره الجريش
على اعدائه غارات • ويدرك من مخالفيه ثارات • ويكلهم كلما لا يطلع الرسام
في برئه • ويجيع لهم حجي الامن كنونه • لو دل الزمان طايعا لامره ونهيه
تابعا لنديه ورأيه • متنقلا لرسمه جاريا على حكمه • وقد بلغه انزعاج قلبي
لما دهمه من خطب عائر • واهمه من جدال خصم غادر • كاد الزمان ان يشمت
به حساده • ويقول بعد اصلاح الامر افساده • تداركته رحمة من عند
الله جل اسمه فنولت نصرته • ورأى حبل من فلان فاقال عثرته • وخرج
من تلك الظلمة خروج البدر من سحابه • وتجرد من تلك التهمة تجرد السيف
من قرابه • وخصم خصمه حتى رجع خائبا احرجا • والجمه حتى ترك جانب حجته
ناقصا محرجا • ولولا العياذ بالله نفذت سهام حيله • وصدقت كواذب
امله • حتى يجلو عنه ثغر عزه وشرفه • ويتنام عين الدهر عن رعاية جسماه
وكنفه • لو نحت الاصابع على لوعة لا تبرد ابدا اضنا زها • وتجف الدامع
بدما لا تخلف انوارها • ولذبلت اغراس البلاغة واشجارها • ولذوت
انوار الرياسة وازهارها • ولكن الله توحد له بالكفاية والسعادة • واجراه
من حفظه ورعايته على اجمل عادة • ونصره عليه حتى استقرت به الدار • وسكن

تعريض بمراده في حجاب
واغلاقه دونه الباب

حتى جرى بحكمه اووافق ارادته المقدار . وانا اليوم حيثما اقام اقمت في
جنابه . واينما سار سرت تحت ركابه . وكيفما تصرف تصرفت على حكم
ايثاره . وربما ارقدنا نارا عشوت الى ضوء ناره . واوثق ان الله تعالى
يمتعني بما جاد واجاد ببقائه . ويسعدني واجله ونال الرؤيا بالنظر
الى لقائه . بلطفه وعطفه

وكتب رسالة الى بعض تعرض فيها بانه قد
احتجب عنه مرة البواب واذن لغيره من الكتاب

الوقوف بابواب الملوك فضلا عن الاجلاف . امر من تجرع السم الزعاف
والصبر على حجاب الاشراف فضلا عن الاخلاف . اصعب من الموت بجزاف . ومن رضي
بتلقي مقاسات ذل وهوان . فما هو بانسان . ومن لم يتجشم معاناة منٍّ من
فما هو بحر . ومن لم ينب طبعه عن زيارة اللئام . فما هو من الكرام . ومن
لم يكن في مقام الذل صعب القيادة . فلا طمع له في السيادة . ومن لم يرق في
زمانه صلب المعاجم . فهو من البهائم . ومن لم يانف لنفسه من اتيان
الرذائل . فغير معدود من الافاضل . ومن كان قصير باع الهمة .
كان مستحقرا عند الامة . ومن كان صغير النفس قليل الاستنكاف
كان عرضا لسهام الاحتقار والاستخفاف . والرياسة ليست تنال بالتحمل
والتبذل . والجلالة لا تدرك بالتملق والتذلل . ومن عرف ان
الارزاق مقسومة لا متقدم لها ولا متأخر عن مقدرها فحرصه على
سؤال الانذال جهل وغرور . ومن ايقن ان ما ختم له واقع لا مهرب له
منه ولا مفر فحرزه هباء منثور . والحذر لا ينجي صاحبه من القدر
ولو استتر بالف جنة . والقدر لا ينفع مع محتوم القضاء ولو عانق
الغنى الف سنة . فالاولى بمن تكون له حمية . ونفس ابية . ان لا
يصبر على الذل ولو مات جوعا . ولا ينبغي على الهوان ان يولع بجاهه
ولوعا . ويبذل روحه قبل ان يبتذل ويهان . ويصافح حد
السيف قبل ان يصافح الامتهان . ولا يسلم على لئيم وان كان التبر
تحت قدميه . ولا يتذلل لزنيم ولو ملك الدنيا كلها باقليم . ولا
يذل لمن لا تكسبه الآداب عزا . ولا يحصل بخيله بالدنية كنزا .
والتناحر على خد متمرد لازم على النفس الخسيسة . واحتمال الذل
في طلب العز علو من الهمة القصيرة .

حاجة • ومسالكها بالية • ومناهلها مجاهل • وسبلها عُطُل • فلو
رآها امرؤ القيس لما استصحب عرعر • ولو سلكها ابن مقبل لما
استوعر دَحيَّر • ولو دخلها الاعراب لاستحقرت وبار • ولو جاوز
لا قالت جوف حمار • ووراني من اذا خطرت بخاطري ابكار ميزته •
وتمثل لناظري جمال غرته • وتذكرت محاسن ايامي في حضرته • استوقفت
المطي • ولم استطع المضي • وبقيت على مفارقته متندما • ووقفني
الشوق فلم اجد متأخرا ولا متقدما • فها انا مقيم على جمر حيرة فلا
ارى قدامي معبرا • ولا خلفي مصدرا • قد قيدتني ليالي احسانه
وكرمه • واثقلتني بره ونعمه • واغناني نواله عن تكلف الاسفار •
وتركني وانا في معرض من الاستظهار • فان القيت عني قناع الحيا •
والزمت حجة الانكفاء • نسبت الى العجز والفزع • ووصفت بالحرص
والطمع • ورميت بما انف منه الرجال • وترجف بجنبي ولست
كما يقال • وغدوت أُعذَل ولا أُعذَر • وحظيت بعار دونه الموت
الاحمر • وعوتبت بلا ذنب • وغودرت اخجل من وهب • فان ظلمت
نفسي • وركبت راسي • وانحرفت عن طريق التجارب • واغضيت
عن النظر في العواقب • واقتعدت مطايا الخطر • واستهدفت
لسهام القدر • ووطنت نفسي على التلف العاجل • والتغرير بما هي
من محاصل • وقلت بقول الوليد • اطلبا ثالثا سواي فاني •
رابع العيس والدجى والبيد • بعدت عن من لم تبعد عني مكارمه وفواضله •
واخللت بحضرة من لم اخل بوجوده ونائله • وفارقت من لم يزل قلبي
بين يديه • وباينت من لم تزل همتي مقصورة عليه • حتى ربما تفضي
بي الى ركوب الردى • وادمان السير والسرى • الى توسط ذئاب عاوية •
وسباع ضارية • افزع ما اكون منهم اذا كنت مجاورا او عشيرا •
واخوف ما ابيت فيهم اذا اخذت منهم خفيرا • واشق ما يكون على
امري اذا شققت بنا بينهم سبلا • واخس ما اسافر اذا استصحبت منهم
دليلا • هذا ان ساعدني في طريق الجد السعيد • ووافقني في
مسافتي التوفيق والتأييد • وسلمت من رجال بني سليم • وامنت
اغتيال بني عقيل • وتخلصت من تكلب بني كلاب وكلب •

بيت

ان كنت تزداد حزناً لا نفاد له ۞ في الدهر فاتبع نعوت واهجر الناسا
واجعل ذكرك الذي في نفسه ابدا ۞ صديقك الصدق في صبح في الغلاديا

واعلم ان الملك المنتصر بسلطانه ۞ والمستظهر بانصاره واعوانه ۞ و
المقتدر في زمانه ۞ والاوحد في مكانه وامكانه ۞ والغالب بسيفه
وسنانه ۞ والمهيب بحجابه وغلمانه ۞ اذا شبت لا يقدر ان يرد عليك
بعض شبابك ۞ واذا مرضت لا يستطيع ان يمسح ما بك ۞ واذا انقضى
اجلك فلا يمكنه ان يزيد فيه ساعة فمن المحال تهالكك في عبادته
وتخليك في قلادته ۞ ومن الضلال تدينك بخدمته ۞ وتعرضك
للقمة ۞ هيهات هيهات كيف يقدر على دفع السوء عنك من نصبه الله تعالى
للآفات غرضا ۞ وكيف يقيك الامراض من يشكو سقاما ومرضا ۞
وكيف يزيد في اجلك من يعضه الموت بنابه وضرسه ۞ ويقيد
في حبسه ۞ أفق من سكرة الحرص والشره ۞ وتوثب بها من الغفلة والعمه
واعرض عن من يتولى عن ذكرك ۞ وابعد التقرب الى الجبابرة عن
فكرك ۞ فانك ان واضبت على معاشرتهم ملوك ۞ وان اعتززت
بايامهم ودولتهم اذلوك ۞ وان عثروا منك على ادنى زلة اشاطوا دمك
وان انكروا منك خلة واحدة نسوا خدمك ۞ وان تقربت منهم احرقت
بنارهم ۞ وان اختلطت بهم شاركتهم في اوزارهم ۞ وان توسلت اليهم
بولاء أو محبة ۞ لم تفد وسوء مغبة ۞ وان زادوا منك في مالهم
بسير رغبة ۞ حاسبوك على اقل من حبة ۞ شعر

لا تشغلن بلذة الحساد واسع الى ۞ عبادة الله واترك خدمة الناس
فما ترى اليوم حرا تستعين به ۞ على زمانك فالبس حلة الياس
ودع بهايم زانهم اجلتها ۞ دكاب امثالها للمكس والكاس

اصبر يا هذا فكانك بسحايب القضب قد تقشعت ۞ وبعارات الوفود
وقد تقطعت ۞ وبالاسباب المتآلفة وقد انصرمت ۞ وبالابواب
الشاهقة العالية وقد انهدمت ۞ وبالجهال الذين نفخ الشيطان
في اذنابهم وقد دموا سلاحهم ۞ وبالاغنياء الذين نفس الزمان في
خناقهم وقد ساء صباحهم ۞ وبالاوغاد الذين كان الدهر اولى
الفضل بهم وقد مدوا ايديهم بالسؤال في الطرق ۞ ودلوا مطرحين

في الزلابل كالحرق ٭ فجنبذ قدم بارتة الصفار الى سوء مقامهم ٭ ودرس في استاهم أسنة اقلامهم ٭ وزبطرهم الغامس خلفهم وقدامهم ٭ واوقفهم على ما ارتكبوه من الذنوب ٭ واختفوه من العيوب ٭ ووقف قصصهم من العفص المقلوب ٭ واذل منهم كل جبار عنيد ٭ وما ذلك بمشية الله ببعيد ٭

رسالة الى صديق اجوبا عن مسائل سئل عما يعرض فيها بانشاد متكاتب

سالتني يا سيدي ادام الله عزك عن اللفظ والمعنى في الكتابة ايهما يحفظ الكاتب البليغ حده ٭ ويصرف الى تهذيبه جده ٭ وكيف صورة اللفظي الذي يأتلفان ومعانيهما تتباعد ٭ وهل من الالفاظ ما يستعمل ومعناه اذا تصفحت عنه مجهول ٭ ويعبر عنه وما الى معرفة حقائقه وصول ٭ وما يصنع الكاتب اذا استحلى بيت شعر ويريد ان ينثر منظومه ٭ ويخفي عن النقاد خصوصه وعمومه ٭ وكيف الطريق الى حله ٭ والى احالته الى جهة لا تعرف ونقله ٭ واستقصيت في هذا الباب ٭ وسالت هل تتعلم هذه الصناعة بسوى بيبه او يحتاج في معرفتها الى احتمال تعب كثير ٭ وفهمت جميع ما سالت عنه ٭ اما الالفاظ التي تختلف يا سيدي ادام الله لي بقاك ومعناها

فكالسيف والاسد والخمر والحجر واسماء الدواهي ٭ فان لكل واحد من هذه الاشياء اسماء الفاظها مختلفة والمعنى واحد ٭ والاسماء التي تتفق الفاظها ومعنى كل لفظة من اختها شارد ٭ فكالعين والخال والطرف والغرب والحد واشباهها ٭ واما الالفاظ التي هي سماة المجاز ما وراءه حق فكالعنقاء المغرب ٭ والكبريت الاحمر و احاديث العرب فيما يروون من اخبار السعالي والغيلان واشعارهم التي انشدوها ٭ وحكاياتهم التي اسندوها الى فصحائهم واعتمدوها ٭ وحذاق الكتاب يجتهدون في تحقيق المعاني ٭ ويعتمدون على ان تكون معلومة صحيحة المباني ٭ وان هذبت الالفاظ بعدها وتسددت وتعرت من الضعف والسخافة وتجردت ٭ سار الكلام سمحا سليما من المعاب ٭ وان قلقل نسجه وتلبد فلا باس بعد ان تكون المعاني خالصة من التوليب ٭ واما المتاخرون من المتكاتبين فغرضهم فيما يثبتونه

من الكتاب ان تكون الفاظهم هائلة • وان كانت معانيها فائلة مائلة •
وقوالبها رائقة • وان صارت مراكبها ضالعة ضالعة • وفصولها
مصقولة مطراة • وان كانت اصولها معدولة عن الصواب
معراة • فاحذق من فيهم اذا اعجبه شعر بليغ واراد ان يحله
ليستعمله • ويبتذره وينتحله • تحيّل في حل نظمه لقلة هدايته الى
الصناعة • وتبلّد في تغيير رسمه لخفة ما معه من البضاعة •
وان كان ارق الناس طبعًا • واذكاهم بصرًا وسمعًا • فان اتعب
خاطره وفكره • وادق بحسب امكانه نظره • اتفق له ان يسلخه
سلخ سارق في ربقة نجحه قبل مدخله • ولم يفرق من هذا
الباب بين مفتوحه ومقفله • حتى يبرزه من خدره ابراز
فزع جبان • ويعرضه على الناس وهو ينادي انا الغلادن وفلادن
وقبح محاسنه وغير حلاه • وفضح نفسه فيما انتحله وادعاه • والفاضل
في صناعة الكتابة اذا هم بالابداع انفق • واذا روى في حل منظوم
دقق • واذا صمم في تهذيبه حقق • واذا رام فصل شيء منه طبّق •
حتى لو سمع صاحب النظم بالكلام المحلول من نظمه لما خطر ان خطر
فعله بباله ولا بضميره • ولو تحلى له معناه لتعجب من حسن تعبيره •
ولا عجب بحلاوة منثوره • ولهذه الصناعة قوانين لا يكاد يعرفها
الا فحول الكتاب • ولا يقف على اسرارها الا من اوتي فصل الخطاب •
فاما هذه الطائفة التي صحبناهم • وعاشرناهم وجربناهم • فوالله لو
سألتهم عن معنى بيت لابي الرقعمق لبلدوا في تفسيره تبلد حمار • ولو
ارشدتهم الى طريق الكتابة لضلوا عنه بالنهار • ولو انتقدت جميع ما يكتبون
لم يحصل في يديك منهم غير الشغل المكشوف • ولو سبكت جميع ما لهم من الادب
لم يجتمع منه غير البهارج والزيوف • نسأل الله ان يخرجنا من ظلمات الشك
الى نور اليقين • ومن الاشتغال بالدنيا الى الاشتغال بالدين • والا
يجعلنا ممن لا يعرف قيمة نفسه • فيتخبط في جنسه • ولا يدري
مقدار علمه وادبه • فيتورط في غيه وعطبه • انه ولي ذلك والملي
به •

وله رقعة الى ابي علي [illegible]

انا ادام الله الشيخ اذا كتبت الى صديق رقعة صدرتها الا بوصف محاسن

مولاي

مولاي الوزير الاجل ادام الله جلالته وحبرتها بشرح فضائله التي اثارت على
انوارها للابصار • وسارت اخبارها في الامصار • واوقفها كل فا
واذعن لها كل حالٍ وعاطل • علما مني بانها تضمنت جميل اوصافه
وانطوت على ذكر مناقبه ومناقب اسلافه • سلمت من الخلل
وامنت عليها عوارض الخطا والخلل • وتعطرت منها كف الناشر
وارج بها لسان القاري والذاكر • واعترف بفضلها كل جاحد • ورغب
في معرفتها كل زاهد • فادام الله ايامه في عز يدوم جماله • وجلال
يتجدد اقباله • وسعادة يتزايد اشراقها • ودولة يدوم انتظامها
واتساقها بجوده ومجده • ولست اشك فيما عنده من حقيقة ما
اسداه الي انعام مولاي الوزير الاجل ادام الله تمكينه من الجميل الذي
اعجز اللسان ذكره ووصفه • وانتشر نشره وعرفه • واستعطف به
قلوب الاحرار اليه بعد ما كانت جامحة • واستوقف به نفوس ذوي
الفضل عقب ما كانت سانحة طامحة • وهذه المكرمة وان كانت
جزا من مكارمه التي لا تعد • وبعضا من مفاخره التي لا تحد • فانها
دلت على انه وضع بها موضع المنقب هناه • واوقع بواقع الدا دوا
واحسن الى من يحسبه لشكره والناس نيام • وليجمل على ما يورده ويصدره
قضاة وحكام • والذي اسال ان يتفضل ادام الله عزه باطلاق
جاري شهرا واحدا بعد ما وقع باطلاقه لا تبرك بعوده بعد طول
غيبته • وتطيب النفس بالظفر بعد استحكام ياس وخيبة
وان احتاج الى مطالعة حضرة مولاي الوزير الاجل باشا التمر قدم الامر

[illegible] من الكتاب

دعاني يا سيدي اطال الله بقاك
تلذذ الى منزل لا اخلى الله من النعم فناءه • ولا حمى من الاسوا
قضاه • ولا اراني الله ابدا لقاه • ولا اماط نحسه وشقاه
وكانت دعوة دمع على كل من حضرها وشهدها • وشفوق على
جميع من ابصرها وشاهدها • وخزيا على كل من دخل داره
وحزنا على من سكن جواره • فلم اقرب من باب داره الا وتلقاني
بوابه كانه مالك يرجم باسر عليه رماد وبداد • ومعه من حاشيته

زبانية غلاظ شداد • قد دام قنوطهم فلا يعرفون الاستراحة
وجفوف • وقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة • وبايديهم
عصي يخبطون بها اعناق البشر لا اوراق الشجر • ويطردون بها
كرام المجالس لا خساس الناس • فكم من منكب قبل الدخول الى
دارة نكب • وكم من واغل امام الوصول اليها ضرب وسحب •
ومن لباس تمزق • ومن ثوب لتحميل خرق • ومن منديل
نفض • ومن دافع رهض • ومن حوار عض وامتعض • وكم من كريم
هدف للمكروه وغرض • وهم كالكفار الى جهنم يحشرون • وكانهم
يساقون الى الموت وهم ينظرون • وانا كاحد هؤلاء الضيوف لا
ازال اخاطر مستغلا • ولا ابد نفلا • واسلم على واحد واحد متبذلا
وادفع بصدري خارجا مستقبلا • الى ان وصلت الى داخلها •
فوصلت كل مكروه وشر • وحصلت في وسطها بعد مقاساة
جهد وعسر • واذا انا بقويعة طولها اقل من شبر • وعرضها
دون فتر • اضيق من كل حبس واوحش من كل قبر • فكان السماء
على واقعة • وكان الجدران قد اتى ساجدة وراكعة • وبين السقف
والارض اصبع • وراس صاحبها من الاحتكاك بها اصلع اقرع •
فصبت عرقا • وتقذيت ضجرا وقلقا • وتطلبت مخلصا واين المهرب
والمفر • وتجنبت الناس والتجنب ادهى وامر • واستندت بعد
احتمال المشاق الى حائط كان عليل قد اخذته الحمى بنافض فهو
ينتفض • او حامل اضر بها الطلق فهي تتمخض • او جبان ذايفة
ترتعد • او غصن ضعيف يميد ويخضد • قد نقش بعد الرخام
بالسخام • واوزر بعد الساج بالسياج ودخان السراج • اسبيداجة
رماد • وجبس سواد • واساطينه اوتاد • واعمدته اعواد ما عليها اعتماد
وعلى يمين الداخل صفة ككفة الحابل بل اضيق منها مجالا • وككفة
الميزان بل احرج منها مجالا • قد فرشت بفرش ارفع منها الحصير
والبواري • وزينت بسواري انحت منها السحب السواري • والسفاح
يتزاحمون فيها كالبهائم • ويتضاغطون بعضهم الى بعض كالنساء في
الماتم • ويتهمون ما اعد لهم من المطاعم • كالسقي وافد البراجم •



90

تكاد الارواح تطير من اصواتهم المختلفة • والانفاس تضيق
من لغائفهم المخرفة • والنفوس تذهل من شغبهم واصطخابهم
والعقول تبطل من لغطهم واضطرابهم • والادمغة تجف
من اختلاط بخرهم بصنانهم • والعيون تعمى من النظر الى صودهم
والوانهم • وقد فاض الحنش • وامتلأ الجب • وعرقت الاباط
وعظم الخطب • الى ان صاح فيهم صائح صاحت عليهم صائحة
بالزحف الى المائدة المنصوبة • والسعى الى الاطعمة المغصوبة عليها
المغصوبة • فكانما كشف الله عنهم اسباب المحنة • وبشرهم بعد
القنوط بدخول الجنة • فبادروا افواجا • وتتابعوا افرادا وازواجا
واحاطوا بها وهي كبطن المرآة استدارة وصفاء • او كالهوى خفا وخلا
خالية عن كل حار وبارد • داهية على كل قائم وقاعد • كانما الرغفان عليها
لصغرها وخفتها عشور المصاحف • وكانما الجرادق حوالها الزها
وعلو نهارشان الاساقف • فلو هبت الرياح عليها لطيرتها بمنثرديرة
ولو ضربت الانفاس منها الكرة لكانت الكرة • قد اقتص صاحبها من الدجاج
المستدة على القصاع والخطاطيف • ومن الزيدبايات المنثرة على الجرانيف
والكرانيف • فكل طعام قدم كان انتن من لحا المسنون • وكل شواريخ
كان اخشن من جلاد المطعون • وكل لون حي كان اوحش من زرع البخيل الشتل
وكل حيوان اعد كان ادق من العليل النحيل • وكل طعام اكل بارد يعلوه
قتار • وكل زباب نزب فيصحن حار كانه نار • سكباجه اسبيدباج
واسبيدباجه سكباج • وحول المائدة طعام طراد • وتحتها اتون وقاد
وقد صارت مناديل الجلوس مناديل الغز • ومواضع الفرش مرابط
الشا والبقر من القذر • وانواع الحلاوى كلها معدومة كانها
العنقا يسمع باسمه ولا يرى لاثر • او الكيميا يبالغ في وصفه ولا
يبيح منه خبر • والله ما اكل احد من طعامه لقمة • الا حلت به
نقمة • ولا كسر من رغيفه حرفا • الا لقى التلفا • ولا رفع من بين يديه
بقلة • الا وجد في نفسه ذلة • ولا مس منهم لحا باردة • الا اصل
الزمان ابدة • فمن كسر منهم خبزه كسر الخبز ضرسه • ومن ذاق طعامه
دق الطعام عظامه • ومن خبار قنده • نتف الحيوعنفقته •

(margin note:) جوارش جبريجيرونة بالنخ ... [illegible]

(margin note:) ... [illegible]

ومن شرب شرابه . فليع الشراب نابه . وهم على هذه الصورة . وبهذه
الكدورة المذكورة . فمن عابث بالبقول يزري اذا اكل . ومن مازح
بالفضول يظهر انه فاضل . ومن صايم جوعا لا زهادة . ومن مسبح
تعجبا لا عبادة . الى ان قاموا وتبددوا فكانما بددهم الخذلان .
وتفرقوا كانما فرقهم القربان . وانا وحدي مفرد ومعتزل منهم في
زاوية . والدار كلها زاوية هاوية . كاني من القلق على طاير جناح . وملا
ما لاقاه بحيرانا غامرا . واتلو من كتاب الله ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون . الى ان وقعت الاجابة . وارتفعت الكآبة . ومن الله
بعد الجزع بفرجة كحل العقال . وخلصني برحمه من تلك الخطوب
الثقال . وافلتّ من حبس الضيافة بعد ما ايست كاني قد نبشت
من القبر . واخرجني ربي من الضيق والغمّ الى الراحة قد بدل العسر باليسر .
والحمد لله الذي جعل من بعد عسر يسرا . ولم يجعل عاقبة امري خسرا . ورزق
نعمة انصرف بها على حكم الاختيار . وانفقها بيد الاقتدار . لا ابددها
في غير طاعة اسرافا وبدارا . ولا اريد بها في الارض علوا واستكبارا .
ولا ادخرها مخافة النفاد . ولا ابخل بها من سوء الاعتقاد . واليه
الرغبة في امدادي بالتوفيق . وصيانة ما انعم به علي من التفريق .
والترنيق بجوده ومجده . **ولم رقعة الى انسان بلغه انه هجاه
واغتابه وهو ملحد** حدثني من اثق به دينا بحدسه وبحكيه . واصدقه
نبا بلفظه ونهيه . انك هجوتني بابيات رائية نبهتها زجرا بوعظك
واخرجتها في معرض قبيح من لفظك . وانشدتها في الشوق بين بعض
السقاط . دلالة على ما في راسك من الهوس والخباط . ثم استكتمته
السر والمقادورة منه كتم سرا . واستغفلته لحديث والحر لا يعدم منها
سكرا . فلذاك خنت له ببلغني الحديث فاسل لسانك من قفاك .
ولا هوانك لضعف ايمانك وخبثك وهواك . ما فحت به فاك . ولا ادري
من اغرق سكها في السقوط المستمع او القايل بل كل منكما في النذالة سيا
دهان . وانتما كما في الجاهلية رضيعا لبان . يا كلب . وقد رفعت قدرك
اذ دعوتك كلبا . ويا ولد الزنا اذ لم يعرف لك احد اما ولا ابا . انجاه
ان تسمع الناس ذمائي وسبا . وتحتقر في بغداد وتوبا . والله لولا اني لا

أنكر فيك هجوت أم مدحت • ولا أبالي أنك سكت أو بحثت •
ولا معاتبة معك حنثت أم أفصحت • ولا اعتراض على عرضك
عرضت أم صرحت • لقلعت نابك النقد • ولسحقت وجهك
النكد • ولحثوت شعبك التي هي شعرنا عائض • ولملأت
بالخرا منخريك اللذين كأنهما جوف مبطون هائض • ولكن شأني
لا يعاقب استحقار القدر • واستصغار الذكر • ولا يعاتب
على ما يقول استحقاقا بالحبة • وترفعا عن شتمه وفريته •
وما أنا بأول من ذم وهجي • وامتحن بساقط مثلك وابتلي • الشرفاء
قد سبوا الله تعالى وتقدس فلم يؤثر ذلك السب في قدره وجلاله
والمنافقون قد ثلبوا النبي صلى الله عليه وسلم فما ضر الثلب
بنبوته ولا رسالته • والشعراء قبلك هجوا الخلفاء • وذموا الأمراء •
وشتموا الرؤساء • وسبوا الأغنياء والفقراء • إنما الهجاء للكرام
كأضغاث الأحلام • والسب للأفاضل كالماء في المناخل •
والانتقاص للفضلاء • كالهباء في الهواء • أترى البحر ينجس
إذا ولغه بلسانه • أم يعض الكلب إذا عض إنسانا بأسنانه •
أم يضر بالبدر إذا لم يبصر الأعمى أنواره • أو يذم الربيع إذا استحسن
الناظر أزهاره • أم يحط قدر السيف إذا لم يعرف جوهره ومقداره •
أم ينقص فضل الفاضل إذا كان العائب لا يحسن أعشاره ولخنا
يا وضيع الأصل والفصل • ليس من طبعهم فقد وجف شاربهم •
ويتردى بفوطة يتخفى معايبه • ويشكو المسكنة والقلة • ويضرب
بجوانب البتلة • ويظهر زهادة وهو أخطف من الحدأة وأحد منها
أظفارا • ويبدي نسكا وهو شر من إبليس ضرارا • وأخلع منه
في الفسوق عذارا • ويمشي وهو كالقملة والنملة في الحقارة والقذارة
ويخفي شره وهو فيه كالعقرب الجرارة • ويغطي كثير نفاقه بقليل
خيره • ويتشوق عند العوام بأدب غيره • ويمزق أعراض الكرام
بشعر يشبه في القذارة شعره • وكلام يحكي في الحقارة قدره • يعطي
ما يسأل • ويحمل على ما يفعل • ويتلقى بالترحيب والتقريب
ويبجل في المشهد والمغيب • فلأخرجنك من ظلمات القعرات •

وانقذتك مما كنت فيه من الخصاصة تارات • واشبعتك بعد
طول سغبك • واريتك من عريك وكربك • وخلصتك من الكسر
التي تلقطها وتخباها في كيسك • وتجمع بينها وبين قراطيسك •
وتجعلها في الليل وسادتك • وبالنهار مزادتك • وفي الصيف
قلادتك • وفي الشتاء لبادتك • ولكن الاحسان اليك غرك •
والانعام عليك قادك الى سوء الادب وجرك • لانك زنيم
لئيم لا اصل لك فتعرف • وكالمرة لا عقل لك فتوصف • ولا دين
لك فتوقر لديانتك • ولا فضل عندك فتجل لروايتك • ولا
فكاهة فتخف على الظرفا لخفة روحك ونجابتك • ولا خطر لك
فتستر به عيب مهابتك • فلاي سبب ترجو من الناس اعجابا
ومحبة • ولاي شي تعطى ولو حبة • انت اهون شيا من ان
يتفكر احد في نطقك ونزقك • او يصغي الى ما تزخرف من ركيك شعرك
لو اشتغلت بترعيبك • ونفضت جيد القمل من جبابك • و
نفضت فتصيد من الصيبان التي انشطت في دروزه • وجمعت
جذاذك الذي راسك مشتاق الى مضفوره ومجزوزه • وكفيت
من يجد ثانك مؤونة بخرك الذي يصرع الطير من الجو • وصنانك الذي
يعمي البصر بعد الضو • وصحنة مخاطك الذي تشطر به خبزك • ولعابك
الذي تنطي به برزك • لكان اعود عليك • واحب اليك • ولكنك
مثل القرنبي لا تظهر بالنهار خوفا من ان يعيبك الضو او يوبقك • و
تحسب ان التوليم اذا جاءت باخذ عيك تصرف عن سليقتك • ولو صنفت
بالف تزييف • او تمخرق عن كنيتك • ولو قرات الف تصنيف • والذي
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى خلقه • واودعه اسرار حقه • لولا انك
تصغر في عيني من ان اكافيك بخطاب • او الومك بعتاب • او انهبك
من منابك • او اخرجك من ظلامك • وانك غريب تنسب الى بلاد
مس جلدي ترابها • وما تحتي فيها رؤساؤها واصحابها • وجاهل
لا تعرف مقادير الرجال • وضعيف لا تقوى على مقابلة سيوف النعال
لنتفت كل نبات خديك بيد مصيبة غير خاطئة • وقصفت
كل شعرة على فوديك بنعال اليها خاطبة • ولكني اهنتك لقدرك

الذليل * وجعلت عرضك لقا في السبيل * وحسبنا الله ونعم الوكيل

الى انسان ساقط من اللقب بالامارة يدعي علم النجوم وعلم الاوائل ويتكثر بتعوده الالباب وارباب الطبيعيات وهو دعي بنا جزف

لي يا اخي في العرف والعادة * او من الرضاع ولو من الولادة في علم النجوم
طالعها وساقطها * وصاعدها وهابطها * وتصور الاجرام العلوية المتحركة
بقواها وطبعها * وما يتولد في العالم السفلي من تاثيراتها الدالة على
ضرها ونفعها * والكواكب الثابتة على جميع حالاتها * والسايرة المعروفة
باسمائها ودلالاتها * وترتيبها في الافلاك * وهيئاتها في السكون والحركات
وانفعالها في الانتقال والاعتدال * ومجاريها في الجنوب والشمال * واوقاتها
في اتصالها وانفصالها * واحوالها في صورها واشكالها * ومعرفة بروجها
الذكور النهارية * واليابسة النارية * واناثيها الارضية البارده * والصالحة
منها والفاسدة * وسلطانها من الانسان * وقسمتها من البلدان * واستوائها
وانقلابها * وتباعدها واقترانها * واختلاف حدودها * في نحوسها وسعودها
والطريق الى امتحانها * في زيادتها ونقصانها * واجتماعها وافتراقها
وكسوفها ومحاقها * ورجوعها واحتراقها * وشرفها ووبالها * ووقوفها وزوالها
واحوال جميعها * في تسديسها وتربيعها * وتثليثها وبطيها وسريعها * وارباب
مثلثاتها شرقيها وغربيها * وهوائيها وارضيها * وشركائها بالليل والنهار
وعلاماتها من الاقبال والادبار * وبروجها المستقيمة منها والمائلة * والمتضادة
والمتعادلة * والاوتاد التي عليها الاعتماد * والنور الذي منه الانتقاص
والازدياد * وحقيقة كل كوكب في ذاته اذا كان صاعدا في ذلك البرج
الاوج او ناقصا * او مشتركا مع غيره او خالصا * ومتاربا كان او متعا
ومتباسنا كان او متباعدا * وتشد ما كان او متاخرا * ومتى تكون العلوية
من الكواكب صحيحة * ومتى تراها ضعيفة سقيمة * وما الفرق بين النقل
والجمع * ورد النور والمنع * وكيف نظر الود * وكيف دفع التدبير والرد * و
باي شيء يستدل على عموم الاحداث * وما الفرق بين الاعتراض والانتكاث
وكيف يتخلص الكوكب من هبوطه * وما الذي يحرقه وتوصمه بالنحس وسقوطه
ومن اين نضح للكافات والنعمة * وكيف تكون المصارعة بين الكواكب والزاغبة

وشربني نمير وكعب . وجاوزت اشابة بني شيبان . ولم تنتبه
لي بنو نبهان . وادركني حسن الاتفاق . وحصلت بارض
العراق . ولعبت في مساعي كلها سعدا . وفي مقصدي رشدا .
فان سلمت بعد هذه الاخطار . ووصلت الى تلك الديار .
وحصلت بين قوم شاهدتهم وايام الشبيبة مونقة . وافنان
الحداثة مورقة . وعاشرتهم زمانا سلبته سلبا . ودهرا قطعته
وثبا . والفهم وللنفس فيما بينهم مآرب . ولحبيبهم فخرت هنا
عجائب . وكنت حينئذ كمن باع العيان بالخبر . ورضي بالبدل الاحقر
واحتمل العقوق . وبدل النوق بالعنوق . وتحول من ظهر الجواد الى
الحمار . وهرب من الجنة الى النار . واضاع سيفا شهيرا كان يفري
بغراره . وافتقد بدرا منيرا بات يسري بانواره . وفارق حضرة منها
كان يدرك مناه . ويبلغ غناه . وخلف من كان حجابا بينه وبين
الحرمان . وعدو صد ما يسيء وحده في الزمان . ولو استقبلت
ادام الله بقاء مولاي من رايي ما استدبرته . لما رحت بسلعتي نحو بابه
ولما لقيت من المكاره والحال هونا . ولما احتجت الى ما اقفني موقف
الاعتذار . ولما بعت النقد بالقمار . ولكن لله في امره سر هو بالغه
وحكم هو فاصله . وما عليه تعالى بعزيز ان يردني عاجلا فتكتحل
العين التي قذيت بالبعد منها بالنظر اليها . وتانس بملازمتها
نفس استوحشت لمفارقتها . ويعينني حيث ما يرى على نشر
مكارمه . والنهوض بلوازمه . بلطفه وكرمه . وانا منتظر من
مولاي الشيخ ادام الله ايامه تشريفي بكتبه كل وقت منتظر
لا سكون اليها . وتعريفي اخبار سلامته التي اشكر الله عليها .
وتصريفي بين اوامره ونواهيه منعما ان شاء الله تعالى ولما الى
بعض الاشراف وقد وعدني بكتاب التسير في معنى شعر المتنبي لم حفظه
كتابي اطال الله بقاء الشريف وانا على جملة من السلامة لم اجد في تفصيلها
وفي ذروة من السعادة تقصر المنى عن ادراكها وتحصيلها وحرسي
بعد الدولة القاهرة مستقرة على سنن انتظام واعتدال . وامور
مستمرة على احسن ماثورة من عز واقبال . ولله الحمد كما هو اهله

وكيف وجد الاهتداء في المطالع في اختلاف مجاريها وطرايقها • وحقيقة
درجاتها ودقايقها • وقرداراتها التي هي اعداد معلومة للكواكب السيارة •
والجوزهر والذنب ونسبتها الكبرى والوسطى والصغرى وما الذي منها من الكل
وما الذي من الطبيعة والمزاج • وحال الكدخدا والهيلاج • ومنازل القمر
على تباين اشكالها الربيعية منها والصيفية • والخريفية والشتوية •
والامطار التي تنتهي اليها • والانوا التي تدل عليها • وصورة الهياكل للعلة
الاولى والعقل والنفس والاقسام • وكيفياتها في الاحكام والاجرام و
تحقيق نزول الشمس في اول نقطة من الحمل • وعلة دورانها في ساير
ازمانها بدلائلها وبرهانها على مذاهب الحكما الاول • وحفظ قوانين
اقوالها في القرب والبعد • على مذهب حكما الهند • ما لو نشر بطليموس
لاقر بجدي فيها وبرعتي • ولا افتخر بتقدمي في صناعتي • ولو عاش ما
شاء الله لما ادعى عندي علم التنجيم • ولو وقف بين يدي مواظبا على التعلم
ولو راي ابو معشر لعلم ان زيجه الذي الفه مصحف • وان كتاب مواليده
مكلف ومزرف • ولو حضر عندي الحكماء الذين بجلوا هذا العلم الجليل
وعولوا على الارصاد المعلومة كل التعويل • لقالوا انا الذي فتحت
السماء فشاهدت مواضعها • ونظرت في مراكز النجوم وعرفت مواقعها •
وتتبعت مجاريها ومطالعها • وتحققت جواهرها وطبايعها • ولو سمع
الفلاسفة كلامي في العلم لازدروا باصحابه وحسابه • ولجعلوا تصنيفي
دستورا يقتدى به • فاسئل عما تشا • ينكشف عن عينيك الغطاء •
ويبرح عنك الخفاء • وتسهل عليك الاشياء • ولا تتطاول على ترصدك
الكواكب • وانفرادك بالنطق في المشارق والمغارب • ولا تهتد
بذكر الحوادث التي جربتها وتحققتها • وسهرت لها لياليّ وخدمتها • وطولت تقربا
اليها شعر [illegible] وتحت ثيابك • ولحقت لها طعامك وشرابك • وان
شيت ان تحقق قدر معرفتي لهذا العلم وسبقي في ميدانه • وتناهي دقائقه
الى امد لا يبلغ سواي في مكانه تجربتي • مع ما انك رايت لما اخذت
الاسطرلاب وانبت الارتفاع • ووجدت طالعك الثور والثور
ناقص الخلق منقطع النسل لئيم الفرع والاصل • ورايت الذنب على
التربيع في الاسد • علمت ان الراس في الدلو • واستدللت مع هذا على

دلي

رأى بطلميوس ما شاهدت انسلاخ جيدك • وانتفاخ حبل
وريدك • وورم جبينك • وانكسار عرنينك • وانقشاط الجلد
من لثتك • وانشعاب الجرح في هامتك • وتوزّر اخدعيك •
وجحوظ عينيك • وانقطاع زيقك • وغضون ريقك • وتهيّج
طرفك • وتعوّج كتفك • وتساقط الشعر المتلبّد من نقرتك •
وتقاطر الدم من منخريك على نثرتك • وتشوّش مندبلك • وتمايل
تليلك • على أن طليعة الصفع غزت رأسك • فطاعنة لقفاك •
زاحمة لشواك • وأن الأكف الخشنة نزلت بساحتك حلاوة
لعابك • مبيحة لحاك • والنواسيم المطرقة المطبقة وافتك
مضفورة فأثارت الإبادة • والنعال المسمّرة المشعّرة التي
اعقابها منشورة مزرورة بادرتك فأحسنت العيادة • هل رأيت
علما أبلغ من هذا العلم • او حكما اصحّ من هذا الحكم • فإن سألني عن
حدّ الحرف وعن اشتقاقه • وعن المقصور والممدود • وعن باب
الفاعل والمفعول به • وغيرها • وعن العروض وبحورها والقابها •
واوتادها واسبابها • وفواصلها وازدلافها • وتمثيلها وعللها وتفصيلها
وجملها • فعلى الخبير سقطت • وبالبصير عثرت • اعلم ان الحرف في الكلام
حدّ الشيء وحدّته وطرفه وناحيته • والحرف يشبهك إذ لا يقوم بذاته
وانت تقوم على اربع بذاتك • وتستدعي الغلمان الى قفاك • والحرف
يحتاج الى الغير • وانت تحتاج الى الأير • ويشتق من الحرف المحارف
وانت محارف مجازف • مخالف مخالف • وتعبد الله على حرف • وتصبح
في دينك على ضعف • والحروف تجيء على اكثر الاحوال في اطراف الكلام
وانت اضعف عندي من اطراف الثمام • والحرفة مكسب العمل وحرّ
الحرفة والادبار • والحراف للبل مشتق منه • وكذلك لا تخلو من
حراف • وانت عن القبلة ذو انحراف • تحرّف الكلم عن مواضعه •
وتقف عند منهل الكذب ومشرعه • والحرف ايضا مسيل الماء •
واستك مسيل ما غالك وحاشيتك • وقصبت نطف سؤلك
وركاتك • فاحفظ حدّ الحرف واشتقاقه • وتامّل اجتماعه
في اوصافك واتفاقه • فاما الممدود والمقصور • فقفاك اذا

مد نقص . واذا نقص بعد الذي نقص . واذا نقص نشف وعض .
واذا عض جف مع لحد عيبك . وانزل الكاي في عينيك . فان
اردت غير هذا المعنى فالمقصور عزلك . والممدود عزلك وعرك . وان
شئت سوى هذا فالمقصور في اللغة المجرى . وانت اليوم مقصور في حبس
خذلانك وحرمانك . محبوس في تربك واغاذنك . والممدود عليك رواق
من الخزي لا تجد منه خلاصا . وطباق من الشوم لا تطيق منه مناصا .
فاما الفاعل والمفعول به فالفاعل بغير اختلاف لاحد من النحويين نعلك
الذي يشفي ديدك بجوده . ويداوي عين صلبك ببروده . ويخفضك
وهو مرفوع . ويكرك وانت مصروع . ويحركك وانت مصفوع . ويعلوك
وانت موضوع . والمفعول بانت على اختلاف الاحوال والايام . اذ كنت
مد عرفت دواة الاقلام . منصوبا لهدف السهام . ودريئة لرماح الخدام . فاما
العروض فانت اشد الناس بها اشتغالا . واكثرهم لها استعمالا . وعليها
اشتمالا . لا يفارق الطويل خلف ظهرك . ولا يباعد المديد فناء
حجرك . ولا يغيب الوافر عن باب حشك . ولا يبعد الكامل عن مدخل
عشك . عقلك خفيف . ووجهك بسيط . وغضبك سريع . واصلك
مجتث . ومخازيك متشابهة متقاربة . ومساويك متشاكلة متناسبة .
فان سال عن العروض وانت عارف بهزجها ورملها . عالم بمقتضبها ومستعملها
فانت العروض كلها ولكن لا تفرق بين شعر وشعر . والبعوض خساسة
نفس وحقارة قدر . فمتى احتجت الى علوم اخر فلا تنقبض عن السوال .
لتظفر بالسر الجلال . ولا تسخط على بان ارضاني الدهر واسخطك . و
اعلاني واسقطك . وعافاني وابتلاك . وطربني واخزاك . وعدل صورتي
وشوه شكلك . وانقطع غلي واغطشك . وشوه وجهك بلحية لو نبتت
على رجلي لغطيتها عن الورى . ولما وطئت بها غير الخرا .

فصن لسانك لا تذكر به رجلا . يقضي ديون الاعادي بالتواسيم
فلست تسلم من سلطان سطوته . ولو تعوذت منه بالحواميم

[illegible]

غرتك بأغر وردة وجبنك . وتطاول مدة مرضك . وافتتان الناس

84

بحدقتك ۔ واعجابهم بالفتك ۔ وزاحمهم على عتبتك ۔ وهجرتهم من كل
فج عميق لحضرتك ۔ واصرهم على انواع تشاجيك ودلالك ۔ وافتخارهم
بمشاهدتك ووصالك ۔ وتذللهم الزائد في طلب رضائك ۔ وتحملهم
المصاعب تقربا الى هواك ۔ وتزاحمهم على القبلة الى قبلتك ۔ وتبركهم
بالقبلة لتقبلتك ۔ وانفاقهم الاموال على دعوات لتجملها بحضورك ۔
وتنور ابصارهم فيها بنورك ۔ واستهدادهم بحبك اذ تخت في
مشيتك كالغصن المائد ۔ واستبشارهم باستمالتك اذ كنت تنفر
عنهم كالغزال الشارد ۔ واستظهارك بالملابس الفاخرة التى كنت
تغيرها لك كل ساعة ۔ وتتطاول بحسنها وجمالها على الجماعة ۔ وافترا
على من تراه حاجا الى كعبتك ۔ نازلا في رحبتك ۔ حريصا بصحبتك ۔
متعلقا بشعبتك ۔ كانما تمناه من نفائس مثمنة ۔ وفخره من غرائب
غير ممكنة ۔ عالما بان امرك امضى من امر السلطان ۔ واتقانا بان
حكمك انفذ من حكم الشيطان ۔ وكلامك مسموع على كل حال ۔
وقولك لا يرد ولو قال الف محال ۔ وحسبت ان تلك النعمة تدوم
لك صافية لا يلحقها نكد ۔ وان تلك الدولة تقيم لديك زاهية
لا يزيلها احد ۔ وان تلك الولاية باقية لا ينغصها عزل ۔ وان تلك
السعادة دائمة لا ينقصها نقل ۔ وان البدر الذي كان العشاق
يستضيئون بنوره من طلعتك لا يلحقه كسوف ۔ وان الروض
الذي كانوا يتنارجون بنوره لا يلحقه جفوف ۔ وان الشوك لا
ينبت في خلال حدائقك ۔ والحسك لا يعم منابت شقائقك ۔
وانك آمن من سهام دهرك فلا ترى بعد كور حورا ۔ وان النضارة التى
كانت تجول في عارضيك لا يصبح ماؤها غورا ۔ وان الحوادث لا
تخرج اليك من المكامن ۔ وان الايام لا تسترق عنك ما اعارتك
من المحاسن ۔ وان الزمان لا يمحو من خديك سطور الجمال ۔ ولا
يكتب عليها اساطير الوبال ۔ وان الشعر لا يقلدك عذارا يمنعك
من الجماح ۔ وان الليل لا يكدر عليك باظلامه فلق الصباح ۔
وان الدهر لا يسخر منك كما سخر من امثالك ۔ ولا يريك من
الهوان من اراه من كان في مثل حالك ۔ وان لا يزول عنك ما

دُرَّتُه من جلالك المحل والموضع • وان تقدم ما كنت تتكسب من
التصنع والتقنع • وان سوقك لا يكسد بعد نفاق • وان وجهك
لا يفسد بعد اشراق • وان مرآتك الصقيلة لا يكدر الصدأ صفاءها
وطلعتك الجميلة لا يغير اللحية جمالها • وان ترحك لا يعقبه التلهف
والتأسف • وان جفنك يشترى دائما كما يشترى الند المنصف •
وانك بعد لبس العصوب والتروب لا تبتلي بغبار الرهبان • وبعد
الحلل والخزوز لا تلبس ثياب الكردوان • وبعد المطاعم المختارة
لا تاكل الطعام المجنب الردي • وبعد المشارب الصافية لا تشرب
الرنق الدردي • وانك لا تحضره دعوة كنت فيها متصدرا • ولا
تدخل مجلسا كنت تاتيه متبخترا متعطرا • ولا تصبح الا وما بك
مخمورا • ولا تمشى فى الارض الا مختالا فخورا • ولا ترجع الى بيتك
الا وفى كمك صرر واكياس • ولا تخرج من دارك الا وعلى بابك
بغال وافراس • فما راعك الا الغيرة التى نامت عليك • فكذبت
ظنك • وسخنت عينك • وخيبت امالك • وعيبت ابالك
وكالت لك صاعا بصاع • ونغصت ما سمح لك بانتزاع وارتجاع •
وبدلت سعدك من عالك بضرار • وطالبتك بعد امن بدخل وثار •
وضربت فى وجهك الف الف مسمار • ولطخت عارضيك بزفت وقار •
والبست جثتك ثياب حداد • وسخمت سحنتك بنقس ومداد •
وانحس جدك حتى طلعت نحوسه وغابت سعوده • ونادى لخذلان
من خلفك هذا جزاء من طال فى غير طاعة الله سجوده • واثبت
اسمك فى جرائد الاعساء • وسودت باب دارك وانت فى الاحياء •
واردتك من الناس بسقوط جاه وتهاين نفس • واقعدتك فى مأتم
بعد عرس • وجعلت نفسك مضيدة الفار • وكتبت على وجهك
فاعتبروا يا اولى الابصار • وصيرتك تدعو فلا تجاب • وتعدو
فلا تهاب • وتشكو فلا تنصف • وتسال فلا تسعف • وتبسط
الناس فلا يباسطونك • وتعرض اللاطة فلا يستشرطونك •
وتعرض سلعتك على من تريد فلا تجد لها مشتريا • وتبذل
ظهرك للركوب فلا ترى له مكتريا • وختم الحرمان على سمعك

وبصرك

95

ونصرك • وصرت مطرقا بعد صيدك وصفرك • وامسيت
هلال شهر رمضان وكنت لشوال هلالا • واصبحت من عدد
الثيران وكنت في الخفة غزالا • ورايتك كالملك نظافة
وظرافة فصرت غولا • وشاهدتك مصون الحريم فصرت
مبذولا • وطارت عنك الملاحة فلا شمس ولا قمر • وذهبت
عنك الفصاحة فلا عين ولا اثر • فاقعد بالمسكين في مجلس
الفرآ تعرك المردان • وتجرد لعمل الطين فقد ملك الجردان •
واقنع بكسر فقد كثرت الايام جرّتك • واصبر على العيش المر فقد
نقضت الايام مرتك • واخدم في الدواب فطال ما كنت مخدوما
وامش في الكلاب فقد صارت ايامك حسوما • واعلم ان ما
ابتليت به من عادة الدهر فانه يصعد جد الانسان ثم يحبطه •
ويبعث سعد المرء ثم يسقطه • ويرفع الوضيع حتى يجلل بالسحاب
ويضع الرفيع حتى يلتصق بالتراب • ويعز القرد حتى تهابه الاغفار •
ويذل الاسد حتى يقرض اذنه الفار • ويملك العبد حتى تسجد له
الاحرار • ويهين الحر حتى يهلكه الافتقار • ويسلب الفاضل فضائله
ويكسوها رذائل • ويحرم الاعالي منازلهم ويرزقها الاسافل •

فاياك ان تغتر بالدهر انه • على حالة لا تستقر مكوب
فلا تحتمل هما ولا تطل المنى • تقلب مع الدنيا كما تتقلب

الى الوزير يعتذر من تاخره عنه لعلة لحقته من الكرب ويهنيه
بالبرء من علته والركوب على عادته الى حضرته

تاخرت من حضرة مولاي الوزير الاجل ادام الله جلالتها بدوام بقائه •
وصانها من عادية الزمان واعتدائه • لتطاول مدة علتي ومرض و
صبرت عن حضور حضرته الجليلة ولو جبوا ولكن صبرا على مضض •
فلو انصفني الدهر لما قصر خطاي من السعي الى بساطه • ولو ساعدني
لوفاني اقسام السعادة من بشره وانبساطه • ولكن الزمان معي لكياد
يمنعني من كل مشرب عذب • كاني معه في حرب • ويقطعني عن معز
كل جلال • كاني معه في قتال • وكلما راى مني في خدمته جدا • جعل بيني
وبينه سدا • وكلما شاهد مني على حضرته وفورا • صيرجيني ويحرمنا

سُؤدَداً • وكلما انتقص من جهة نقصاً • دفع في نحو دفعاً • فيأبى معه مزع كأنه ضرع • ولا مني نفار • ومالي عليه اقتدار • اجرى الله الامور على مولاي الوزير وايثاره • وصرف الايام على حسب محبته واختياره • وزاد في جلالة قدره واقتداره • وامده في كل وقت باظهاره واظفاره • وادام في العالم محاسن آثاره • وصان ساحة عزه من حزونة القدر واوعاره • وهناه برؤه من العارض واقباله • وتماثله وابلاله • وجعل ركوبه مقروناً بالطالع الاسعد • والطائر الاحمد • والعيش الارغد • والطريق الارشد • والجلال والسؤدد • والاقبال المخلد • هذا يوم لو استطاعت الجوزاء ان تنخفض من فلكها لتجعل منكبها مركبه لا تخفضت اجلالاً لقدره • ولو طاقت الكواكب ان تزين باجرامها موكبه لتناثرت اعظاماً لذكره • وتمنيت ان اكتحل بغرة السيد شفاء لا اعتل بعده ابداً • واكتحل بغبار موكبه فلا اخاف معه رمداً • واستسعد بما شاهدت من طلعته فلا اخشى بوساً ولا نكداً • واستوفي حظي من ايجابه فاقتل اولاد الزنا حسداً • ولكن ابى المقدار الا لجاجة • فمن لي عليه من عداوة معتدي • وانا ارغب الى الله تعالى في اطالة مدته محروس الغرض من عوارض الزمان • مصون المهجة من طوارق الحدثان • واكنافه بالتمكين والتمهيد والعز والتأييد • محوطاً في عبيده واوليائه • لتسقط سهام النوائب عن مقاتلهم والله عز اسمه يجيب بجوده وطوله

جواب رقعة ابي اسحق الصابي وقد طلب منه رسائل الاسكافي

وصلت رقعة مولاي ورئيسي الاستاذ اطال الله بقاءه وادام علوه • مشتملة على حديث ابي القاسم الاسكافي النيسابوري • وما رسمه لي من تعريفي اياه بلده ونسبه • واسم من استخدمه في ابتداء امره واستكتبه • وحمل ما جمع عندي من جميع رسائله الى حضرته • ليتأملها في اوقات خلوته • ثم تعيدها بعد الفراغ منها • ويردها عند الغنى عنها • وفهمتها وقابلت امره بالسمع والطاعة • فاما بلده على بن احمد الاسكافي فجنابذ • وهي كورة من كور قهستان الى عام ساحل نيسابور • واسطة بلاد خراسان • ونزهتها ووجهها وغرتها • وكان ابو اسكاف ضعيف الحال فقيراً

فادرك بها ولم يتعلم من الادب الا يسيرا • وليس بينه وبين الكافة
العراق الذين هم من اسكاف جنابذ مقاربة ولا مناسبة • ثم اشتغل بعد ادراكه
الى نيسابور فاستخدمه ابو الحسن التوني كاتب ابي علي الصغاني صاحب
جيش نوح بن نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني ملك خراسان • وهو
الذي خرج على صاحبه وجاء الى الري ففتح الري وطبرستان • وانتزعها
من يدي من كان • ثم قصد بخارا لمنازعة صاحبه ومقادعته
كفرا للنعمة وخترا بالذمة • فخيب الله سهام الاستقلال • ولحقه بصرام
الاصطلام • وابتلاه بفضيحة الانهزام • وولت آماله ناكصة على
اعقابها قاصية • واعماله خاسئة على اذنابها خازية • وكان الاسكافي
هذا المذكور يحمل دواة ابي الحسن بين يديه • وكان من الذكاء وحدة
الخاطر والفطنة الثاقبة والجواب الحاضر • بحيث لم يطمع احد في مجاراته
في مضماره ومباراته عند حضاره • وحدثني والدي رحمه الله وانسا
اجل مولاي ورئيسي الاستاذ انه شاهده قبل اتصاله بخدمة احد
مستندا الى جوابات المحال ويعاد المجالس لا تستحيز ولا تنصد
في ديوان الملك • وكان ضئيل الجسم نحيفه • صغير الجثة لطيفه •
ولم تمض الايام قلائل الا بعد موت مستخدمه حتى تصدر وتسهل له
ما تصوره وتيسر • وتوفي بعد ما تقلد الانشا لنوح بن نصر ولم
خمس وثلاثون سنة • ودرته الله كلمن برفع قلما • ويفيح بالفصاحة
والبلاغة فما • وقد حملت الى خزانة كتبه جزءا من مختار كلامه • فان
راى ادام الله تمهيده ان يجري في قبولها الى عادة بره وانعامه
فعل ان شاء الله • ولمه بالعراق الى الشريف يعزيه عن اخيه الشريف
الرضي وكان من سادتهم • كتبت اطال الله بقاء مولاي
الشريف السيد وبناني لا يجري • ولساني لا يملي • وخاطري متبلد
مترتب • وقلبي على جمر الغضا متقلب • اكبارا لما نعي الي من موت
الشريف السيد الاوحد تغمده الله بغفرانه • وتلقاه برضوانه • واحله اعلا
المنازل من جنانه • واعظاما لهذه الحادثة الفظيعة التي هي لها
قواعد الدين بان تنهد وتنهدم • ومواد الاسلام بان تنحط وتنحطم •
ومحافل المجد بان تتفرق وتتضعضع • ومعاقل العز بان تتضعضع وتتقلع •

ومشاهد الجدال بان تنخسف فلا تطلع عليها شمس ولا قمر • ومعاهد الجمال
بان تختلف فلا يبقى بعدها عين ولا اثر • فلم يبق والله العظيم نفس الا
هلكت • ولا اذن الا سكت • ولا قلب الا التهب واشتعل • ولا دمع الا انسكب
وانهل • ولا زند الا وقد قدحت في عضده • وتسلطت الاحزان على
خلده • وتقضت الهموم من اجلده • وبلغ في التوجع والتالم الى اقصى
امده • فليت المصيبة اذا الت جاءت بحيث تستطيع النفوس ان تحمل
اثقالها • وحيث اقدمت هجمت بفؤاد تطيق القلوب ان تلقى
اهوالها • لكنها جرت من الجزع مثل ما جرى به الاقدار • واتت من الفوادح
باصعب ما يبقى معه العزا او الاصطبار • فاشتد ضررها من بين المصائب
وما اشد خبرها في المشارق والمغارب • وما اقصمها للظهور الكرام • وما
انكاها في صدور الانام • وما اذلها للاقدام • وما ابقاها على الايام •
وما رايت اشأم من صباح اصمّ فيه الناعي بما استمع • وجد ورائي القرار
وقطع • وغادر لساني عن شرح الحال مفحما • وعاد ليلي نهاري مظلما •
وحصل طمع حياتي عليها • وتركني من التجلد والتصبر بعده معدما •
فانا لله رضى بما نفذ فيه حكمه • وتسليما لما سبق به علمه • واخذا باداب
التي دعى اليها • ووعد الصابرين بالثواب عليها • ومنه اسال ان يصلي
على روحه • ويخصه ببرد ضريحه • ويتجاوز عما سلف له من الاوزار • و
يجمع في جنات المأوى بينه وبين ابائه السادة الاطهار • واليه ارغب
وابتهل • في اطالة بقاء الشريف السيد حفظ مكانه • وصيانته ساير عزه
من نوائب الدهر وحدثانه • وتثبيت وطاته • وادامة مدته • والزيادة
في تمهيده وعلوه • وابادة حاسده وعدوه • فان بقائه بقاء الكرام
واستمرار النعم • وانكشاف الغم • وسعادة الامم • ودوام النعم • وزوال الظلم
والظلم • ودولة السيف والقلم • واحسان توفيقه للصبر حتى يتمسك
بعد دينه • ويتزل بعقوبته • فانه اذا تامل حقيقة الحال علم ان الذي [ذهب]
لنا منه بقائه اعظم ما سلف • وان الذي حبس علينا منه خيرته وحرى
اجل مما اختلس وخطف • وان في امتداد ظلاله على الكافة ما يحط على
المناكب اثقال المصائب • ويطفي في القلوب نيران الخطوب • و [يبرد]
بين الاضالع غليل الفجائع • لا زال الجي الذمار • وارثا للدهر محروس

[illegible]

الدار

الدار في الليل والنهار من حوادث الاقدار ولولا مقامي بحضرة
لا استطيع الى مفارقتها سبيلا واشتغالي بخدمة لا بد لي من
ملازمتها بكرة واصيلا لسعيت الى جليل حضرته حبوا وعدوا
ولسعيت اليها مشيا كالرفق في الزبية ولو حبوا ولتوليت اصطفاء نادي
الجفيعة بمعرفته مشافهة ولقضيت رسوم الخدمة بتسليمه
مواجهة وان كنت متحققا بان الله تعالى اسمه فقد بجمع وتبعض تستنفد
الجبال وهو ثابت وهذا الى عزم وتصميم تتزعزع الاطواد وهو ساكن
ساكت وهو ادام الله ادام الله سعادته اولى من ان ليرتني بكتبه مشتملة
على اوامره ونواهيه ومتضمنة ذكر ما الهمه الله من الفضل الذي يعظم الاجر
ويفيد ان شاء الله تعالى **الى ابي طاهر البهركي اول دخوله مصر**
ما احسنت هذه الدنيا الى احد الا اساءت اليه بعد احسان
والله لقد احسنت الدنيا ايام كانت السعادة لمت من احوالي كل ما تشعث
وابرمت من اموري جميع ما انتكث وقمعت ظهر من كان لي عدوا وصرمت
حبل من اراد بي سوءا واقبلت علي الدولة ممدودة ظلالها سابغة اذيالها
متقربة الي لتنال عندي قربة مخطبة لدي لترتفع الى رتبة وانا
حينئذ في غدوة الشباب تحليني الياسمين بجلادها وتوليني من
الجلادة ازمتها واعلادها متلفعا بملابس الشبيبة قشيبة مترنحا
في مجالس الاقبال عجيبة بجيلة فقداح اللهو فلا منازع ولا مزاحم ساحبا
ازار المجون فلا مدافع ولا مزاحم متظاهرا بالخلاعة من غير حشمة
ولا فكرة متبابرا على اخلاعي بلا حيا ولا ستره قد انقبضت
يد الاعادي وقصرت ابواعها وانخفضت دوني عيون الحوادي
وانحسمت اطماعها وصفا عيشي من الشوائب فلا كدر ولا رنق
وخلا ذرعي من النوائب فلا ضجر ولا قلق حين المستقر ارض العراق
حيث يشفي القرائح هواؤها وتصح الجوارح ترابها وماؤها ويذكي
الخواطر نسيم اسحارها ويجلي البصائر مهب رياحها ومصب انهارها
وتحسن الاخلاق معاشرة اهلها وتكتسب الاخلاق مباشرة فضلائها و
يعلم المروءة مجاورة قبائلها وظرافها ويتم الشرف بمجاورة اعيانها
واشرافها وحين كنت شابا بين فحول من الكتاب تثنى عليهم الخناصر


EX LIBRIS
العلم
ينبوع الحياة
والكتاب
حياة الآداب
A.S.YAHUDA

وصلواته على سيدنا محمد وعترته • وقد كان الشريف اعزه الله وانفقني
على ما لا خفاء به عليه • وصافحني على ما رأى نفسي نازعة اليه • ووعدني
ثم زودني • واطمعني ثم منعني • ووعد كثيرا • ولم يعط يسيرا •
وسكت الفا • ونطق خلفا • فليت شعري اي شيء دعاه الى كذب
صريح • واي سبب حداه على ارتكاب امر قبيح • ومن الزمه بذلا
لم يكن في طبعه وسجيته • وطالبه بان يسمح بالبخل في نيته •
وكيف رضي بان يكون نسيب مسيلمة في كذبه • ونظير عرقوب في
خلفه • وان يبذل عرضه دون النوال • ويبهر قاصده قبل
السؤال • ولم احب ان ترى الاماني المجاوزة عنده عاطلة •
والامال القوية لديه شاحبة ناحلة • ويستند فيما يقوله الى المطل
والعلل • ويعتمد على القول دون الفعل • والكذب قبيح بالتابع
وهو بالمتبوع اقبح • واللوم فاضح للخادم • وهو بالمخدوم افضح •
والبخل فضيح من المعسر • وهو من الموسر افضح • والكسوف شنيع
في الكواكب • وهو بالشمس والقمر اشنع • والخسة في الخواص ابين منها
في العوام • والذلة بالليام اليق منها بالكرام • وما الشرف الا شرف
النفس • وما السود الا ان تسود ابناء الجنس • ولا الرياسة الا
في اكتساب المكارم • ولا الفضل الا في احتمال المغارم • ولا شيء
اصون للمجد من استعباد الحر • ولا سبب انقى للمروة من لباس
البر • ولا شعار اخلق من شعار الاعذار • ولا ذل اصعب من
الافتقار • ومن طلب المجادلة بالمذلة فقد طلب محالا • ومن
رام الخساسة فقد رام ضلالا • وكم اصل راسخ في الشرف قلعه

الرابعة

لؤم الفرع • وكم نسب عال في الكرم قطعه شوم الطبع • وكم قوم
ضعفاء شرفوا برجل ماجد • وكم عصبة ادنياء ارتفعوا بسعي واحد
وكم من قوم فقراء اغنتهم خصلة جميلة • وكم شرذمة يسيرة كثرتهم
مكرمة قليلة • وكم اب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان
تسمو الرجال باباء وتارة • تسمو الرجال بابناء وتزدان • ولان يكون
المرء عصاميا • احسن من ان يكون عظاميا • والافتخار بالجيف
دلالة العجز • واحياء محاسن السلف ونور العز • وهدم قواعد الاباء

وصدور منهم يقر بالنظر اليهم النواظر • وعند ادبا تورّخ بفضلهم
الكتب • وتنتظم لنا نظم الادب • وبجفرة رؤسا تضرب اليهم اكباد
الابل • وتتجمل بهم اصناف الملل • ومع علما اذا اوذيت في نادها اووني
واذا دعوتهم لهم اجابوني • واذا ناظرتهم اشبعت المعارضة • واذا ذاكرتهم
لم اخف المناقضة • واذا حاضرتهم لم اخف كبوة وعثارا • واذا نادرتهم
لم اعدم استظهارا واقتدارا • فما كان الا كرجع الطرف حتى انتبهت
الدنيا من رقدتها • وابتدأت بعربدتها • وانقلب بطنها ظهرا • وصار
نهارها حرورا • ومارت الايام سيئة بعد احسانها • منكرة بعد عرفانها •
واشرعت الي سنانا من تريد ان تستبيح دمارا • وانزعجت في ارتجاع
ما كان عندي من خيرها معارا • وطالبتني مطالبة حاكم ظالم •
وعاقبتني معاقبة قاس غير راحم • فصار صفاها كدرا • وغرورها
غررا • وشرابها سرابا • وعذبها عذابا • ثم قالت للسعادة ترحلي والقلي
جنابك • وللنعم تحملي فقد تمادت مدة مقامك • وللدولة اقلعي
فلا حاجة لي بك • وللاقبال اخفر الذمم فلا ترتب عليك •
فما تركت ابوابا من المخاوف الا فتحتها • ولا ازنادا من الاعتساف الا
قدحتها • ثم اقبلت على جسمي فاوردته سقما ووجعا • وعلى برد شبابي
فقطعته قطعا قطعا • وعلى راسي فالبسته نزعا وصلعا • وعلى قلبي
فلوته فزعا وجزعا • وذهبت بما شيبني وكان غزيرا نيرا • وقصفت
ناعم غصنها وكان نضيرا • وسلبتني محاسنها وكان قدرها خطيرا
والجعتني بفقدها وكان عمرها قصيرا • ثم لم تقنع بهذه الفناد الذي
نقض مريرتي بعد استحصادها • وهذا النكاد الذي مرض بصيرتي
بعد صحتها وانقيادها • حتى الفتني بعد الشيب الى ارض هواؤها
يشبه اهلها في سرعة التغير والاستحالة • وماؤها من كدورته وخثورته
كالنفط والزبالة • يفسد الطبع ويكدره • ويبلد الحس ويفتره
ويخبث النفس ويضنيها • ويطفي الحرارة ويبليها • وترابها يذهب
الفرح والجنة • ويذلل عز النفوس الابية • فلو دخلها سحبان وائل
لصار باقلا • ولو اتاها قس بن ساعدة لبقي فيها جاهلا • ولو نزلها
اياس بن معوية لتبلد تبلد الحمار • ولو سكنها زاهد عابد لاصبح افسق من

الغار • فابتليت فيها بكل حفحج في بناية الطامع الى ما ليس من شأ
تعجب بنزفه وجدّته • عليل في عقله وتؤدته • ويسقاط من الاباط
يسخرون من الكتاب • ويستهزئون بالآداب • وينظرون الى الاحرار
بعين الاحتقار • ويزرون بالعلما • فعل الجهال السفها • وينكرون
احوال الشيوخ الذين استولت على اكثر الناس فضائلهم • وعلت
في محافل غيرهم رتبهم ومنازلهم • وهذبتهم التكبة والاحلام و
ادبتهم الليالي والايام •

شعر

ولكن اذا فرهت لشدّ الترك وتغلبت • مخالبها باتت عليها الارانب
وكل باز بمنسر هرم • تخرى على راسه العصافير • فاهذه
السنيات التي قاسي في الدنيا بازآ بها والتي من خشانها • وما هذه
النكبات التي حكتني في تجاربها كفا • ما اجتنيت من ثمراتها • لقد
شرنحت وساتني الوفا • ونفعتني تارة وضرتني صنوفا • وسلكت
اكثر ما وهبت • وخطبت اعظم ما اتحفت • واخذت اكثر ما منحت •
وافسدت اكثر ما اصلحت • في خلال هذه الاحوال • اعلل نفسي كل
يوم بالمحال • واقول غمرات ثم تنجلي • وحسرات ثم تنقضي • واوقات
عسرة فرغت لا محالة ان تذهب وتهرب • وكوكب نقدير طلعت
لا بد ان تغيب وتغرب • وارجو من الله ان يكشف عني هذه الغمة
عن كثب • ويردف بضيا من عنده مرتقب • ويوفقني للبلوغ الى اغراض
انا منها ممنوع • وعنها مدفوع • ويكرمني بالانفراد لعبادته • والاجتهاد فيما
ينتج على غيبة ابواب سعادته • والخلاص من تبعات تقلدتها ايام غرة
وشباب • وشبهات تعودتها وتقلدتها غير مفكر فيها ولا آيب • وتخفيف
مظالم العباد عن كاهلي • فقد جعلت محمد او اهل بيته اليه عز اسمه
وسائلي • بعفوه ورحمته • وكرمه ورأفته

وله من اخر رسالة تقدم اولها

اقتضا • وادكارا • وشاربه اغلاطا واغرارا • وعاشره في محلوه اكثار الظلم
وانكارا • فوالله ما اعطاني منها دينارا • ولا اظهر لي في تاخيرها
عني اعتذارا • وهلم جرا الى هذه المدة كل يوم يسحر ويقطر • ويتهز
بكلاوسرو تحز • وانا والله اجل نفسي عن ان انسبه الى مهانة او خيانة
او اعرض بحديث فاد او ولادة • او اكشف ما اخفاني الله عن كشفه

أو أسعى فيما يؤدي الى صرفه وحتفه • وليس يدري أن لمولاي
الوزير الأجل أدام الله أيامه عزمات تفلق الصخر وتحلق
الشعر • وسطوات ترد المقتدي الى قيمته ومقداره • وتحرق
المتبطرم المتقمع بناره • وإنه لا يضيع عبيده لتدوسهم بحيد
بحوافرها • وتلوسهم الغنم بمناسرها • ولمولاي الوزير الأجل
أدام الله أيامه وتمكينه في الأمر الى صاحب الديوان باستيفاء
مالي بيده • أو تفويضي أن أنبه على استخراجه عنه فلا يجوز أن
يستضيمني مثله وأنا بحضرة خادم • أو يستهينني وأنا بطود عزم
عاصم • وإجرائي على كرم عادته في الانصاف • وصيانتي من نضالة
ذوي الاطلاف في الارتيان بجوده وكرمه

وأرقعة الى أبي الحسن التميمي المستخدم بمصر يشكو ابن البنا كاتبه

البك فاننا بعد المعلى • بلينا بالمسيح من القداح •
الا فالموت راحة كل حر • يقاسي الضيم من نذل وقاح •

كنت قرأت أدام الله عز الشيخ في وصية بعض الحكماء إياك أن تستحقر
في الدنيا شيئاً فالقذاة الصغيرة في العين ربما ترمد وتعمي
والنبل الصغيرة تقصد وتصمي • والشيء تحقره وتديمي • والبعوضة
الحقيرة اذا وقعت في الشراب ينتفض بها الشارب • والذبابة
الضعيفة ربما تنتقص بها الملك الغالب • والأفاعي تراها صغارها
وكم أرض أحرقتها شرارة • وبلاد أخربتها فارة • وكم سطر بدوه مطر
والقطرة مع القطرة سيل • والجبال من الحصى • والذود الى الذود
إبل • ورب لفظة واحدة أبت بايدة • وقد يتفرزن البيدق
ويسعد في الزمان أحمق • والشر ابتداؤه صغاره • والقوم من الرجل
ذكر الثابت عني في استخراج مال الحوالة انه اذا أشكا الشيخ أدام الله عزه
أمر خصيم مماطل • أو غريم ملح • جرد العناية في مطالبته بجريدة دق فكل
ما يحله ويعقده • ويشدد في جميع ما يصدره ويورده • وألهم للنمل
الجميل شكراً يقيده بما أنعم الله به عليه من الانتشار والترود • وتستنبتا
مواهبه لديه من النغار والذرود • فشكرته على تفضله شكراً تتداوله
الألسنة • ولا تمحوه الأزمنة • واعتددت بمساعيه الحميدة • ومنا

الينوه

الرشيدة ▪ اعتداد واثق بانه لا يتطرق الطعن في كفايته ودرايته
ولا يتسلق عليه الوهن في صناعته وبراعته ▪ ولا يرتاب بعقله وادبه
ولا يُشك باصله ونسبه ▪ ثم وصف لي نائليا بحديثه ما يجري من ابن
البناء من كثرة تلونه وتلومه ▪ وتجنيه وتجنبه ▪ وتخلبه بالسفه وتخليه
واعتدائه على من يكلمه وتقديره ▪ وانه يخرج عليه من الخطاب فيرميه
بسهام من الارعاد والابراق ▪ ويوعده بقطع الارزاق ▪ ويتكلم بما
هو مشهور فيه من قبيح عادته ▪ ويحدث بما لا سبيل الى ذكره
واعادته ▪ فوالله ما ادري اي خريدة من خرائد المحن اكبر على بقالته
وفي اي كتاب من كتب الخذلان انشأ ارزوداله واستطالته ▪
استنت الفصال حتى القرعا ▪ وقد كنت زمانا ولا اخشى بالذيب
وعشت دهرا ولا يقاد بالبعير ▪ فليت شعري متى صار هذا السويقط
انسانا ▪ ومتى تشجع ان يدير بين يدي كاتب لسانا ▪ ومتى قام من جبلة
البعير الى الصدر الكريم ▪ ومتى انتقش من حنين لخذلون وازومه ▪ الى
معرفة الديوان ورسومه ▪ اترى بسبب ان نظر الزمان اليه نظرة حمقا وانعقد
خلف سكرة ▪ وانتاشه من قلة وخلة ▪ يتشبث بقطع الارزاق والآجال
ام يعد نفسه في كتاب من الرجال ▪ ما كان بين ان اغناه من فاقة واضافة
وبين ما علمه ان يناظر الجباذة ولا فرق الا بمقدار فواق ناقة ▪ والابين ان نفسه
من هذا التقدير والوخم ▪ وبين ان جعله من البشر الا اسرع من لمح البصر ▪ اكل
هذا التضريب والاقتدار ▪ تعلم في هذا المقدار ▪ وجميع هذه الحيل العجيبة
الغريبة ▪ اكتسبها من هذه المدة القريبة ▪ والله لقد هممت ان الجيء بجنابي
الضجر والقلق الى حضرة الوزارة اجلها الله ▪ واطرف مولاي الوزير الاجل ادام الله
تمهيده بهذه الحكاية ▪ ليكفيني مؤونة الشكاية ▪ واتحفه بهذه المضاحك والعجائب
التي تعد شلا في المصائب ▪ الا اني نزهت نفسي من ان يجري لساني بذكر اشكالها
واجللت قدري ان اعاتب مثله استهانة لبالها ▪ فاعرضت عما بلغني صفحا ودُنثا
ضما ▪ واوسعته لصدر رابع الذهنا ▪ وانشدت

انظر الى هذا اللئيم وكبره ▪ حتى كان اباه عبد مناف

لا ذنب لي فيه ولكن الذي ▪ وضع اللئام مواضع الاشراف

ورأيت ان الاعراض عن مخاطبة لجاهل ضربا من السياسة تكل منها ازاح لاهبا

بالجهال وتفضل دونها خواطر السفلة الانذال * وقلت

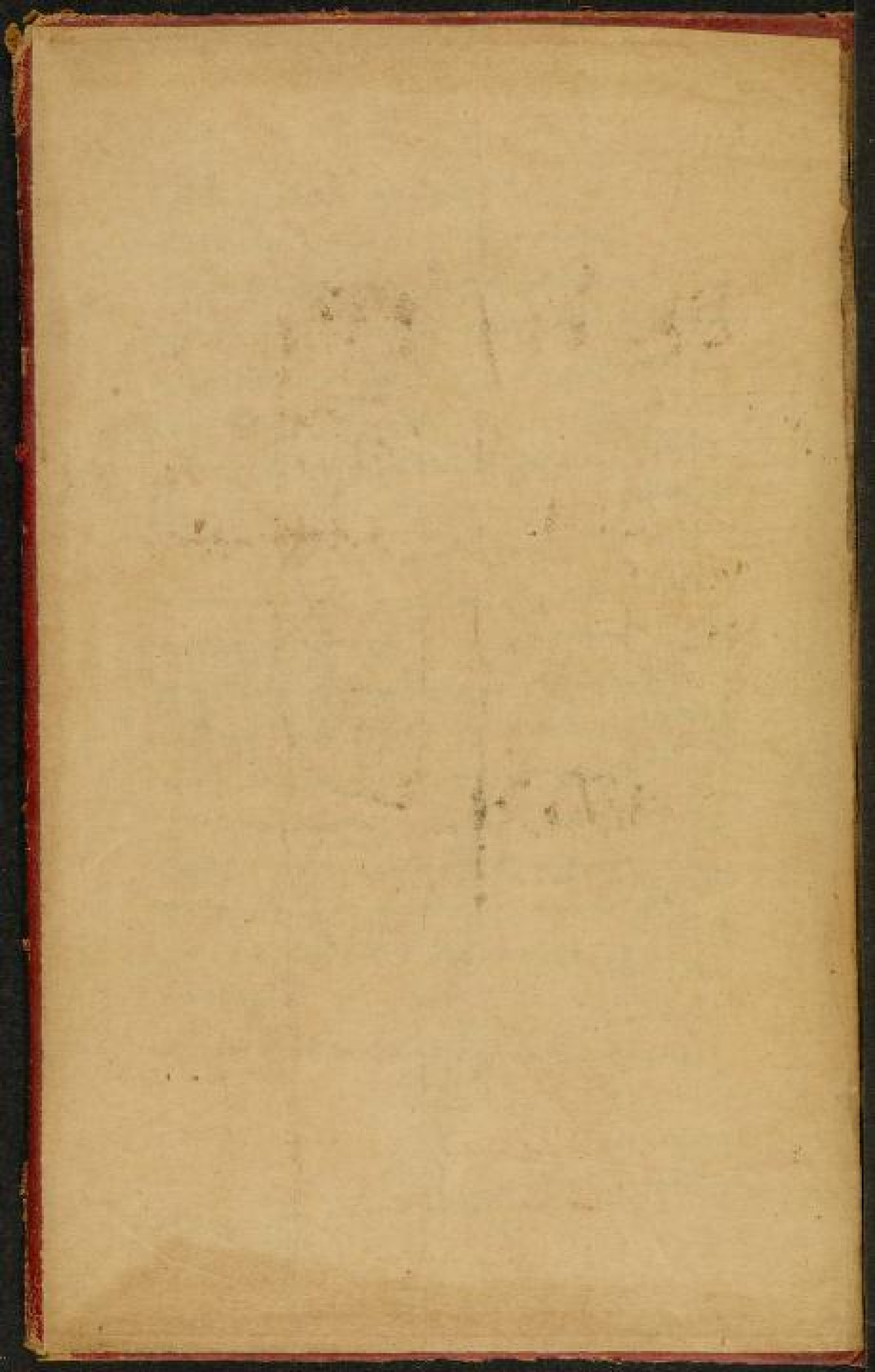
ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت في دار المداراة

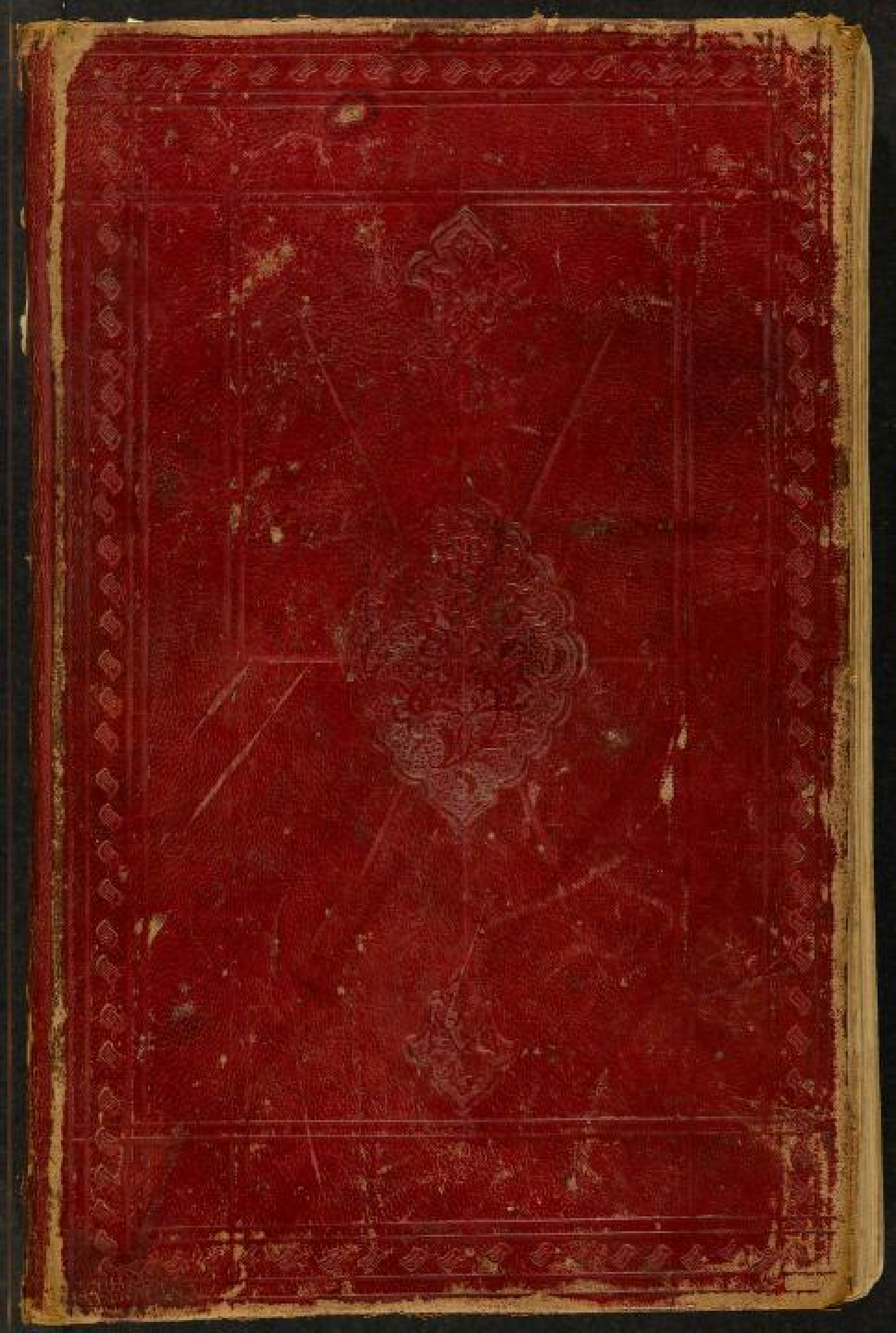
وسيرعان اخزاه الله في لذة عاجلة هدية وسخنه * فان لسان الاحمق مفتاح
حتفه * ووالله اني لاقضي من احوال الدنيا عجبا * واري من اختلاف امور هذا
الزمان غرائب لا اعرف لها اشباها ولا اذنابا * فما احسن علما يرجح هذا الوضيع لخدمة
الشيطان برايته ثلمة * فاوفر ما تجتمع هذه النعم عند هؤلاء الانعام * وتنعم
الدولة زمان هؤلاء الاغنام * واكثر ما تحصل بدر الدراهم عند هؤلاء البهائم
وتتراكم اكياس الدنانير عند هؤلاء الخنازير * وما اسرع ما يجحدون بانعام
المنعم عليهم * ويكفرون احسان المحسن اليهم * وينبتون اصولهم الصحيحة * ونفوسهم
المهينة * ولا يكاد واحد منهم يرى فوق راسه العمامة * حتى يدعي الامامة * ولا يلبس
على قميصه بعد الوهي الدراعة * حتى يستعبد الجماعة * ولا يظفر بعد الحفا بمركوب
حتى يلق الناس بقطوب * ويصير اكذب من عرقوب * فلعن الله الحكام التي
تنفذهم وترتبهم * والايام التي تظلمهم من ربقة الاملاق والتحلتهم * والزمان الذي
يشوقهم الى الشبع والبطنة * والمال الذي يخرجهم من الجوع والمهنة * وما اصدق قول الله
نعم * ان الانسان ليطغى ان راه استغنى * وما احسن قول الحكيم اتقوا الكريم اذا
جاع واللئيم اذا شبع * وكم مركوب اهلك راكبه * وعين انالت صاحبها * ونمل
كانت منيته في جناحه * وبطل قتل بسلاحه * وسمعت ان نخالا وجد ببلد
من ذهب في التراب فلم يزل يكتحل به الى ان قرح جفنه وعميت عينه * ورب لاه
اصاب جاما من فضة فمن كثرة ما شرب به انتفخ جوفه وانشق بطنه * وما على
الله بعزيز ان ينعم على الاحرار كما نرى هؤلاء السقاط بسهام الاوابد *
واخلاء المشاهد من بعضهم بهم الكواسد * بقدر رتبة وسلطانه * وجبروته وشانه
قال محمد هذه الرقاع العبد الفقير اليه تعالى [illegible] هذا اخر ما
عثرت عليه من هذه الرقاع * فاثبتها حذر الذهاب والضياع * حامدا لله
ومصليا ومسلما على نبيه محمد وعلى اله وصحبه * وكان الفراغ من تحريرها
ليلة الجمعة لاول ليلة خلت من شهر رمضان المبارك المعدود من شهور السنة
السابعة والاربعين بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية والحمد لله رب

العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ اللهم صل على محمد
وعلى اله وصحبه اجمعين
صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم





يقبح المساوي زمن العقوق . وتكدير ما اصفوه من المعالي
تضييع الحقوق . واقبح بالمرء ما يقال هو بلؤمه حل من المفاخر ما
كان اباؤه عقدوا . وان ينشد فيه لقد صدقت ولكن بئس
ما ولدوا . وما يغني السيف انتسابه الى الهند اذا كان كهاما .
وما يجدي السحاب او تعاطي الجواد اذا كان جهاما . وما يعني
الفتى كونه من باهلة اذا كان طائي السخاء . وما ينفعه عزاوه
الى هاشم اذا كان تيمي العطاء . والفضل المكتسب خير من الحسب
المحتسب . وقيمة كل امرئ ما يحسنه من الادب . لا ما يرثه من
النسب . والفاضل من يتكل على مجده . لا على جده . ويفتخر
بشرفه . لا بسلفه . ويتحلى بمحامده . لا بوالده . ويعلو بانعامه
لا باعمامه . ويسعد باحواله . لا باخواله . شعر .

فليس يسود المرء الا بنفسه . وان عد اباء كراما ذوي حسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة من المثمرات اعتده الناس في الحطب

ومتى امكن مراده فلا يمكن ان يغير الطبع عن طبع الجبل . وتكليف
السخاء من يستحلي ثمرة البخل . ولا اجادة الضرب بالساعد
الضعيف . ولا حماد الشرف بالعرض غير المترنف . وهب
ان الشريف اسعده الله لم يغذ بلبان السخاء والمروة . ولم
ينشا تحت افنان الكرم والفتوة . اليس ينتسب الى اهل
بيت النبوة . وقد رأى انه لا يصنع الجميل طايعا . اليس ينتمي الى
آتي الزكوة راكعا . فتى جده كان دعواه في جده كدعواه في
جوده . ياكل وضيفه جايع . ويرقد وجاره ضايع . وينفذ
ولا يفي بنذره . ويبرح بندم على بره . ام متى حرم سائلا
او منع نائلا . او خيب آملا . او بات باخلا . ومتى كان
اولاده رضوان الله عليهم ارتكبوا الفواحش والمحارم .
واحتقبوا المخازي والمآثم . وعدلوا عن واضحات المناهج .
وصاروا حججا للنواصب والخوارج . كلا وان امير المؤمنين علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه . من شجرة طيبة لم تورق الا السخاء .
ولم تزهر الا الوفاء . ولم تثمر الا الصفاء . ولم تحمل الا السناء والبناء

باسق عودها . راسخ عمودها . ثابت اصلها . باسط ظلها . واولاده
رضوان الله عليهم لم يقولوا غير الحق . ولم ينطقوا الا بالصدق .
ومن يشابه ابه فما ظلم . ان العروق عليها ينبت الشجر . واني
لا تنقضي عجبا من تناقض افعال الشريف وتباين اسبابه
واحواله . وتخالف نسبه وادبه . وتنافر اصله ومذهبه .
واري ان في انتسابه الى النبي صلى الله عليه وسلم وتعصبه
للمتنبي ما يوجب للطاعن الى الطعن عليه في نسبه
سبيلا . ويقوي له على ما يقول برهانا ودليلا . وكان من
شرط الكرم وهو لا يعلمه ان لا يضن بما يسأل من كل علق
مخزون . ويسمح بما يملكه من كل مدخر ومصون . فضلا
عن هذيان لا يساوي ساعة . ومذ قد يشتري العاقل ابتياعه
ولعله لما اشتراه بثمن غال . واحتاج في تحصيله الى بذل
جاه عال . اشتهى ان يقلده تميمة تومنه مس الشيطان .
وعزيمة تقيه بطش كل سلطان . ويجعله حرزا لا تزلق معه
الابصار . ونشرة تكفيه بوائق العماد وطوارق الليل والنهار
ويعده لمصحفا يتزود منه مدة عمره . ويوصي ان يوضع بعد مماته
على راس قبره . ولولا البخل الذي فيه مركب . واللوم الذي
هو اليه محبب . لما كان يحتفل باشعار لو سئل عن بيت
منها لما عرف صدره من عجزه . ولا عروضه من ضربه . ولا معناه
من لفظه . ولا معتله من صحيحه . ولا توجيهه من تفريجه .
ولا خروجه من وصله . ولا تاسيسه من ردفه . ولا رويه
من توجيهه . ولا اطلاقه من تقييده . ولا اسناده من
اقوائه . ولا تضمينه من ايطائه . ولا اجادته من اكفائه . ولما
كان يشتغل بما لا يعنيه . ولا يشتمل على ما لا يغنيه . ولما كان
ينفق باقي عمره الا على نزدة يحرقها بجحيم . ونردة يجلو بها
عند لبسه . فكل انسان وصناعته . وكل تاجر وبضاعته .
ولما ضاق من جفاء الشريف ايده الله صدري . وتقسمت
لاعراضه عني فكري . واستترت عند مفارقتي اياه استتار

ذكره ٭ وزهد في زهاوني في بره ٭ وقدمت هذه الاحرف اليه ٭
ليتحقق ان الجميل خير من القبيح ٭ وان المقلي اعلا من المنيح ٭ وان
الجفاء مغبته وخيمة ٭ وعاقبته ذميمة ٭ وثمرته مرة ٭ وطريقته وعرة ٭
وانا من بعد كما تبرك ان شاء الله تعالى **وله الى صديق له في التوجع**
كتابي اطال الله سيدي بقاءه ٭ بتاريخ يوم السبت غرة رمضان ٭
لازال متعرفا صنع الله في مستهل كل شهر ومستقبله ٭ متبريا الى
اقصى امله ٭ آمنا من الدهر ووجله ٭ سالما من صروفه وعلله ٭ وادعا
في امره وعمله ٭ وانا سالم لولا شوق اليه يحرمني لذيذ المطعم والمشرب ٭
ونزاع نحوه يصيرني حليف النصب والوصب ٭ وتلهف على مفارقته
يردد في بين زفرة وعبرة ٭ وانه ستغني عنه بحرح ٭ ولله الحمد كفاء
احسانه ٭ وصلواته على المصطفى محمد واهل بيته ٭ ولقد جمعني سيدي
ادام الله عزه جفوة نظام لظلمتها الكواكب ٭ ويمسك منها الزمن القضا
ويتحدث بها الراجل والراكب ٭ ويعجز عن وصفها الحاسب والكاتب ٭
اذ قطع عني كتابه الذي كان يحل مني محل الوصال بعد البعاد ٭
وينزل من عيني مكان الرقاد من ذي السهاد ٭ ويسري في مسرى
الارواح في الاجساد ٭ بعد ما تحقق اني تحقق بولائه اينما كنت قريبا
وبعيدا ٭ واعده لي كيفما تصرفت عادا او عيدا ٭ وانعم به حيثما
اتجهت وكانني ٭ واضرب فيه مضاربي ٭ واتخذه لي اصفا المناهل
والموارد ٭ والصق احشائي ببرد ثراه ٭ وان كان مخلوطا بسم الاساود ٭
ولم يوهلني لرفعه مقام خلعه ٭ ولم يونسني بكتاب اعاد الي سالف
الشباب ٭ هذا وقد بلغه ما يحث بي من مفارقته على حين صحبته قد
زكتني سحبا حريا ٭ واحوال وعرة تجعل المفارق شيبا ٭ والقاني
الزمان بعده الى بلد تشق الانداء على كل صبيحة جيوبها ٭ وتسوق الرياح
الى كل عشية جنوبها ٭ وتذرف بها السحايب دموعها السواكب ٭ و
تقصم الرعد في اقطارها نوادب ٭ تلك لعمري بلد طبرستان فلقد
دخلتها والشتاء ابتدا ببرده ٭ والخريف خرق عنه دقيق برده ٭
وهم تنزيني يدي شامته ٭ ويقيم على المقوين قيامته ٭ ولم اخرج
عنها الا بعد ما ضاق ذرعي عن المقام بين اهلها ٭ ونفر طبعي عن

المزود فی حق نا وشهلها . وان کان اولیك السادة الاشراف ادام الله
ایامهم ازلوفی من عیونهم بین الاطباق . والبسوفی من مکارم اخلاقهم
حللا مصونة عن الاخلاق . وتقارعوا علی حضوری بمجالسهم کل یوم
سرورا واز لفا . واجالوا علی مناومتی ومعاشرتی ایاهم قداحا .
فاني حصلت بهذه الناحیة بعد ما طویت الشقة البعیدة .
وعاینت الاهوال الشدیدة . وحسبت انی امنت صروف الدهر
ونوائبه . وتسنمت سنام الامن وغاربه . وحان احصل من الولاة
فی مرقبه . ومن الجلالة فی مرتبة . وان تجلی عنی کل داجیة
وتنقبض منی کل عادیة . انفتحت علی ابواب من المحن اوقعتنی
فی خطوب داهیة . واباحتنی لانیاب ناهشة . فرة امتحنت
بمحاصرة الاکراد خذلهم الله . وتارة بقتال العساکر اباد هم الله
وکرة باختلاف العوام فی امور المذاهب . واخذهم بالایدی
الغوالب . وحیرة اهل البلد من بین ظهرانیهم فی سنن فاسد
سنوها . وغارة شعوا شنوها . ونار الحرب شبوها .
وفتنة صماء الهبوها . ومع هذه سقوط هیبة السلطان و
حشمته . وتحصنه من الفزع بقلعته . وعموم سائر الفتن التی
ما هدات شقاشقها . ولا فترت صواعقها . ولا خمدت نیرانها .
ولا رقدت ذوبانها . ولا انهدت ارکانها . ولا خضدت
اغصانها . وهلم جرا الی ضروب اخر من الاهوال التی لم اشرح منها
سطرا . ولم اذکر منها عشرا . ولولا ان بعد صنع الله الجمیل . واحسانه
الجزیل . لذت من حضرة قاضی القضاة ابی الحسن عبد الجبار
بن احمد ادام الله تمکینه الی جبل لا مطمع للحوادث فی ذروته . واعتصمت
منها بحبل لا طاقة للزمان بحل عروته . لاحترقت بنارها . وانزعجت
بین انیابها واظفارها . ولکن ابی الله الا ان یجرینی قربا وبعدا علی
العادة من احسانه . ویصونی غورا ونجدا من نقمته وخذلانه
تطولا منه ورحمة . وارادة ان لا یسلبنی فی حال من الاحوال نعمة
ونعمة . فلله الحمد کفاء افضاله وانعامه . وحسبنا یخصنی به دائما من
دفاعه . واذا اجرانی سیدی ادام الله فضله علی المعهود من نجبته

والمحود من طريقته • في ابناسي كل وقت باخباره • ومهمات اوطاره
كان قد عثر طرف مجده • وانبا عن كرم عهده • ان شاء الله تعالى

الى ابي الفرج احمد بن محمد القضي يهنيه بالوزارة عند نوبة الى مصر

كتابي اطال الله بقا مولاي الشيخ الجليل وادام دولته
من الري وقد اقبل الزمان يفتر عن ثغر الباسم • ويفوح عن شذا نشر
اللطايم • ويخبر بسعادة ارجوا الله ان يصل اولها باخراها • ويجعل له
او مل ان يبلغه منها سدرة منتهاها • فله الحمد الواجب • والشكر الدايم
على ما يجدده كل وقت من منحة • ويظهره من مصلحة وصحة • ويواليه
حالا بعد حال من احسان عميم • ونعمة من جمال عميم • وصلواته على محمد
وعلى اهله بيته الطاهرين • وكل نعمة تتوالى عند مولاي الشيخ الجليل
ادام الله ايام جلالها • ويفيض عليه شآبيب سجالها • ويترك بفنايه
ركايبها • وتشرق على اوليائه كواكبها • وتسكن مغنوه وذراه • وتحلل
بعلاه فلا تتعداه • وان كانت من النعم التي اذا انفتحت جديد شكرا وحمد
بكرا لم تفترعها ايدي الزمان • مصونة لم تدنسها عوارض الامتهان • مقرونة
بمراتب تبيت طوال الاماني عن ذراها قصيرة • وتنقلب الاوهام دون
بلوغ مداها حسيرة • مشفوعة بمزيد فوق الثريا محط رحله • معقودة بما
لا تقدر الحوادث على نقضه وحله • فانها في جنب ما يستحقه مولاي ادام الله
دولته محتقرة • وبالاضافة الى ما يستوجبه يسيرة مستصغرة • لان
الذي اشتهر شرقا وغربا من لطيف رايه • وحميد سعيه • وجميل عهده
وعقده • ويمن نقيبته وجده • ووافر فضله وعلمه • وظاهر انصافه
وعدله • وتصرفه في مهمات الدولة بدراية لم يقرع بابها الشك • و
كفاية لم يهتك العجز حجابها • ومعرفة قد استخلى جنابها • وشهامة لم يحجبه
عتباتها • وقدمه في المشكلات بزند وار غير خوار • واشتماله على
المكرمات بعرض من كل عار عار • وتزينه حيث ما تصدر مجالسه
ومجالسه • ومراعاته بالنظر الصافي كلما كان سايسه وحارسه • وجمعه
الى رياسة العرب سياسة العجم • ومع ضرامة السيف جلالة القلم • تقتضي
ان لا تستكثر وان توالت لديه غادية ورايحة • ولا تستعظم المنح وان تقاطرت
عليه سانحة وبارحة • ولا يهنا هو ادام الله جلالته بالاعمال • وان كانت

جليلة المواقع • والولايات وان صارت عظيمة المطالع والمواضع •
بل تُهنّى الولايات به اذا اصبح راعيها وواليها • وتحمد الايام فيه اذ قد
اعطت القوس باريها • وتغبط الممالك اذ شرفت بمكانٍ من غذا في
ميدان الغناء والسناء سابقا ومُبرّزا • وامسى في ديوان الوزراء والبلغاء
بالنجابة والاصابة مميزا • وانتظمت باقبال مَنْ ان من العود ورق
ذابله • وان لاحظ النجم طلع آفله • والقيت مقاليدها الى مَنْ يفيد
اليه خطب بمارسه • ولم يبق لرق الزمان كفو يُنافسه • ولم ينغلق باب
الا فتحه بلطافة النظر قبل اجالة الفكر • ولم يلتبس مَشعَبُ الا اوضحه
بسعادة الاثر قبل مساعدة القدر • فانا اعدل عن طرق التهاني
السابقة • الى محاسن الدعوات الصادقة • وارغب الى الله جل اسمه
في ان يقرن ناخر امره بوفور العز والانس • ويؤمنه في واسطته طوارق
النحس • ويسعده بخاتمته سلامة النفس • ولا يخليه في خلال هذه
الاحوال من اقبال يزينه في عين مولاه • ويقربه بما يرضاه ويعينه
على ما يتولاه • ويبلغه غاية ما يتمناه • ويعضده بنصره على عداه و
اقتدار • ويؤيده بتمكين فيما يجوزه من ايراد واصدار • ويسعده بدور
ذات اشراق واسفار • ويسبغ عليه ملابس الجلال • ويصون نعمته من
الزوال • ويحرسه من عين الكمال • ويمده من التوفيق بما يصلح به كل امر فاسد
ويؤلف كل قلب شارد • ويقهر كل عدو ومعاند • ويرقيه الى درجة
تخضع فيها ملوك الاقاليم لآثار قلمه • ويتكفلون بعز الدولة الميمونة بتراب
قدمه • بحوله وطوله • ولما اتصلت البشارة بما جدده الله لمولاي الشيخ الجليل
من النعم • وأضافه اليه من السعادة الكبرى • وتحققت ان الزمان ارضاه
فاسمحت له قرونته • وذلل في يده صعوبته وحزونته • وملكه مقوده حتى
تمكن في نواصيه • واذالته اغصانه فلم تتلص من مجانيه • ووفى بما ضمنه له
وَنذرَهُ • وخرج من عُهدة ما خباه له وادخره • وتحققت اخبار سلامته
وانتظام امور حضرته • واستقرارها على حسب محبته رفضت اشغالي
ونفضت اذيالي • وصممت عزمي • وتوركت حزمي • وهجرت كراي ووصلت
سيري بسراي • وصاحبت من العيس رفاقا يجرحون في السوق سباقا •
وانتجبت بجانب احسبها براقا وبراقا • ولازمت اكوار المسومة العراب •

واقبلتُ اطوي المنازل طي السجل للكتاب . ومالي حاجة الا نشر فضايله
التي تارجُ من نشرها التهايم والنجود . ويستريح الى روايحها المكروب والمجهود
وتضيئ من حسنها وجوه الليالي السود . وعن قريب بعون الله ومشيته
ان لم تعقني في طريق حرفة الادب . وارجو مني ما اوصله حرص الطلب
احصل بحضرة التي هي قرارة ينصب اليها فضلا الشرق والغرب . ولبا
العجم والعرب . واعود الى خدمة من لا يخشى لمجادلة خصمها . ولا يركن
الرياسة حفظها . ولا يخذلُ الفاضلَ الكافي في كنفه الهزال والاختلال
ولا يزنُ الاديبَ البارعَ الا في كفة العدل والاعتدال . والى ان يمن الله
علي فيريحني من مقاسات هذه السفرة وصعوبتها . ويسعدني بشاهدة
تلك الحضرة ومقاربتها . فاني متطلعٌ لما يترفق به من كتابه الذي احترز به
من خُطوب الدهر . والبسُ بمكانه ملابس العز . واتقلده حرزا في طول
الطريق . واستمد به من عند الله محاسن التوفيق . ان شاء الله وبه الثقة

جواب كتاب ابي القاسم الكرخي من دمشق كان بطبرية

كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ ورئيسي وادام تمكينه من دمشق وانا مستظل
بظل الدولة الزاهرة . ومتقلب من بركاتها في النعم الوافية الوافرة . ولله الحمد
والمنة على ما انعم لي من عز تحت الدولة الغراء . برغم معاطس الاعداء . والتنعم
من نعم صافية عن شوايب الاقذاء . والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى
عترته الطاهرين . ووصل كتاب مولاي الشيخ ادام الله سعادته جوابا عن كتابي
النافذ كان اليه . فاهدى الى النفس فرحة بوصوله بهجة . واسكنها
حدايق ذات بهجة . ونقع للصدر غليلا . وفوادا بالغرايب عليلا . وتاملته
فشاهدت الربيع مسطورا . والنور على القرطاس منثورا . وبدايع الوشي
منشورة . وغرايب الصور منقوشة . والروض قد اسفر عن الازهار
المدبجة . والسحر وقد شيب بالحروف المعجمة . وتبينت آثار اناملها فحسبتها
طراز الوصايف على السوالف . او سود نجاده في وجنات المردان .
وطلايع الشعر وقد همّت ان تدب في العوارض المقبلة . وتسيل على
الخدود الاسيلة . او اواخر الليل وقد قابلت الصباح . او بوادر العذار
وقد قبلت الخدود الصباح . ضاحكة عن اشكال متناسبة . وحروف
متقاربة . واجناس متعادلة . واقسام متماثلة . وفصول مقدرة .

وسطور محبرة ⁂ ولم تقصور لناظري حتى سلبت خاطري ⁂ ولم ترها
عيني ⁂ حتى استخفت ذهني وتمكنت مني ⁂ ولم تبرز من معرضها حتى اصبحت
عن الاحزان معرضة ⁂ ولم تفتر عن مبسمها حتى صارت لي الاماني معرضة
ثم تصفحت معاينة فاذا بالاداب كلها منظومة في عقد ⁂ بعيدة على قرب قريبة
على بعد ⁂ تخام العقول من سلاستها وعذوبتها ⁂ وتذل للافهام بتبعد
صعوبتها ⁂ وتطرب متأملها عجابا واعجابا ⁂ ويستفيد سامعها اعرابا
منها واغرابا ⁂ وتتحاسد على طرفيها الاسماع والابصار ⁂ وتزينها مع جزالتها
السهولة والاختصار ⁂ لم تصدر الا عن فطنة وذكاء ⁂ ولم تدل الا على رقة
وصفاء ⁂ ولم تعرب الا عن قدرة وغزارة ⁂ ولم تضعف بتصنع وقبح
استعارة ⁂ ولم تبد الا عن اعجاز في الصناعة من غير عجز ⁂ وابداع في البراعة
من دون ضعف ⁂ وقد تبعدت عن التكلف ⁂ وجلت عن التعسف تاخذ
سهل ⁂ وتتناول باعذب ⁂ والفاظها معسولة ⁂ ومقاطعها مقبولة فلو سبكت
لخلصت متولا ⁂ ولو صورت لصارت غزلا وحجولا ⁂ ولو حليت بها شنوفها
لعشقها العشاق ⁂ ولو وصفت بها المولى لتنقل الايمان على الحجيج ⁂ ولو كتبت
في الارض لما اجدب منها بلد ⁂ ولو قسمت في الناس لما لؤم منهم احد ⁂ ولو
امتزجت بالماء لعذبت منه الاذعاق ⁂ ولو وسم بها البدر لما بدر اليه المحاق ⁂
ثم وقفت على اخبار سلامته ⁂ واستقامة امور حضرته ⁂ وسبوغ منائح الله
عنده ونعمته ⁂ على ما اجلت قدر الموهبة فيه ⁂ وسررت به سرور مخالصيه
في الود ومصافيه ⁂ وحمدت الله تعالى واخلصت رغبتي اليه في اطالة مدته
وادامة دولته ⁂ وحراسة مهجته ⁂ وتبليغه في المطالب اقصى امنيته ⁂
بمنه ورحمته ⁂ فاما ما اظهره مولاي ادام الله حراسته من الوحشة ⁂ وابداه
من النبوة ⁂ لما قد مته من المعاتبة ⁂ وجاوزت حد الانصاف في المخاطبة ⁂
الى المعاتبة عند انقطاع كتبه عني ⁂ وتاخرها مني ⁂ ما نسبني اليه من الغلو
في العتاب حتى حسبه عتبا ⁂ والزاي اياه ما لم يقتض فيه خطا ⁂ والذنبا
والبلوغ الى ضروب من التجني لم اقصد فيها طرق الاقتصاد ⁂ ولم اقتصر
على غير المبالغة والاجتهاد ⁂ ولم اسلك منها في البيان فضل ⁂ ولم اقصر
منها وفي الكناية نبل ⁂ والانتهاء الى جملة لم يقتض شرط المروة ان انسبها
اليه ⁂ ولم يجز حكم الفتوة ان اشهد بها عليه ⁂ وما تفضل به واجراه مجا

عند سمة التقصير . وكشفه من ظلام اسفر عن الصباح المنير . ونقاه
من الشبه التي كادت تزري الحق باطلاق . واوضحه من براهين اعادت
حايل اباي عاملا . فقد عرفته وعلمت ان الحق معه في كل ما يظهره ويصنعه
والصدق قد يعضده في جميع ما يورده ويصدره . وان رغبته في عمارة
طرق الكتابة بيننا صادقة . وهمته في تشييد مبانيها عالية باسقة .
ولكن مولاي ادام الله تاييده اذا احكم واوضح له . ونظر بعين انصافه
وعدله . تحقق ان من يكتبه تاخر كتبه عن قلقا واكتيابا . وتفضيه
الى حالة ترى فيها الخطا صوابا . ويزعج لحتى يضل عن طريق صادحه .
ويظل يطلب الصبح بمصباحه . ويحكي الحزن من قلبه . ويا خذ الاسف
بجامع لبه . وتلوح اثار الاختلال من سطور كتابته . ويحذف التقية
في محاورته وخطابه . وحتى يستعمل فيما يحتاج ان يتلطف في اللفظة .
ولا يحسن ان يعاتب في لفظة كتاب حظه . تحقيق ان لا يهمل اخاوه .
ولا يتكدر صفاوه . ولا يطوي وده . ولا ينسى عهده . ولا ينكث حبله
ولا ينكر فضله . بل يهتز لاستبقاء مودته وينشط . ويفرط في الاشتمال
عليه ولا يفرط . لان من يكون ضعيف اسباب المحبة والاخاء . قليل
التعلق باسباب الوفا والصفا . سريع التنقل من رباع الود . بليد
الخاطر في مراعاة العهد . كثير التلون خفيف المثقال . بسيط الهجر
بحث الوصال . لا يقلقه تغير بان الاخوان . ولا يزعجه تلون احوال
الزمان . ولا يفكر في العقايد عامرة كانت او غامرة . ولا يبالي بالمعاهد
ونيفه دامت ام فارقت . ولا يستصلح ان فسد من اسباب المودة
جانب . ولا يستعطف ان اعرض عنه صاحب . وما هذه طريقة
من غذي بلبان المجد . ورغب في اكتساب الحمد . وتثقف بثقاف
الادب . وتحلى بكرم النسب . ومولاي وربيبي ادام الله تمكينه
اولى من يقابل ما اوردته عليه مواجبه . ويجري على حكم ما هو مخصوص
به من فضائله ومناقبه . ويعفو عن زللي المحاباة . ويبقى على ما
اسلفه عندي مصافاة لا مداجاة . ويعلم اني معترف بان منته
لي الزم من الاطواق للحمام . ونعم عندي ابين من الوشوم في المعاصم .
ويشرفني بكتبه التي ارغم بها الحسود . واتجمل من اوامره فيها السعود .



الى يحيى بن سلامة الموصلي من دمشق انشا ابي محمد بن حمد

كتابي ادام الله بقاء مولاي وسيدي وادام تمهيده وعلوه وتمكينه من دمشق
سلخ ذي الحجة عن سلامة اجرت بها ذيلي فرط نشاط ومرح • وسعادة انا
بها من الدهر مقترح • ونعمة انقلب من محاسنها في سرور وفرح • وهذه
كلها تحت لواء الدولة الغرا الزاهرة • وببركة ايامها المشرقة الناضرة •
والحمد لله على جميل انعامه وافضاله • والصلوة على سيدنا محمد وعلى الطاهرين
من آله • وانا ادام الله تاييد مولاي وسيدي اذا عنت لي الفقر
جعلتها السيوف مضارب • واذا لاحت لي الثغر ارسلت سهامي لها
صوائب • واذا امكنتني انتزعتها من الاسد • واذا اتسع المجال لم اقف
فيه دون الامد • واغوص على اللجج التي يغرق في ساحلها كل عائم • وارتقي
في القنن التي يسقط دون سمتها كل حائم • واغيب وعقلي ثابت حاضر •
وانام وعزمي شاهد ساهر • وهذه طرائق كنت رايت نفس مولاي
وسيدي ادام الله سعادته بالخصوصية فاختلستها منه • وشاهدتها
مجموعة ففرقتها عنه • وما هذه باول غارة شنت على كريم • وبضاعة
سلبت من حريم • ولست باول من سرق الجمال • اذا سرق غيري المال •
ونهبت الفضل اذ نهب سواي الحلل • وما على النهر عيب اذا استمد من البحر
الزاخر • ولا على الساري عار اذا استضا بالبدر الزاهر • وهذه جناياتي
انا بها معترف • وعليها مصر • واليها معاود • ولا منها لامر صاد •

• فمن شاء فليعذر ومن شاء فليلم • فليس على من يسرق الفضل معتب •

وقد كان مولاي وسيدي ادام الله تاييده ايام مقامي بالحضرة الطاهرة
ادام الله جلالها الزمني ان اخدم الموقف الشريف برسالة غريبة تستبدع
معانيها • وتستبين اثار البلاغة فيها • لتكون وسيلة الوصول الى جميع
الاغراض • فان اخطات فالى الايماض • بعد ما يحقق عنده حرص تاييد
المولى ادام الله جلالته على ان يستخلصني بخدمته • ويصطفيني بعالي
همته • ويرتبطني لديه بلطائف من تدبيره دقيقة • وعزائم في الاصابة
عريقة • ويوصلني الى كل ما اقترحته عليه • ويمكنني بكل ما اجد السبيل
اليه • وكان مولاي ادام الله علوه استثناني عن ذلك وانقباضي عن
التظاهر بالصناعة • وزهادتي في مكاشفة الجماعة • وتبري من الادب

لا رأيتها وقد كسدت سوقها . ولبست خروقها . وقرأ فيها المفصل والمئين
وزل السابق والمبرز . وكراهيته صدّيته معا في تلك الحضرة الشريفة
حسدا . واستثقاله في الواجب لوما ونكدا . وتصريحه بالمعارضة الباردة .
وانطواؤه على الطوية الفاسدة . وتعلقه بحبال من الباطل ليقيم بها سوقا . ولم
يدر ان الباطل كان زهوقا . وتلطف مولاي ادام الله الطافه في اراحتي من
نجي نحلق ازل مساغا . ومن نار فخلي لا اجد في اطفائها بلاغا . وانقال كما على
بصنايع ان خفيت دل عليها ظهور حقايقها . وعوارف ان استترت انبا عنها
ذرور شارقها . الى ان سهل الله جل ذكره بفضله حصول هذه الناجيه وهجوم
الاقبال بي على صدر طابت مغارسه . وبدر عزبت مناحسه . وحر تنتعش به
الاحرار باخلاق غير اخلاق . ويغني الفقر بايادٍ له على الزمان بواق . وذلك
مولانا الشيخ ابو الفرج ادام الله تاييده . فاني منذ شاهدته صدرت باسمه
جوايز الكرام . واستوفيت منه ما كان لي على الايام . وصدقت اخبار البرامكة .
وتحققت حصة الملوكية . وعرفت ان الزمان غير بخيل اذ سمح بمثله . والدنيا غير
دنية ما دامت فيها آثار فضله . وهذه شهادة تعدلني فيها الانام . وتسجل
بصدقها الحكام . لا ازال الله عنه نعم فقد كنت فيها مشاركه ومساهمه . ولا سلبه
لجداول التي علت عليه قلائد يده وتمائمه . ولا ابتلاه بمعاشرة لئيم يسير محاسن
ايامه . ويكون غرائب انعامه . وانا في كل ساعة بل في كل نفس منذ فارقت
مولاي ادام الله حرسته اتصرف في بدائع شرفه مختارا . واقوم لعزه مسارا . و
اشتغل بذكره . واتشرف باظهار ما اولانيه من بره . واعلل نفسي بالاجتماع
معه لتستوفي من السعادة اقسامها . وتخلع من المجادل مرامها . وادعو الله
يقربه ويعجله . وييسره على احوال سارة ويسهله . ولما جا الشيخ بذكر
الفتح الجليل الذي اسفر صباحه . وظهر على وجه الزمان غرره واوضاحه .
وذلل لمولانا به مصاعبه . وحصل في حلقة الاسار مخالفه ومحاربه .
ورد الكتاب بشرح ما جرى في امره . وانتهت اليه عاقبة كفره وغدره . تامل
الشيخ ادام الله دولته الفاظه ومعانيه . وتصفح قواعده ومبانيه . وانتقده
انتقاد من لا يغضي على زيف . ولا يميل الى جنف وحيف . ولا تاخذه
في الله لومة لائم . ولا تخفى عليه صنعة ناثر او ناظم . فعثر بمواضع من اللفظ
لا يخفى مثلها على متكاتب وان كان غبيا . ولا يلتبس بعضها على ناسخ وان كان عاميا

صبياً . سوى هذه الدقايق التي اضرب عنها صفحاً وعن تعليلها . واخفض
عن عيوبها كثيرها وقليلها . ووجده قاصراً دون المراد الذي اراده . والغرض
الذي ارتاده . وان كان لم يبق في القوس منزع . ولا للاكثار فيها الا بقدر موضع
هذا وقد وافقه على صدق ما كشفه . وبرهان ما وصفه مشهد القاضي ابي
محمد عبد الله بن محمد بن ابي الدنس ايده الله من الكتاب كل من يجيل في
الكتابة اذن قدح . واسترد جملة كل من لم يفز قط كتاب قدح . فلما
كنت في بابه مناظرة الجماعة . وناضلت عن منشيه حسبما اوجبه حكم المحال
بيني وبينه في الصناعة . الزموني ان انشي كتاباً اشرح فيه صورة الحال
وتنزلي الى ما ضاق على معمر رحب المجال . لا سيما وانا قد قطعت نفسي
عن التصرف في الكتابة منذ دهر . واحجمتها عن ان تبعث بنظم او نثر
وتعبد عهدها برياضة صعبها . وتنسيت استعمال حلوها وعذبها . وهذه
صناعة تقتضي الادمان عليها . وصرف الهمة اليها . ولزوم الاشتغال . و
كثرة الاستعمال . لينقاد للكاتب صعب الكلام وابيه . ويستانس عنده
نافره ووحشيه . وتتالف شوارده . وتنتظم قلايده . وتتبادر المعاني
فتنخرج بدايع دررها . وتتزاحم الالفاظ فتنتقي غرايب غررها . وانا الان
بحيث لا اكتب رقعة الا في شكاية دهر . ولا انظم بيتاً الا في مدح عند حر
ولا ادفع قلماً الا ربنا في تعز وترنقش . ولا انشي حرفاً الا وطبعي منفر وبتوحش
وجفوة الاخوان قد اصدت قريحتي بعد صقالها . واستحال الدهر من الوجد
احالت فطنتي عن حالي اعتدالها . ومع هذه الاسباب الصعبة فقد اكرهت
نفسي على الانتقال عن طبعها . وكلفتها ما ليس في وسعها . واملت نتيجة
ابتكارها . وقليلة قولها . ومنعتني العجلة عن تهذيبها وتثقيفها . و
القاء سقيمها وضعيفها . وسلمتها الى مولاي الشيخ ادام الله نعمته . حتى
اصدرها الى الحضرة الجليلة درج كتابه . ووصفها ببعض ما يوصف به بليغ
رسايله واداب . وجملة الامر وتفصيله فعلى مولاي وسيدي ادام الله له
تمكينه الاعتماد بتاملها وتصحيح مواضعها . وتقليبها تقليب المبتاع سلعة
بايعها . ودفع ما يشينها من عوار . ويشوبها من لفظ مستعار . وتسليمها
الى مولاي قايد القواد ادام الله قدرته لينعم على عبده بعرضها على الموقف
الشريف ادام الله شرفه . ويشيعها من عناية المصادقة بالجنبتي برضا

عاجله • واحظى باملة عاجلة • ويحقق ظني فيما وعدني به من اصطناع تبيد
في الناس امثاله واشكاله • ويكسبني من بينهم عزا واجلالا • وتشرفني بكتبه
التي بها اصول على حوادث الدهر فاقلها • وبمكانها ابسط عقد الآمال
فاحلها ان شاء الله تعالى **لبعض الاولاد ساء في هجاء غلام**
اليه بمصر صحبته يا سيدي ادام الله عزك المحنة في هذه البلدة
ملازمة الغيم • والهم قادني الى لجة الهموم • والصبر على مثل هذه
الحالة التي انا عليها صعب • وخطاب من لا يفهم خطب • وقد حضر في اليوم
صديق طالت بيني وبينه ايام الممالحة والممازحة • واوقات المطايبة
والمداعبة • واكرهني على مصاحبته • والزمني المسير معه الى دعوته •
وله في الجزيرة بيت لا عيون نخل • وحبوب قتل • وارجل متيدة •
واعناق مشددة • اعمى بصير • مستخرج شيء مدور طويل • عنيد
ذليل • مريح كيسه • شديد حبسه • يهجم الدار فيهرب من يفرضه •
ويرجع باكيا الاتن جرمه • يشب فلا يرزى • ويسار فلا يعيى • جلده
كتان • وجسمه جنان • وسفله ميدان • واعلاه ميزان • وتمامه
عجبه • وكلامه صخب • وحواشيه دقيقة • ونواحيه وثيقة • يرى
ما في باطنه من ظاهره • ويبدرى بمنظره جميع ما في قعاره • فهو رداء او
وردى • ومنية ومنى • وشريك سعى • وخاين امين • فان اهتززت
للتنزه • ونشطت للتفرج لقيت منه خيرا كثيرا • وان تكاسلت لم
تنل من ثمرته الا يسيرا • عرفتك لتقف عليه والسلام **الحاجب**
بعض الرؤساء في ذم الزمن كتابي اطال الله بقاء سيدي
عن مدينة السلام وخاطري بها منقسم • وقلبي من خطوب الدهر منظلم
وجدي اذا هم باشناه ادركه وسن • وامري اذا شارف الاستقامة
تعاور ترجحن • ولله الحمد على كل ما يسوء ويشين • وينفع ويضر • والصلوة
على سيدنا محمد وعترته الطاهرين • والانسان ادام الله عزك اذا ترك
الحزم في الامور ثم نكب فهو غير معذور • واذا عرف اختلاف اهل هذا
الزمن وغدرهم • ولؤمهم ومكرهم • ثم وثق بهم فقد عرض نفسه للتلف
العاجل • وباع الحق بالباطل • واشترى بناء على الماء • وتعلق بالهباء
بل بالهواء • وانا الا عجبي من المقدر • وقد تركت الحذر • ولا اشكو

الدقيقة شدة الصوت

الفضا. وقد تصديت للبلاء. ومن حماقة المرء أن يقدم على شرب
السم وهو يعرف غائلته. ويرتع في جوار الأسد وهو يعلم عاديته.
ويحاول مس الكواكب وهو مقعد. ويطلب أرض الغور وهو منجد.
ويطلب المحال فإذا لم يجده وجد عليه. وتوهم التقصير ثم يتغاظ إذا لم
يصل إليه. ولعمري لقد رأيت في ابتياع ذلك العبد المخذول رأيا لم
يقترن به سداد. وأعملت فكر المرتقب رشاد. وقد رمت معه تقديرا
حرمت معه سعادة التوفيق. وظننت به ظنا ظللت به دونه
عن سواء الطريق. لأني رأيته في مجلس وهو في ثوبي أدبار وإعسار.
بين نابي خذلان وحرمان. وصاحبه يهينه ويذله. ويستخدمه في كل
دنية ويستغله. فرثيت له ورحمته. ورققت لحاله فاستوهبته. إذ رأيت
من نفسه حسن طاعة وشفقة. وأظرف التهالك في الخدمة ما رققت
به أثر نفقة. وقلت في نفسي أكتسب في ابتياع هذا الغلام أجرا وثوابا.
وأجتلب في اصطناعه ذخرا واحتسابا. ولم أدر أن الزمان يريني
السراب منه شرابا. ويفتح علي من المحن بسببه أبوابا. والدواء ربما
يدوي شاربه. والرجاء ربما يعيي صاحبه. والقصد يخطي البصر ويجني يفني [uncertain]

فلا تعذلن الدهر في غدره ... بأحرار تغلبه طبع

ترى في ذراه غنى الجندي ... وعز الذليل وأمن الفزع

ثم لما عرفنا اعتمادي عليه. واستنادي في أكثر أسبابي إليه. ترصد لغيبتي
عن الدار. واستعد للاستتار أو الفرار. وصار عينا على يميني و
بين الإقبال ويتبعني. ينظر حنوا أو عطفا. ويضمر في هواه كلا وحتفا.
ويبدي دوام أمانته وصيانته. وينطوي على غل وخيانة. فلما تمكن من
أمره. واتفق في أبواب سحره. ركب حصانا لي كان قيد الأوابد.
وكنت أعده عدة ليوم الشدائد. لو جارى الريح لتركها معترفة بعثاره.
ولو حلت به الجبال لما أحس بنيان أو كلاكل. يعجب فارسه عند ركضه.
ويهد الأرض بأرضيه. وجمع جميع ما جمعته على الأيام الماضية. والأموال المكنوزة
زعيمه دورق وثياب وظرف. وغاص بها غوصة لم أسمع فيها خبره إلا
بعد شهر من البينونة الثاني طرحها في ثعالب الحيرة وأتيابها. فلاذ بأهل
العراق وكتابه مختل الحال ذاهب المال. ورجع هو لا سلمه الله إلى الجبال.

يدوي أي يمرض

بأرضيه أي بأسفل قوائمه

البينونة [illegible]

شماله

يتقابل ويثب على شفق الاوتار • وتزكى في بلد دالعزة انقلب على احرس اليدار
وقد كانت مولاي الاستاذ الرئيس ادام الله تمكينه في هذا الباب بشرح
الحال • وعرفته اماكن ذلك الآبق المحتال • وتشفعت بكرمه الجوهري
على ما عوّد نيه سالفا وآنفا من ادكان نعم • ويامر بطلبه والقبض
عليه • ولو تعلق من دون سا ثلاث الديار بادنى عصم • وحرمة وذمم • وصعد الى السماء بسلم • وتحت يا سيدي ادام الله عزك بعد
ايصال كتابي اليك في اقتفاء اثر الغلام حيث ما سمعت له خبرا ووجدت
له اثرا • وتبالغ في الاستيثاق منه والتنكيل به • واسترجاع مالي من
عنده • والاحتياط في هذا الامر لئلا يحس بالتربص به ويتجه
او يقف على القصة فيغيب • ويستتر • وتطالعني بما يكون منك في
هذا الامر فاني اراعيه • واعد الانفاس عليه ان شاء الله وبه الثقة •

من الجزيرة الى وزير قرواش وهو بالموصل يذكرها

كتابي اطال الله بقاء مولاي وسيدي من الجزيرة سبعة يوم الخميس والدهر
يريني كل يوم عجبا • ويستقبلني من صنوف صروفه كربا وتوبا • كلما
اطلق لي عنانا • زاد جيرانا • وكلما اظهر من نفسي لاستعداد ما وايتا
اضمر في عتو او عنادا • وانا معد له على جميع احواله جنة من الصبر لا تنفذ
فيها صوائب سهامه ونباله • وحامدا لله على ما افاضه علي مما لا يعد حال
من بدايع انعامه وافضاله • ومصليا على سيدنا محمد وعلى الاخيار من آله
ويعز علي ان ازيد في اشتغال مولاي الاستاذ ادام الله تمكينه وان كنت
عالما بانه يغتنم السعي فيما يؤدي الى المصالح • ويفتح ابواب المناجح • لاسيما
اذ انا عرف انه بقليل سعيه يكسب كثير الشكر والحمد • ويبادي في عنايته
يحوز اقصى الجلال والجد • والله يبقيه سندا لكل منكوب ومكروب •
وسيدا ينال منه كل مأمول ومطلوب • ولا يخلي الاحرار من جميع محمود
وطاهر اصله وعنصره بلطفه ورحمته • ولست ارتاب بوقوف مولاي
الاستاذ ادام الله تأييده على حقيقة ما انتهت اليه حالي هذه المدة من
الاختلال والاخلال • والانكسار والانتهاب • ووقوفي عن سعادة خدمة
ابي طاهر البجمي صاحب القلعة وما شفعتم وابتداري التخفيف في مكاتبته
وملاطفته بما علمت ان لمن نفسه رقيبا ومانعا • ومن كرمه باعثا

وشانمنا وانه من همته العالية على جلية يرى كنز قارون بالاضافة اليها
يسيرا • وبعد تاج كسرى في جنبها حقيرا • فكيف يجوز ان يرغب في رجل
يكتب بدنانير واما • ويجتنب بالطمع فيها اثاما واثاما • وتحققت انه
ربما يعذر عليه في مثل هذا الوقت مناقشة بني عبد الذين جلبوا الشنيع
الاحدوثة والذكر • ونشر والعظيم الاثم والوزر • وصرفوا قلوب الناس
عن مشايعته ومتابعته • والزموهم لبسوا اثوابهم الزهادة في طاعته
واعرضت عن ابرامه واملاله • والالحاف في سؤاله • وقلت في كل ما عمل
عذره • ومحوت من صحيفة الشكاية ذكره • وقد ورد علي في هذين
اليومين كتابه مشتملا على فضل له وسيع • وكرم بديع • ودالا على ما
جدده معه العناية في بابي من عنايته وقيامه • وجدده من سعيه
واهتمامه • حتى جمع بعض دحض عنده • وبذل في تخليصه من افواه السباع
وسعه وجهده • ولم يبق لي من حسن الضمان • وبذل الاحسان شيئا
الا بلغ غايته • وجاوز نهايته • لا جرم اني اصطنع من يشكره شرقا وغربا •
ويحمده بعدا وقربا • وينشر فضائله في كل محفل • ويخطب بمحامده على
كل منبر • فاما الدنانير التي عند الكردي فقد بلغه ما جرى فيها وبلغني ان
ذلك الرئيس ايده الله ترفع عن التلطخ بشي منها • واعرض بجانبه عنها لما
عرف انعوانها بالاسعار صوائب • واماتها القايح وعقارب • ولولا كفالة
مولاي الاستاذ ادام الله تمكينه بولديه اللذين كانا عندي واخراجهما
وكفالتهم من يدي لكانت الدنانير الى هذه الغاية الى واصلة • وفي كمي وكفي
حاصلة • والله المستعان • وانا استقطع ايراد مثله لا تحل عليه وانتهى البذل الى
الى بعض اهله قادم من طرابلس وهو علي بن احمد
كتابي اطال الله بقاء مولاي القايد وادام سعادته من طرابلس وقد وصلت
اليها فخلفت خلفي كل كربة • وامنت من كل فزع ومخافة • وانا في سلامة لولا
بعدي من حضرته • وعافية لولا شوقي الى طلعته • والحمد لله كما هو اهله بذكر ما
قاسيته في هذه المسافة الطويلة من الاهوال • ولاقيته من العراق الى هذه
الناحية من المصاعب والاوجال • وبعد ما القت ايامنا بالرقة حتى كادت نفسي
تذهب جبارا • والدهر لا يبقي لي شعارا ولا دثارا • وحتى فارقتها وقد اشفيت
على الغرق • وافلت من تلك الداهية بادني رمق • وتخلصت من مجاورة الغز

جبار كجابر البحري
اشتنت اشتر فتنة

[illegible]

بل الكلاب • وبباشرة ولَبثت الأعادي بل العوادي • واكرهت
المقام بما لما عرفت ان الاسباب بتلك الديار قد انتقضت
قُواها • وانفصمت عُراها • وتساقط بنيانها • وتداعت
اركانها • وقلت في نفسي ان اثق بالمأمن حدوث شر يتعقب
تداركه • ولا ينفرج طول الدهر متشاكله ومتشابكه • والمرء ادام
الله عز مولاي اذا اعجب بتدبيره • ولم يتفكر في صغير الامر ولا
كبيره • فترك ابواب تيقظه وحزمه • ولم يبال بعدوه وخصمه •
ولم يبنِ اموره فيما يعلم من حنكته الامور وتجربته • وادبته الايام
وهذبته • واستبد برايه وهو فائل • واستند الى عقله وهو على
وعول على جده وهو عارض زائل • ووثق بنقده وهو عن العيار
نازل • اشرف على وخيم العواقب • ولاقى ما لاقى بسار الكواكب • واعوذ
بالله من ركود ريح الاقبال • وركوب مطية الكبر في الاعمال • والاغترار
بمساعدة الوقت • ومعاضدة البخت • والاقدام على ما لا تؤمن عواقبه
والمغالب وبما يتخشى جانبه • وطلب الارتفاع في المراتب الكبيرة •
بالباع القصير والنفس الحقيرة • واحمده جل ذكره على ما كشفه
من الغياهب • والمعاطب • ويسره من المطالب • واوضحه من المذاهب
وسهله من المشقة الصعبة حتى وطئت ارض العافية • ووصلت الى
امن هذه الناحية • وتنسمت روايح السعادة والاقبال بقربي من
حضرته • وتصافق الجوارح بعرين خدمته • كما كنت دائما اقترحه
على الزمان واتمناه • واوثره واهواه • ووثقت من تملي بركة
عنايته اولا واخرا • وبغني بيمن رعايته باطنا وظاهرا • ومن كان بمجرد
لصالحي في القرب والبعد • ويتعصب تعصب من يرغب في كمال الشكر
والحمد • ولولا تعذر ريح بورياس لخاطرت بروحي في ركوب البحر صاعدا في
الشرق بطلعته التي طال ما كنت مشتاقا الى مشاهدتها • متلهفا على مساعدة
واناء الاوقات بل الانفاس على هبوبها ثم انتهز الفرصة في المبادرة
اليه • والتطفل عليه • حسبما يوجبه حكم اعتدادي بمكانه • وافتخاري بزمانه
واعتدادي بكرم شمائله • واعتمادي على بديع فضائله • وقدمت هذه
الاحرف معرفا اياه بما استقر عليه من ما يسكن اليه ويونسني باخباره لطفا •

الله • واستقامة امور دا نها الله لا يستريح اليها • واشكر الله عليها ان شاء الله

الى ابي الفرج احمد بن محمد القنيري عن الحضرة تحصه

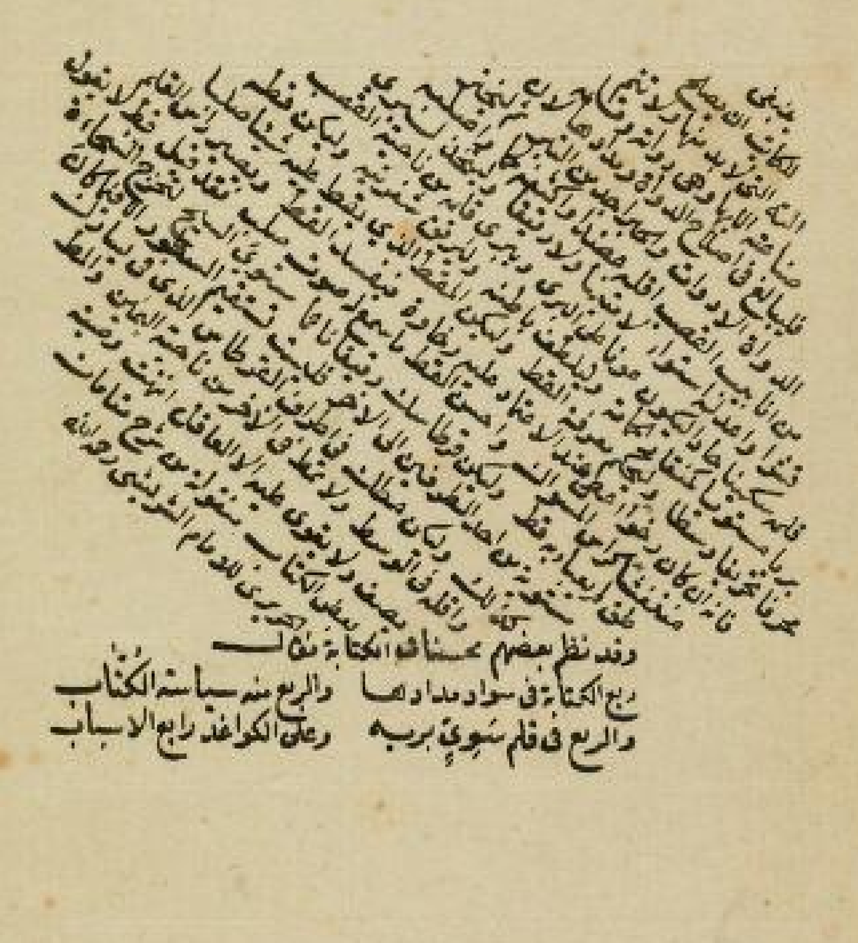
كتابي اطال الله بقا مولاي الشيخ وادام علوه ورفعته • وثبت ايامه ودولته
والزمان قد جنح الى سلمي • واستحلم بعد ماكان حصمي • وصارت
اسباب الاقبال علي متقبلة • وطوارق المحن معرضة • وابواب المسرة
دوني منسدة • والواب النعم علي مستجدة • ولله الحمد حسبها يسعدني
به من عاقبة حميدة • ويقربني من مطالب بعيدة • وصلواته على
سيدنا محمد وعلى الابرار من ذريته • وكنت كاتبت الشيخ ادام الله تمكينه قبل
هذا مع الركابي الراجع الى الحضرة بذكر ما كنت منتهيا • وتخبرا فيه من عذر التي حضر
انذال • ومجاملة قوم عن الفضل اغفال • وصرحت باسمائهم في كتابي النافذ
اليه لتلك اكثر في بهم وتبالاتي • وملوحلقي اياهم بين الازدرا في جميع
حالاتي • واظهارهم وفاقي بين اركان الدولة ورؤسا البلد • واستشعارهم
خلافي لما جبلوا عليه من الشوم والنكد • واسيهم مع كوامن الغيظ والحسد •
واضمارهم في من الشر ما يخفى عن اعين الرصد • واغرائهم علي بالوقوع في والتجني
علي بتغيابنا كلامهم في اكثر صفاته • بل رايتنا الا تيوف قطاته من لطاته • و
وبغاهرهم على ان يهدو امره • وبشيبه واذكره • ويرفعونه وهو من عقله
في غرض مشتهيه • ويقربونه في دار الكلب يانف ان يقاد معه في قرن • ولكن
ارذل الوصل بلطايف من التدبير اليهم • واعمى الطرق التي مهدوها عليهم •
واغالطهم اشكو من نارهم • واحالهم لا استنبط ما في ضمايرهم • واتغابى حتى
كاني نايم غافل • واتغابا حتى حسبوا اني باقل • الى ان ضعفوا وفتروا
ومكلوا وضجروا • ورقدوا وقد بهت عليهم البلاد • وتعبدوا وقد مشيت
لهم الضرا • وشبعوا فصرعتهم التخمة • ورصدوا وقرابد علاه الحكمة • وانا الا
اسمع الا واخبار في الموقف الشريف مصورة • ولا اسمع الا ومكايدهم
عند امير المؤمنين مقررة • فلم يرغم الا والامر العالي خرج باسند عاقي
الى البساط الشافي • وارقاني فيه الى مراتب لا يجد اليهم نورها مجالا •
وتنزلني من التملع بالوابت الزمان لمسارقة تحرسه اقبالا • فلحقتهم
حينئذ حيرة الخجل • واكمدتهم قلة الحيل • وغصوا من الغيظ انا ملهم •
واستقصروا عن الطمعان عواملهم • وابسلوا من بتصدى لجنود

17

الاقبال والنواجح . وحملوا ومن برد السيل على ادراجه . وعلموا اني
اصبر على السيف . وارامن الحيف . وارضى بالمنية . ونعامن الدنية .
واني اذا امتحنت لست من رجالهم . واذا وزنت كثرت عن مثقالهم
واذا اوحشت فانا الزلال السلسل . واذا خوشنت فالعذب المرل .
واذا استقضيت فصارم لا تنبو مضاربه . واذا انجدت فجبل لا تزاحم
مناكبه ومراقبه . واذا اجتنيت فالعود الذي يجتنيه الجلب . واذا استقيت
فالجذيل المحكك والعذيق المرجب . ثم اخذوا في ملاطفتي مرة
ومواصلتي اخرى . وكل واحد منهم يظهر على ما سبق منه ندما . ويثبت على
النقد من في مواصلتي قدما . وكتابي هذا وقد قضيت من المحروسة الطاهرة
اوطاري . وانتجزت اموري منها على حسب اختياري . وظهر على حال رغم
الاعداء اثر استظهاري . وانتهيت في كل ما رجوته وجريت فيه الى
مضماري . واقصيت عن قلبي دواعي الفكر . واصلحت ما احتجت اليه
من اهبة السفر . والى اسبوع آخر ان اخره الله في الاجل . وسدد دون
طرق العوائق والعلل . خرجت الى تنيس ومنها الى دمياط ثم اعتقد التوكل على
الله مع دليلي وخفيري . واجتهد في مسيري . واوغل في طي المراحل حتى اورد
الى من هو للسعد مطلع . وللفضل مجمع . وللرائد منجع . وللوارد مشرع .
وللكرم موضع . وللمجد مربع . واصل الى من اكشف عن قلبي بالنظر اليه لوافح
الحزن . والقى من كاهلي بالاجتماع معه فوادح المؤن . واظهر من قلمت
اظفار الدهر عني نواصله . واحقن بمعقل من حل عقال مناي عواصله
ومناصله . واتطلع الى ان يتفق الالتقاء لا يحشر في بداوم الله بشرى من
اخباره التي هي للنفس راحة . وللقلب سلوة . واوامره التي اغتنم النفس
فيها والتشرف بها متطولا ان شاء الله جواب كتاب من بعض

اصدقائه ونعته اليه قطا ستعصى عليه في بغداد

وردكتابه مولاي وسيدي اطال الله بقاه وادام سعادته فضممته
الى صدري . واعددته امانا من خطوب دهري . وعلقته بين جيدي
ونحري . وجعلته قلادة اتجمل بها طول عمري . واذا اردت ان اتعطر
تنسمته بيدي . واذا اشتهيت ان اسكر اخطرته بخلدي . واذا تمنيت
ان اطرب تاملت سطوره . واذا شئت ان اتنسم الحوالي قرأته منظومه



وقد نظم بعضهم محسنات الكتابة فقال

ربع الكتابة في سواد مدادها	والربع منه سياسة الكُتّاب
والربع في قلم تسوّي بريه	وعلى الكواغد رابع الاسباب

ومنثوره • وكلما ذكرت في سالف احسانه • كررت لوضع عنوانه • وكلما ذكرت
بدايع فواصله • قبلت مواقع أناملة • وكلما اعدت قراءته تواجدت على
كل لفظة تواجد الصوفية على حكايات مشايخهم المتقدمة • وطربت لكل
حرف منه تطرب الشيعة لذكر فضايل الايمة • فانا ابدا بين روضة
وغدير • ولبلة وسمير • وبستان يجمع غرايب الالوان والازهار • وجنان
تشتمل على نزه الابصار • وعقود ازين بها لبات الخرايد • وسعود
اطاء بها رقاب الفراقد • وادرك بينها جميع الاغراض والمقاصد • وكيف
لا يكون داعيا الى كل انس • وجامعا بيني وبين كل حسن • ومشيدا
مواد التجدد لي من مكانته • وجامعا بين ساعد الدهر وبين ما بينه • ومؤلفا
شوارد الفرح • ومنبها لتحصن الايام بالمنح • وقد تحققت من انباء سلامته
وعافيته • وانتظام اسباب حضرته • ما تنفسح لسماعه مسامع الكرم •
وتنشرح له صدور الامم • ويهتز لمعرفة كل من يعشق الفضل واهله •
ويفتخر بجملته كل من يحط برفع الجد رحاله • لا زال من السلامة في استر
لباس واصفاه • ومن العافية في اوفر حظ واوفاه • ومن الاقبال في
احسن خلعة • ومن الجذل في اعذب شرعة • ولا فارقت الاستقامة
على حضرته • ولا باين الجمال شريف سدته • فاما اجراء سيدي
ومولى ادام الله تمكينه من ذكر الفلان وتغايره عن الجملة التي كنت شاهدته
عليها استدامة واستقامة وسدادا ورشادا • وسكونا وسكوتا •
وتحفظا وتيقظا • وتعرضه بين انفسه وغواه • واشارة الى من
اضله عن رشده واغواه • حتى ضيع خدمته • وفارق نعمته • وانحط عن
درجة الاولاد • الى طبقة الانكاد • ومن مرتبة الاقارب • الى منزلة
الاجانب • ومن دعاه ادباره الى ان جلا عن مسكنه • واخل باهله
ووطنه • واختار ذل الغربة على عز المقام في داره • واثر مشقة السفر
على راحة الانس بجواره • وما ابلغ القول فيه • واسبغ الخطاب في تقبيح
فعله عليه • وتحققت شغل قلبه ملاه الله سرورا بما شرحه • وتوزع خاطره
لما وصفه واوضحه • ولو وقف ذلك الغر الاحمق الصواب • واتقى غرة
الشباب • وميز بين من يحب ان يصطنعه ويسبل عليه ستره • وبين من
يطلب هتكه وفقره • لكان الزم الحضرة من شعر مفرقه • والصق

يجده منه من حبل عاتقه ٠ ولما اختار الجنة على مفارقة داره ٠ ولما
تدنس بعد عفته وطهارة ازاره ٠ ولكن الهوى ربما يعشي البصائر ٠
والزمان كثيرا ما يغير الخواطر والضماير ٠ والنزاع والجدة يكسبان
المرء الشغل والقلق ٠ والبطر والامن يورثان كما الجوع والخوف ٠ وجملة
الامر وتفصيله ما وجدنا لاكثرهم من عهد ٠ فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ٠ ولعن الله من كفر النعم ٠ واخفر الذمم ٠
ونسي محاسن الصنايع ٠ وباع مولاه بيسير من المطامع ٠ ومولاي
وسيدي ادام الله تاييده ٠ يعلم اني انفقت في تربيته وتربية
امثاله العمر ٠ وبذلت الوفر ٠ وضيعت الاموال الجم ٠ وركبت الاهوال
الصعبة ٠ وعرفت من اخلاقهم ما لو صنفت فيه اكثر مما صنفه
الجاحظ طول عمره ٠ وذكرت منه ما تعجز عن السنة الخطباء والشعراء عن
وصفه وذكره ٠ واحفيت الاقلام ٠ وجعلته كما ضرب في العرب من
الامثال السوائر ٠ وكما حكي في العجم من الطرف والنوادر ٠ فلو دونت ما
في اخبارهم ومقابحهم ومساويهم وفضائحهم ٠ لكنت في بلوغ ما
يستحقونه مقصرا قاصرا ٠ ودون جزء ما يستوجبونه حسيرا حاسرا ٠
فالاولى بالعاقل ان لا يشتغل بواحد منهم بسوء ٠ ولا يكدر بتربيتهم على
عيشه وعمره ٠ ويسلمهم الى الدهر فهو اقدر على الانتقام منهم ٠ ويستعد
الزمان عليهم فهو اقوى على الانتصار عنه ٠ وانا الان ظفرت به ٠ وتمكنت
من خطابه عن كتمه عرقت الاديم ٠ وبشرته بالعذاب الاليم ٠ وبلغت
من خطابه وملامته ما يتجرع منه الموت عند استماعه ٠ وابلغته في
استبشاع ما اقدم عليه واستفظاعه ٠ واطالع حضرته حرسها الله تعالى
بما يكون منه ان شاء الله

الى بعض اصدقايه بمصر

انا من الاجتماع مع مولاي اطال الله بقاءه وادام سلامته في ايام
الفترة ٠ وعن الالتقاء به في ساحة العشرة ٠ وان كان قلبي دايما ابدا
لا يفارق حضرته ٠ وهمتي لا تزايل خدمته ٠ ونفسي تشتاق الى
مشاهدة حضرته اشتياق الكريم الى بذل نواله ٠ وتفرح بالوصول
اليها فرح المهجور بوصاله ٠ وكانا اذا افترقنا لم نجتمع اوطادا ٠ ولم تجر
باجتماعنا الاقدار ٠ بل كان الدهر آلى ان يكون بعده مفرقا ٠ واراد ان

يكون هو مزريا اذا كنت مشرقا . والزمان عندي اسآت وهذه الاساءة شرها
واشرها . وللدهر لدي جنايات وهذه الجناية انكرها واكبرها . ولولا سوء
اتفاقات المقدار . وعموم محنة الاحرار . ما كنت ارضى ان القاه مرة في كل شهر
وما كان اللقاء الا بغتة . وما اقنعت نفسي باجتماع معه مثل نقرة طاير .
ولمحة باصر . ومعاني هذا زمان يتبرم فيه الوالد بولده النجيب . ويسام
فيه المحب دوام زورة الحبيب . فكيف تكون حالي وانا اعتقد بيني الاخوان
غريب الوجه واليد واللسان . وليس على الله بعزيز ان يسهل لي وقتا
اتمكن فيه من النظر الى لقائه . واتمتع بما اقترحه على الزمان من دوام
بقائه . ان الفضل بيده . والخير من عنده ان شاء الله الى صاحب
الديوان في العتاب والاقتضاء وهو لحيى بن بشر
سيدي الشيخ ادام الله عزه لا ينحو من المقاصد الا اسناها واحدها . ولا يزجر
من السوانح الا ايمنها واسعدها . ولا يسلك من المناهج الا اوضحها واصلها .
ولا يركب من المدارج الا افسحها ابساطا . لا جرم انه اينما توجه لم يضل عن
الجادة . واي شي دبر لم يحتج الى الاعادة . وحيث ما حل لم يخل من السعادة
وكيفما تصرف نال من تصرفاته اقصى الارادة . لا فارق مخصب شعابا
ولا جانب الغيث جنابه . ولا سلبه الاقبال جلبابه . ولا اغلق دونه
ابوابه . ثم هذا المجاري الذي اجري على مجرى الصدقات على الفقراء والمساكين
والضعفاء . ليس من حرمة رعية سالفة . ولا ثوابا بحدة مرضية آنفة .
بل غرض المنعم اسبغ الله عليه النعم . واحدق بدوام عزه وجلاله الامم .
صيانة وجهي عن السوال والابتذال . ورعاية جاهي عن الاختلال والانحلال
والقاني في زاوية ربما اجرد منها يوما من الدهر تجريد السيف من قرابه .
واثب منها وثبة الاسد من غابه . وفي اثناء هذه الاحوال لعل الزمان
يعثر بجدة فينتبه من رقاده . او يحنو علي فيفكني من اغلاله واصفاده . واذا
كانت هذه صورة الحال فمن المحال ان اكون طفيليا ومتبرحا ما اصبت
في الدوام منقبضا . واري برداء الاكرام متشحا ما وجدتني في السكون متدرعا .
الا ان هنا فضلا لا يجوز ان اهمله . ومعنى لا يحسن ان اطويه واغفله .
كيف يكون الجاه مصونا لو حضرة مولاي الوزير ادام الله عزه لا محالة قد
ضجر من كثرة الاقتضاء . فهو يدعي على هذه الدولة بالانقضاء . ويتبرم

باكتاب الله ذم لديوانه فهو يتوسل الى الله بنقدانه ويقول يرحم الله عبداً قال
آمينا انا ذلك العبد او من فضل الله يسمع الدعا ويجيب النداء انه ولي
الاجابة ثم انا اعلم عايتنا انه بعدم مالي علي من المال ويوثرني على
نفسه صابرا على الاثقال واتحقق انه لو قدر على ان يحمل هذا الجاري كله
في يوم واحد لما اخره عني رغبة في اجتلاب جميل الذكر وحرصا على ان تكون
معاهد هذه المودة بيننا معموره ومحاسنها منشورة والنيات صافية
والمروات متوافقة ومراعات ايام الصحبة حتى لا تكون هاوية مبانيها ولا
تقوى معانيها وانا بعلم الله واثق بحسن نيته واعتقاده وارتقائه من
الفضل الى ذرى اطواده وعالم بانه لولا الاحوال الضيقة والضرورات
المتفقة لما احوجني ابدا الى كاتب ولما تركني اعول في ديوانه على نايب
واذا اقف انا بعذره وعرفت مكنون صدره سقط العتاب وانكشف
الحجاب ومع هذه الصورة المذكورة فغرضي الذي اقصده نقولاً بتولي
تدبير امري بنفسه اذ لم يبق من السنة الا اليسير ومن عوده اطال الله بقاءه
الا الكثير واختيار جهات غير مستصعبة لنا في الجاري في هذه الشهور
المستقبلة فعسى ان يجدد في استقبال السنة الجديدة ان اخرتني
المنية وادركتني من عند الله رحمته الواسعة المرضية وانا اشتفي من
هذه الاحوال التي اقاسيها المراره الخبيثة صنع جديد يغنيني عن المسائل
والوسايل واركض في ذيل من السعد ذايل وما ذلك على الله بعزيز

الى بعض المتلقبين بالامارة والمتحلين بالكتابة والوزارة يتضمن معاتبة واستخفافا به وهو مسعود بن طاهر

عتاب الامير كل يوم يزيد في الصدر ضيقا وفي كل وقت يسد على
الصبر طريقا واستيحاشه مني وهو كان سببا للايحاش غريب وغضبه
من تجني وهو الجاني الى الايحاش عجيب واعجب منه انه كالجرح وهو يتلوه
ويتالم ويتظلم من تولى جواني والبادي اظلم ومن آثر ان يكون مقدما
معظما وجب ان يكون مهذبا متوقيا ومن احب ان يكون مبجلا مصدقا
لزم ان يكون من الافعال الدنية متطهرا ومن رشح نفسه للامور
الجليلة صبر على الاعباء الثقيلة ومن طمع في الاسباب العظيمة طالب
نفسه باستعمال الاخلاق الكريمة ودون المكارم مكاره لا يبلغها الا المتو

الباذل • وقلل المعالي عوال لا يمتطيها الا البطل الباسل • ومع المغانم
مغارم لا يحملها الا الاكارم الافاضل • وامام العز الشامخ مذاهب لا
لا تسلك الا بجسر من التعب ممدود • وقدام الشرف الباذخ مراتب لا تنال
الا بمساورة الاساود والاسود • وباب المجد مبني عليه ان يتجرع كؤوس
الردى عللا ونهلا • وجاني الشهد لا يبالي بان يلقى دون اشتياره نحلا
فاما الذي يشتهي الرياسة وهو خال من ابرارها • ويتمنى الجلالة وهو كئيب
في مضمارها • ويحب السيادة وهو عار عن اكثارها • ويريد الوزارة
وهو غير صابر على حر نارها • فبعيد عليه طريق منالها • ومستصعب
جدا الارتقاء في ذرى جبالها • الا ان يغلط الفلك في الندرة مرة
فيجوز في دورانه • ويميل اليه تارة كيلا الاهل زمانه • او يحدث عن
اتفاق الايام عجايب لا تخطر نظيرها بالخواطر • ولا يعد منها الا في
الغرايب والنوادر • فتعيره محاسنها زمانا ثم تسترد ما اعارته • وتبرم
امره حينا من الدهر ثم تنقض ما ابرمته • وليست هذه قضية من بنا
الحظوظ بالاستحقاق • وبسحق كل رتبة رفيعة دونه ولو طبقت السبع
الطباق • الا ترى ان الدنيا وان سلبته متاعها فكفايته مصونة غير
مسلوبة • ودولته غالبة غير مغلوبة • وان احتيج في ان يبيع جزءا من
فضائله بانفس الاعلاق • او يبدل منها الا من ادبه بالف قنطار من
العين والاوراق • لا اختار الفقر على الغنا والثروة • ولا اثر العدم على
على الحظ والمخلوق • ولنفس بالادب مجلد بملبوسه • ولكن عن جهال
هذا الزمان وتيوسه • وبالعراق اعزه الله الايذ اول من العوام يعدون
ذوي الاموال الجمة والثياب الفاخرة والاقتناء الوزمة والالقاب الفخمة •
اذا كانت ظروفهم من الظرف خالية • وغرفهم من العقل خاوية • وصحفهم من
العلوم بيضا صافية • وجيبهم فوق الكا طافية • في الانعام لا في الانام •
واناس من الخواص يلبسون اولى الدراريع الصقيلة • والمناديل المذهبة
الطويلة • والمساكن المزخرفة المرخمة • والمنازل المبهجة المترفة • اذا صانوا
اموالهم عن السؤال بالاثقال • واختلطت في بيوتهم النساء بالرجال صور
مسالخ تجار • وكل هذه التشبيهات دائرة • وجميع هذه التمثيلات منقادة
ولا ارذ وحماية المزرة على ان اضرب به مثلا • او اشبه به منهم رجلا حاشاه

وان

فلمثل السو لقبيح . وكيف يستحسن التعريض به ولم يجعل الله طلعة يتقصف
منها الورد . ونكهة يكن معها الند . وبجلدة كالقباطي لا ترى العين احسن
منها بياضا . وقامة كالقناة لم يوثر فيها المشيب انتقاضا ولا انخفاضا .
واخلاق ودّ الربيع لو تحلى بصفاتها . ونفس جبلت القلوب على محبتها
وموالاتها . فلا كعفر يابسة ولا ذبالة رطب . ولا امواله محبوسة ولا عياله
نهب . ولا بينه وبين الاول مناسبة . ولا لامع النبل مقاربة ورتبتها
ولا كفايته دون كفاية الوزراء . ولا صرامته اقل من صرامة القدر والقضاء
ولا نقمته بخفية . ولا اثاره بخشية . ولا نفسه عبرانية . ولا جوده غير
محببه . والله يزني علوه وانما كلام العدو ضرب من الهذيان .
ومعاذ الله ان اكون عدوه فيكون كلامي هذيانا . ولا اقيم لعلي بحجتي برهانا .
واما سعاية موسى بن حسن بي وتقربه اليه بذكر القبيح لي وجده في الاغراء
والتقريب . وتشيعه بالنميمة والاكاذيب فمعروفة . واسماع العقلاء عن
استماعها مصروفة . وهو حبيس بربري شديد التخلف قبيح التكلف
كثير التعسف قليل التظرف . قد غطى قحمة شعر انفه . ويخلف بي جاهلا
جذعه على كتفه . ويحث بقرنيه عن مدية حتفه . واحوجني الى خلق
شاربه ونتفه . فهو بعقله السفساف . يريد ان يسقي الامير كاسا من السم
الذعاف . ويلقنه ان يتكلم بالجزاف . ليثبت بالحضرة المقدسة الى قلة
المعرفة والانصاف . والراي عندي وهو ابصر بنفسه ان يتحرز من
شره وآفته . ويعرض عن جهله المستاصل لشافته . ولا يقتدي
بغثاثته وسخافته . ولا يلتفت الى تخليطه وخرافته . فان قبل هذه
النصيحة سلم من لساني ولسان غيري عرضه . وانطوى من بساط
المشاجرة بيننا طوله وعرضه . ولم يسمع ما يضيق به صدره . ولم ينهتك
بين شيوخ الدولة ستره . وان ابى الا المهارشة والمناقشة والمواحشة
والمناخشة فليصبر على صدمات قم ونكز الاراقم . ونهش الضراغم
والبلاء المتراكم المتلاطم . وسنون الصوارم . فوالذي نفسي بيده
ما بارزني قط قرن الا كسرت قرنه . وقرع سن ندمه وسنه . ولا ناجز
خصم الا بشرته بسوء منقلبه . وسددت عليه طريق مذهبه اجمع
ولا فاصحني احد ولو كان مثل خطباء اياد الا افحمته وفضحته .

ولا كالفتى يتمايل ولو كان من بقية قوم عاد لاكببته على وجهه وبطحاه . هذا
فعلي مع الكماة الذين وردوا المنايا تبرعا . وشربوا كؤوسها تطوعا . وسعوا الى
الموت الزؤام سعيا . وحسبوا طعم الحمام اريا . والكفاة الذين لم يحضروا الاقران
فلم يهلهم امر مخوف . واستقلوا الخصوم ولو اجتمع على واحدهم الوف . فاما
اصحاب العقول الضعيفة السقيمة . والاصول السخيفة الذميمة . والجبناء
الذين لا تثبت في مواقف الرجال اقدامهم . والبخلاء الذين لا تنصب على قرى
الاطعام خيامهم . فما لي وقصدها دون مثاقفتهم . وصفاحي اغمدها قبل
مثاقفتهم . وبناني ادخرها من ان تخوم وتقصدهم . وسهامي اعزها
من ان تصيبهم وتقصدهم . ولساني اشفق عليها من ان الحنها بذكر
مساويهم . واقلامي اجلها من ان اجريها بوصف مخازيهم . وانما اتسلط عليهم
ساقطا اثنيهم فرقا واصلا . وبقوفهم سخفا وجهلا . ليقضي حقوق
كلامهم المزخرفة بضرطة . ويؤدي فروض اقفائهم المزخرفة بخرطة . فجموعهم
نفشها انفسه قراد . وعيونهم بعيد اكف رماد . وصفوفهم يفرقها ادنى
نفس . وزحوفهم يحرقها اخفى قبس . اجرب مضا على القلب
لا يكن بجرمه جهلا وجبنا على الكلب . وههنا اسئلة لا بد لها من
جواب . كم ايها الامير اذا اشكلت عليك قصرت في جواب السلام
واذا حييتك بتحية الاسلام زويت بين عينيك فعل اللئام . او تلقى
ايماءك الى الناس بطرف ازينك . يزيدني مرتبتك . او اشار زملك الى
اهل الفضل بجانب شاربك . يقدمهم منا قبلك . او اذا اقطعت لذا
عليك من تبانك صدرة . اظهرت بها قذرة . او اذا شممت له
انفا . كسبت به ظرفا . ولم اذا جرى ذكر كريم بين يديك مزقت
عرضه تمزيق الوصي مال اليتيم . واذا رايته من بعيد تحركت ابرناسه
تستر لك جرف الحكم . واذا اجتمعت به ازففت من غيرانه يخافك
او يهابك . واذا غاب عنك خرقت عليه من غيظ انيابك . ويحك
هذا الذي تفعله فعل الجاني عده كلها آفات من ارجع الى كفاية
وعقل . وترهات من لا يخلو من غاية وجهل . وتبطر من لم يكن على
مائدة ابيه رغيفا . ولا فضل من ارتقى لعل جثته كرما ولا ترفعا . ثم اني بلغني
انك تتذرع بنقلي فضلة من صدقاتك . وترجف بالفقر مني ولو انفقت

جميع مالك . وتقع في دفوع غير مُراقب . وتنظر وجهاً تحته جهل وأدب
زعم الغزر دون أن يستقل مربعاً . أتزبطول سلامته بأسرع
أتدري بأرض بين تقع . وتعرف بالكم بين تولع . وتعلم أي أنواك
نفاد ذنبه . وأي سم تريد أن تشرب . وأي أسد تستثنين من غابه . وأي
سيف تنتضيه من قرابه . إنا لله وإنا إليه راجعون . الله في أجلي فإنما باد لي
من قتل في جهاد . وهلك في جراد . وقد قتل أمير المؤمنين اغتيالاً الكلب
مُراد . واستشهد سيد الشهداء على يد عبيد الله بن زياد . وأفنى فضلاً
الأئمة وسادات الأمة في كل شعب وواد . ولي أسوة بهم إن قتلت ولكن
سيفك لا يقتل . ولولا ثقتي بصنع الله الذي طال عليها اعتمادي في جنبه
على جميل عادته . واعتمادي عليها البتة قد بار حديثاً من ملابس
سعادته . وعلمي بأنك وأمثالك إذا رأيتم اسمي مكتوباً على ورقة لم
تطعموا من هيبته غمضاً . وإذا انصرم قلبي مطروحاً على بقعة لم تطيقوا
أن تخطوا أمامه أرضاً . لخضبت سيفك بحناء من تغير في برقته
ولغسلتها بماء آس تكرماً منك في ركبته . ولكني من بعد أستدرك
الذي مضى وأبيح العذر دنيا تعذراً . يا هذا بلغنا إلى حديث القتل
مرة واحدة . الله الله أنه يشق لموالك من أجلي . أو تحدث في الطريق
لتلوث رجلي . ولا ترهب بقتلي فإن قتلي الأجل . ولا تسع في دمي فإن
دم مثلي لا يبطل . ولا تخوفني بإبعادك فإني ضعيف القلب لا أستطيع
صبراً من خوف . ولا تؤنبني بإبراقك وإبعادك لئلا يسيل على وجهك
جوفي . ولا تسمعني المكروه فلا توجب المروءة استضافتي وظلمي .
وفي الأذى تنقل فضل لسانك قليلاً إلى عرقي . وإن قضى الله على يدك
يكون انقضاء عمري وأكون من شهداء الريشة والقطايف قبري . فالجملة
صبراً على مخافة الكرام . ورضى بدولة الأيام . وقد أرسلت صاحبك
فلاناً ليخرجك من ظلامك . ويوقظك من منامك . ويدلك على
تجارة تربح فيها السلامة . وترشدك إلى طريقة لا تخاف فيها الضلالة
والملامة . فإن قبلت كلامه ونصحه . وتركت مذهب اللجاج وقبح تغابنت (تجنبت)
وأغضيت من جرائمك . وإن أصررت عليها أعرفه من أخلاقك اللجة
وجئت بالحنذ للقابلك . والسلام . إلى بعض النصارى وهو ان

البنا المحتج • عجبي من تثاقلك والعقل منك على مراحل • ومن
تفاضلك والعقل منك على فراسخ ومنازل • ومن اغترارك بك حين
حسبك انسانا • وتعاميه عن جنايتك حتى جعلك تدبر ديوانا • وزيادتك
في البطرم اذ توليته مجلد • وعربدتك على الناس لما اصبحت من جز الفساد
مجلد • ولولا غلط الزمان لما رفع بضبعك • ولما قبض ايدي السفل عن
صفعك • ولتركك تابعا لكل ساقط • وخادما لكل طالم قاسط •
تجر في جيدك حبل من مسد • وتذل وانت اصبر على الهوان من وتد •
وتتقلد صليبا اثقل من طبعك • وتحمل بدني اخبث من عطائك وريعك
وتقف على الابواب كالمتبرم السائل • وتخاطك على شاربك وعنفقتك
كالناطق الشائل • فلاد رج الناس • وبقي بعدهم تجانس • تقربت الى الرقيا
بنواميسك • وانفقت عليهم من زيوف كلامك ما في كيسك • حتى
استجمعت وفاتك • واستبيح لها كلما شانك • فتنفخت وتبذخت •
وتمت فتمططت • وتقويت باخيك وتترست • وتلبست بجلك وتعظ
وركضت لما ابدا الشيطان بترقيصك • وتخصصت فازلت اللقب
من تقبصك • يا حيرة التيس يحي صاحبي اليك خصم ستغيثا بك
فتنحي لنظلمه • وتزيد وساطتك فتعدل عن العدل وتتنمر • ثم تنفض
عليه غبار تحولك وصلفك • وتعتمد كانك تريد ان تحرق بنارك •
وتوعده بقطع الرزق غير خائف من ان اقطع قفاك • وتهدده
باسقاط المجاري زايدا في مضنائك • وتجلد تحري من اصحابك ومسمع
وتقذفه لمحضر من الناس ومجمع • وتنفخ في البوق وسط السوق اي بابا
لا نهاب احدا • وتجهل ان صاحبي لو اراد لجعل صفعتك طريقا قددا
وحق من انقذك من حفرة العذرة • الى منزلتك القذرة • وخلصك
من غذ والرغيف • الى الخضب والريف • ونجاك من نجاسات الطرق
والطين • الى التمرغ في الخزوف الثمين • لولا ترفعي عن مكافات امثالك
وانفتي من مخاطبة اشكالك • لنتفت طاقات من قذالك • وحملت
الكلاوب على عيالك • والتردد على اخت خالك • ولاطلت الترّكات
القبيلية في ميدان قذالك • ولرأيتك كيف يكون قبل قطع الرزق
تقطيع قفاك • وكيف ترى قبل اسقاط المجاري تجميل عالك • ولكن

مثلك

شلت لا يخاطب ولا يجاب ولا يؤخذ بالهذيان ولا يعاتب وان
الظفر بكلب شلت شر من الهزيمة والتلطخ بذكرك قريب من مجاورة بيته
فاذهب لعن الله فك الابخر الذي تكلم من تكلم ولعن الله رزقا انت
توخره وتقدمه واخزى الله زمانا صرت فيه تنظر في امر وتتجاسر على
الاستخفاف بحر وتتمكن فيه من نفع وضر وترجى او تخاف لخير او شر
متى كان لابيك الا كلف القرنان في جبة ورغيف خبز ومتى تحلى اهل
بيتك قط بجاه او عز ومتى عرفت بالكتابة يا الأم من افرغ من صلب
في رحم واذل من تذرع الدواة بتلم والله الا مقاساة امثالك صعب
فان كنت من الناس فانزو الى كلب
واذا كتب الله على الشقا بلقائك خاطبتك قولا لولا ان الفعل اشد تاثيرا من الكتب
والسلام رقعة الى صديق له يعاتبه ويستعطفه بدمشق
بعض هذا الجفاء يا مولاي يكفي وجزء من هذا الاعراض يجزي وعلى قليل
من صدودك تنزعج كبدي وفي يسير من وعيدك اغراق وتبذير
وفي ادنى ما اوحشتني به مقنع ولفظ يدل على سوء اعتقادك للقلب
موجع ومن قبل ان تبلغ الغرض في عتابك يغني القبر ومن دون ما
جناني في عتابك يجري الدم وان كان غرضك في العقوبة تلفي عرض في يعلم ظنك
ربابتك وان تجدد لك راي في الخصومة فمن يحاكمك وينازعك
وان استطبت التجني فمن ينقص عليك ما تستطيبه وان استعذبت غيظي
فلا بعد لها تزيده وتستعذبه وان شتمتني فبي الاذني صمم وان كلمتني
فانجرح اذا ارضاك الم وان احببت الظلم فرحبا لاجلك بكل ظالم وان
آثرت لومي فاهلا وسهلا بكل لائم النفس منقادة اليك ما ساعدها
المقدر والقلب بيدك تقلبه كما تختار والعقيدة معقودة بطاعتك
فلا خلاف والطوية منطوية على متابعتك فلا انحراف والروح معك
سافرت او اقمت والحياة في حكمك اخرت او قدمت فلا انس الا بالقرب
ولا فرح الا بقربك ولا نشاط الا بحبك وما الطيب الا ما اختلط
بترابك ولا السعد الا ما ربط ببابك يحييني نظرة منك بالرضى
وتغنيني زورة منك في الكرى ويعجزني منطق منك عذب ويشفيني
من كل داء كلام منك ما فيه عتب واتعلل بوعد منك وان اجتنبته

رسائل ابن العميد الكاتب

D

المطل • واقنع بقول منك وان لم يعضده الفعل • واظن ان ادعى الامور
الى مهاجرتي دعاية جنت فصليت بحرها • وحبالة ضربت فبت بغرها •
ومزح اتفق من غير قصد • وحكاية ذكرتها بلا عهد • فلو اكتسبت كبيرة
لما استوجبت من العقوبة المهلكة بعض ما عاينتم وعانيتم • ولو ارتكبت
جريرة لما استحققت من القطيعة المهلكة اعظم ما اوليتم وقاسيته •
ولو اشركت والعياذ بالله لمحت ذنبي التوبة والاستغفار • ولو كفرتم
ندمت لعفت على كثرة الندامة والاعتذار • وها انا بين يديك
مستغفر وان لم اجن جناية • ومعتذر وان لم اركب غواية • ومتنصل
ان نفعني التنصل • ومتذلل ان قبل مني التذلل • اما تتق الله في واقف
امامك مستغفر تايب يؤمل عفوك نادم على ليسلم من سيفك القاضب •
هب يا مولاي اني لا اواخذك باخلاقك في ميعادك • ولا اعاتبك في اسرافك
في بعادك • ولا احاسبك على ما انقضت من عهودك • ولا اخاطبك فيما
ستمنيه من صدودك • ولا اطالبك فيما حرمتنيه من عطفك • ولا
اجاذبك وان سوتني بما ثنيته من عطفك • افي حكم المروة ان تبعد
عمن يقاربك • وتطرد من يصاحبك • وتطرح من يهابك ويحالك
وتحمل زيادة من جمالك • ام في شرط الفتوة ان تقابل اقبال عليك
بصد • وتعارض سو الربرد • وتجازي بحسن بنبو • وتلبسه بشماتة كل
عدو • ان رضيت هذه الحكومة ولا تخاف شناعة فسمعا وطاعة •
وان رايت في مثل هذه القضية رشادا • فاستسلاما لارتك وانقيادا
الغرض في جميع الاوقات ابتغاء رضاك • والمراد في كل الاحوال اتباع
هواك • فوالله لو كان في الماء ما تكرهه وانا صاد لما شربت منه جرعة •
ولو كان في الطعام ما تبغضه وانا طاو لزدت على الطوى جمعة • زعم
وهو من تعلم يا مولاي اني لا احبه وان كان كاذبا فعليه كذبه • ان قلت
فلو قام معرضا بي لا يصلح لي ان اواصله • ولا امن ان عاشرته حبائله •
ولا اعتمد على ما يبذل من لسانه • ولا اسكن الى ما يكتمل اليه من ايمانه •
الا يصلح لك من ان حملته الجبال احتملها مرتفقا • وان جشمته الانفاك
استقلها مطيعا • وان دعوته لهم اجابك ليلا ونهارا • وان كلفته
دخول النار دخلها مختارا • وان غبت عنه حفظك في مغيبك •

حكاية عنك



وان حضر عندك كان اشفق عليك من قريبك . وان عذبته صبر
على تعذيبك . وان ترحبت به عبدك لترحيبك . وان استضمته
لم يستنكف من استضامتك . وان سامته لم يقلق من سامتك
وان استخدمته احدث اثار خدمته . وان اصغيته استصغرت
الدنيا بالاضافة الى همته . وتصلح انت لمن سلم عليك لم ترد جواب
سلامه . وان تقرب اليك انفت من استخدامه . وان زارك اغلقت دونه
بابك . وان تطفل عليك لم يأمن استتارك عنه واحتجابك . وان انبسط
اليك ابديت له انقباضا . وان اقبل عليك اظهرت عنه اعراضا . وان استشفع اليك
والتجا بك لم تشفع حرمة . وان استرضاك عن غير ذنب لم تمن
عليه بالرضا . لقد سقطت نخوته كل عتب . وعدل عنك فاصل ما تريد
هذه الاخلاق التي انفرد بها بحمد الله كلها مرضية محمودة . وهذه الافعال الجميلة
محتملة منك غير مردودة . وهذه الاحكام التي تحكم بها عدل . وهذه
القضايا التي تقضيها فضل . لا تؤدي الى حيف . ولا تنسب الى جنف
ولكن الكرام ربما يستعذبون المصاعب مجاملة واستحياء . ويتقربون
للمعاتب استدامة للمودة واستبقاء . ويستصفون المشارب
الكدرة محافظة على الود . ويستسهلون المذاهب الوعرة استمالة
لكرم العهد . ولا يهدم مباني الكرم تعود المسامحة والمساهلة .
ولا يفسد جاني الشرف بذل المكارمة والمجاملة . والله امر بالعفو
وذكر انه اقرب للتقوى . وحث على الصفح الذي هو كمال الاخرة والاولى
والنبي صلى الله عليه وسلم قال احب الاديان الحنيفية السمحة اي ملته
التي لا ضيق بها ولا عوج . ولا ميل ولا حرج . وشدد قوم لم يبل
على انفسهم فشدد الله عليهم . فكل امر ابصرت فيه طلاقة
وافعال مرضية فهو واحد . انا يا مولاي متطلع لجواب رقعتي
هذه مترجح بين عتبي ورضى التحمل بالتعلل من قناع الياسر
او بين سخط ويأس احصل منها على صفقة الخاسر . ومعاذ الله ان
ترى الاعتبا على خير تجنبه . وطول تشيده . واحسان تبديه
وجميل تفيده . ومكرمة انفردت بمجالها فانت ترى الحق فيها ارشد
وفضيلة استبددت بجمالها فوجدت فيها ازدا . زادك الله من

الفضائل قربا ۰ ومن النقائص بعدا ۰ واعاذنا من سخطك الذي استوبل مرتعه ۰ واستوخم مشرعه ۰ واستقبح مطلعه ۰ واستبعد مسافة القفر منها بجوده وكرمه

نسخة رسالة التوبة

كتبها من القرافة الى الشريف

تذكرت ايام الصبا وانا غر ۰ وعلى الغواية مصر ۰ وبالسفاهة مغر ۰ واوقات لهوي كنت لا اصحو من سكره ۰ ولا اسهو عن ذكره ۰ ودهر الشبيبة اذا غصانها رطبة ۰ واغصانها رجبة ۰ ومشاربها عذبة ۰ وزمان الحداثة اذ كنت اصبح مرتبكا في حبالتها ۰ واضحي منهمكا في جهالتها ۰ وامسي منهتكا في ضلالتها ۰ واوطاني التي الفت بها عجائب ۰ وقضيت فيها للشباب مآرب ۰ واستصفيت العيش في ظلال لها مشارب ۰ ومعاهدي التي تمت فيها بين فتى وفتاة ۰ وانثنيت بين رشا ومهاة ۰ وركبوت على اكواب وصحاف ۰ ولهوت بين سوالف وسلاف ۰ ورحت بجميع ريحان وراح ۰ واصبحت صريع احداق واقداح ۰ وسحبت ذيل مجون وسكر ۰ وركبت خيل جنون ونكر ۰ ورحت كالمهر المطلق عنانه ۰ ورحت كالحر الذي ساعده زمانه ۰ ونزعت قميص سكينة ووقار ۰ وبعثت في البطالة والضلالة كل عقار ۰ فكم لي من حجة الى حانة خمار ۰ وكم لي من عوجة على ازهار وانهار ۰ وكم من دلجة الى مغان وغوان ۰ وكم لي من نجعة بين فتيان وقيان ۰ وكم لي من عمرة في حياض الصبابة والصبا ۰ وكم لي من عمرة الى رياض راضتها انفاس الصبا ۰ وكم لي من وقفة بين ريح شمال وراح شمول ۰ وكم لي من نعرة في قفا نصوح وعذول ۰ وكم لي من مغدى ومراح ۰ بين اوتار فصاح ۰ ومن ممسى ومصبح مع صباح في صباح ۰ ومن مربع ومصيف بين هزل ومزاح ۰ ومن مشتا وخريف في اغتباق واصطباح ۰ وكم لي من نقلة من مجلس الى مجلس ۰ ومشي بين منثور ونرجس ۰ وكم امتطيت صهوة حصانة وحصان ۰ وافترعت عذرة حباب ودنان ۰ وكم بت كما جاء والليل مشتمل بازاره ۰ وابت والصبح بائح باسراره ۰ وكم تحدث بجود ابرق ۰ وكم خلعت عذاري بين باطية وزق ۰ وهتكت استاري في سفاهة وخفة ۰ وكم استخفت المزاهر والملاهي ۰

واستخف

واستنقصت الزاجر والملاهي • وكم كبرت عند اصطحابنا الاوتار عشقا لها
وحبا • وسبحت عند مناقرة العقار تعجبا منها وعجبا • وكم من فرجة عن
الهموم عند نقر الصنوج • وادراك الاماني عند جس المثاني •
وطرد الحوادث عند نغم المثالث • وخرق الصفوف عند خفق الدفوف
ودفع الافات عند زمر النايات • وكم عدلت من كاس الى طاس
ومن خمرة جلنار الى خضرة آس • وكم شققت على شقايق النعمان من
جيب • واستحسنت من اللذة ما كان في حي كليب • وكم اجتنيت الورد
بلونات غلائله في اغصانه • واطربني الهزار عليها ببدايع الحانه •
وكم اعتكفت على منابت الريحان والنسرين • وخيمت على مجاني الاقحوان
والياسمين • وكم امرحت طرفي في مروج خضر المطارف • واندرجت
في مغازلة الوضاء والوصايف • وكم لي من ايام لهو تصرمت
ولم يبق منها غير ذكر لمستبق • سقى الله اياما حسانا كانها • لمر عذرها
مرقه ومض من البرق • تمثلت لي بلدة كنت وطنتها • وعجايب
فيها الفيتها • وطرق سلكتها • واموال ملكتها • ومفاوز قطعتها •
ومحاسن ابتدعتها • ايام كانت الدولة تمد علي رواقها • والسعادة تشد بين
يدي نطاقها • والاقبال يخدم ركابي • والوفود يتشرفون ببابي • ونحو كنت رافلا
في ظلولها • وادنيت ذيولها • شعر ثم انقضت ايدي الزمان سروقا
لشتاتنا فكاننا اعدا • فكان تلك المحاسن كانت سحابا انهمع ثم انقشع او سرابا
لمع ثم انقطع • وكان تلك النعمة كانت احلاما • وتلك الدولة كانت مناما بل
كاني لم احصل منها على ظل ممتد ثم ارتد • او خيال طرق ثم انطلق • او نبات
نجم ثم انصرم • او نجم لاح ثم راح • او نار شبت ثم خبت • او رياح عصفت
ثم انصرفت • ثم تاملت هذه الدنيا في تلونها • واختلافها • وحولانها
واحزانها • وترحها واذلالها • وتبينت احوالها بعين من خدمته صروف
التجارب • وعلمه النظر في العواقب • ورفع الله حجب الارتياب عن سمعه
وبصره • وجاء من الصغار والكبر في صغره وكبره • فرايت المغتر بها على شرف
غرر • والمخطر لنعيمها بالروح على شفا خطر • والمتعلق بحبالها كالمتعلق بنسج
العناكب بل باوهن منه واوهى • والساكن الى اقبالها كالساكن الى الاسد بل
اجرا واجنى • والمصاحب لها كالمصاحب خيال لحبيبه وطيفه والعقد

بها كالمتقلّد الدافق بدلا من سيفه • ووجدت رضا لها اذاقا ونغازها
نتاقا • وما عاز عاقا واطلاقها اطلاقا • ثم تجسم لي العقل فناجاني مبكتا
مثيرا لي من سنة الغفلة • منذرا بالاستعداد للرحلة • مشفق علي من ان
اقطع شقة شاقة وزادي فيها يسير حقير • وانزل منزل الغربة وانا بها
فقير • واورد دار الكفاف فيها موجدة • ولا اجد بها جدة • واقف موقف
افتضاح • واقام ولات حين انتزاح • واتعرض على من لا تخفى عليه خافية
فلا ادري منها سعيا مشكورا • وينتقد ذنوب اعمالي عالم السر والنجوى فيجعلها
هباء منثورا • فكانني انتشت من سكري حين لم تغنني الافاقة • ووجدت
ضلالي بعد ما مسني الحاجة والفاقة • وفزعت الى ذخيرتي التي كل
كبيرة في جنبها مستصغرة • وكل جريرة بالاضافة اليها مغتفرة •
وتذرعت اليه سبحانه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي شرفه
بملابس العز والكرامة • وجعله الشفيع المشفع في القيامة • وتشفعت
به وباهل بيته الذين لا يشوبهم درن ولا دنس • ولا يعد لهم في غير
طاعة الله نفس • ورغبت الى كرمه في ان يتقبل توبتي واستغفاري
ويحط عن كاهلي آثامي واوزاري • ويوفقني لبلوغ مرضاته سرا وجهرا
ويفك نفسي من رق المعاصي فاني لا املك لها نفعا ولا ضرا • ويرحم
ضعف بشرة يقلقها ادنى غرار • فكيف لظى نار • ويبليها ادنى الم النعيم
فكيف عذاب الجحيم • وترعبها شظية من عرق حديد • فكيف مقامع من
حديد • وتغنيها المآكل والمشارب • فكيف الاغلال والسلاسل
وان يختم عمري بتوبة مقبولة • ولا يواخذني باسباب سبقت مني
مرذولة • انه ولي الخير واهله • واليه يرجع الامر كله • وهو حسبي ونعم الوكيل

الى ابن مسلمة بعد ركوب امير المومنين من القاهرة الى مصر بسبب اهل الشام ...

كتبت هذه الرقعة غداة يوم الجمعة لجامعة تسبل الدولة • المؤذنة بالسعادة
المتصلة • بذكر ما تجدد امس الخميس • وهو اسعد يوم اسفر عنه صباح
ولاح على وجهه غرد واوضاح • من النعمة بركوب امير المومنين
في صبيحته من قصر الخلافة • الى مصر على الطريق الشارع لابسا
من ملابس العز الفخم واعلاه • ومن نفائس الجوهر ازهره واغلاه
في طبقات الاولياء • ووجوه الاشراف والامراء • والاعيان والعبيد

سابقي

والقواد

25

والقواد • واصناف العساكر والاجناد • ومواكب حسدت السماء
الارض لزينتها وعظم اقدارها • وغبطت النجوم الترب لجلالة اقدارها
وقد كانت القاهرة المعزية الى مصر من عدة ايام زينت بانواع
الحلي والحلل وبدايع الديباج والوشي والثياب المذهبة • والانماط
الطلية المستغربة • حتى لم يبق من الارض فيها شبر الا وهو مزين
ولا فتر الا وهو مستبدع مستحسن • ووقع الاجماع بان هذا اليوم
المذكور اجل يوم ارخت فيه الايام • وعجز عن وصفه الانام • وتزينت
بجماله بطون الدفاتر • وتشرفت بذكره رؤوس المنابر • ثم عاد الى قصر
الامامة • ومقر العز والكرامة • مؤيدا منصورا • سالما موفورا محظوظا
بصنع الله واقباله • محفوظا بالملايكة من عن يمينه وشماله • فبادرنا
بهذه البشارة المعظمة اليك لتعرف قدر الموهبة فيما من الله بها له
من السلامة • ولحضرة الشريفة من الانتظام والاستقامة • وتذيع
ما جرى في الخاصة والعامة ان شاء الله

الصدر يعقوب بن عبد الرزاق
الكاتب في المداعبة والتعريض بابي ابراهيم بن غداد

قد كانت الموافقة ادام الله عز سيدي استقرت بيننا على استدعايه
فلان المغني الى منزلنا بالقرافة للاجتماع فيه على الجملة التي شرحها
والصورة التي اقترحها • واجتماع الجماعة بعد هذه الجمعة يتعذر الى ان
يتم شهر رمضان وينقضي • ويقضي الله من نظام الحال والالفة
ما يقتضي • وقد انفذت غلامي ومعه الحرد لا ام لا الاصم وفلان
اقود من الليل • والحج من السيل • ليهتدي من المواصلة في الجانبين
واصلاح ذات البين • الى ابواب خفية يتزلفها ويشار بها اليه •
وتخفى لحناصر في غموضها عليه • فهو ابقاه الله له المقدرة في تاليف
النفوس النافرة • والتعريف بين الاشخاص المتناكرة • وله في تليين
القلوب القاسية • وقلع الجبال الراسية • وحسن السمت والوقار
وحفظ الاسرار والاقتدار على قود المهار • والجمع بين الماء والنار
بلطايف لا تدركه الابالحس • وعزايم لا يهتدي اليها مردة
الجن والانس • وقدرة يعجز عن بعضها اولو الالباب • ورقى لم
يقف عندها من كان عنده علم من الكتاب • وبدايع لو

الفول لا يحيط بها النعوت • ودقائق من السحر لم يلمها ببابل هاروت
وماروت • وحكم ماض به كل عاجز بطبيعه • وامر نافذ لا يرد فيه
توقيعه • فآصف لا يوصف معه بالتاليف اذا احضر • والربح
لا تنعت بالسرعة معه اذا ذكر • صرف الله عنه عين الكمال • وابقاه
لفقرنا وفاقتنا اطول الايام والليال بمنه • والذي اوثره مبادرة
سيدي الشيخ ادام الله عزه الى اسعد عايد • وتعريضه اجتماعنا
على مدحه واطرائه • وتكليفه ان استصابه واستجاب الثمرة
في هذا الباب • وتقبله فضل هذا الامر بعهد وثيق لم يكتبه
بشريطته • ومنشور طويل يبذل له الحباء في خريطته • فاذا
القى مقاليد هذا الامر اليه • واعتمد في كتابته عليه • علمت
انا اعطي القوس باريها • والزناد موريها • وحصلت لحاجة
عندنا بقدر النجح بالبصر • فكان قد ان شاء الله تعالى

في معاياة الى [illegible] من الانشاء بمصر

رايت فلانا ادام الله عزه لما سمع المعاياة التي قصرت عن فهمها الافكار
والخواطر • وعيت دون استخراجها الابصار والبصائر • اهتز لها
طربا • وقضى منها عجبا • ومثلها تبعد عن القرائح الصافية
وتغيب • ويظن الفراق استخراجها بسهل والظن يخطي ويصيب
والذي يصرف قوى عزيمته الى استنباط ما خفي وستر • وتقف
همته على كشف ما حرف من جهته وغير • يحتاج اولا الى طبع لم يفسد
الطبع سجيته • وبصر لم يفسد الكدر لمحته • ثم الى بضاعة
من الادب لا ينقص الانفاق موادها • وجملة من العلوم
لا يخشى نفادها • وعادة يستسهل بها مصاعب الكلام •
وفطنة يستقرب معها مسافة الافهام • وهداية في طريق
الكتابة لا يضل عن قصدها كيف سار • ولا يزل عن نجدها
انجد ام اغار • فاذا اجتمعت له هذه المحاسن المذكورة • وانشقت
عن فطنته الحجب المستورة • وتجلت له الاعراض ظاهرة الاوضاح
وسهلت المقاصد سيرة الصباح • وطفق يصرف القلم على حكمه
ويصنعه كيف يشاء من نثره ونظمه • فاما من تمهق براعة

الأدب • ولم ينفق عمره على دراسة الكتب • ولم يأخذ العلوم من افواه
الرجال • ولم يبذل في اجتلابها المصون من الأموال • وقنع من
العربية بالحظ الادنى • واقتصر من الفصاحة بالاسم دون المعنى
ورضي من الري بالضحضح • واكتفى من البلاغة بالنزر اليسير •
فبعيد ان يفهم اسنى الكلام فضلا من وحشيه • ومحال ان يركب
مرتاضه فضلا عن ابيه • ولولا ان الله سبحانه بحكمته يرزق الانعام
كما يرزق الأنام • ويستر معايب اهل الجهل والرذائل • كما يظهر
مناقب اولي العقل والفضائل • لهلك اكثر من يتحلى بما ليس فيه
سغبا • ولمضى على وجهه في الارض هربا • ولكن الامر بيد الله ينعم على
كل مصيب ومصاب • ويرزق من يشاء بغير حساب • فقد كان
سيدي ادام الله عزه • احب ان اهدي اليه الطائر الاخضر الذي
غاب واستتر • والزائر الاغبر الذي آب وحضر • حتى يحجب بيته
ومزاره • ويهدم مسكنه ومطاره • وعزيز علي ان انفره او اطيره
او اخرجه من مقره او اجيره • اذ هو امير مطاع • ومملوك مبتاع
ياكل اذا احس الربيع • ويبذل اذا بخل الوضيع • ويثوب فيسكر شرابه
ويعتب فيطول عتابه • الجمل لباسه • والنحل اناسه • يسمن اصحابه
منه وهو ضئيل • ويشتفي العليل به وهو عليل • اذا بنى فهو حكيم
واذا دنا فنديم • واذا رعى فمسوف • واذا خلا فيلسوف • اثاره
في المجلد جلية • واخباره في السنة مروية • باسمه يوصف الامام •
ومن صنيعه تتهادى الكرام • انزه الاقطار مطارحه • واعذب
الهبات منائحه • ان صحف سكر وصان • وان قلب ذو دهان •
لا يباع ذماره • ولا يؤمن اضراره • ولا يسفك دمه • ولا يعابه
حد منه • امره عجب • وهجره غضب • واجناسه متقاربة • واشكاله
متناسبة • عمره الله بالبقاع • وادام بمكانه الامتاع • ورزقني
به ما اقضي به حق الصديق • واحافظ عليه من مراعاة الحقوق •
انه ولي التوفيق •

رسالة الرؤيا من جماعة من التنبل الذي سعوا في افنا امرهم

رايت في النوم كاني في بلد • اطلب نشانا وما فيه احد

فمن لي بشخص كمثال الاسد . في مركب يعلوه موج وزبد . فيه رجال وسلاح وعدد
وفيه اقوام باثواب جدد . فخانني صبري وقل باقي جلد . نفثت من انت وما هذا الحشد
فقال اني ملك على الرصد . ادعوا الى عبادة الفرد الصمد . واما هؤلاء فهم اعواني
سلطهم الله على الحساد ليهتك ستورهم . ويحبط اجورهم . وينغص سرورهم
ويطفي نارهم ونورهم . وعندي من الايات الباهرة . والالات الفاخرة . ما فيه
كمال الدنيا والاخرة . العجب العجاب بانواع من تيس ازرق اشمط . وذيب امعط
ارمط . وتنين يحشو بلوم وشوم . وثور ينطح بخرطوم . وطويل اضعف من
ثامة . وطبعه ابرد من نعامة . ونمله اخشن من قلامة . وهامته فيها دماغ
هامة . وسوس في الصوف يعيث . وصوف بحدار يستغيث . ويقول
العز العز الى رؤس محلوقة كانها جاعرة الفرد ملاسة . وافقا مطروقة كانها
انحاء الزبد سلامة . اظلم من انتبه من نعاسه . ودرج من عجار بر اسه
ورحم الله من تقدم الى ورا . قبل ان يلوث بالخرا . يا قوم ارفعوا الى السماء
ايديكم . ليهلك الله اعاديكم . وصلوا على النبي بنشاط . تسلموا من الخباط
واقعدوا واستعدوا . واقبلوا النصيحة . تامنوا الفضيحة . فلما بلغ الى
هذا الموضع من الكلام . ابتهت ركوعا قلبا . ولم اطلع الغض جزعا وفرقا
ثم قد خلف اني ارهب من الجماعة . فقد خرابت اشراط الساعة . وستبدو بليتي
الذراعة . فقد كثر اولوا الرقاعة في هذه الصناعة . والله ما احسب هذه
الايام التي ستعنى من العمر . ولا احسب هذه الامور التي تجري الا من غرايب
الدهر وعجايب البحر . ولا اعد هذه الاوقات التي نحن فيها الا من اوقات العسرة . ولا
اظن هذا الزمان الذي ابتلينا به الا زمان الفترة . فلا ادري اهذه الاحوال التي
نشاهدها خيال الاقدار . ام خيال الاوزار . واحداث الاوهام . ام اضغاث
احلام . ومشتبهات الوساوس . ام ترهات البسابس . وانقلاب شريعة
ام سراب بقيعة . ولا اعلم ان هولاء القوم الذين نعاشرهم خلفنا الخلف الذين
تكلم لبيد . ام خلفنا الذين الذين قال فيهم الوليد . وجوههم وايديهم
حديد . ام ذبابة ذاتها استلاب . ام كلاب عليها ثياب . ام اصنام عند
عبدة الحجا . ام اغنام اهلها سارحها . ام اطفال مالهم عقول . ام افعال
ما لها معقول . ام طبول خالية . ام طبول خاوية . لان لا لغة منهم لا

[illegible]

تسلوى

يساوي ربع فلس ، والواحد منهم لا يداري بالف فلس ، اخف من الهوى ان
وزنوا عقلك ، وارخص من الجبال ان امتحنوا نقلك ، واوحش من دواء الظلم مناظر ،
وافتح من ذوال النعم مخابر ، نتاج الاهل لو فاتك الفرع والاصل ، نواشف الامعاء
من الفضل ، جماد الاكف من البذل ، صوادر الاحشاء الا من الجهل ، صقيل
الانفس الا في المطل ، فالحسنهم في المراتب كيف ما قابلتهم ، وما احتم بالمعا
جئت ما جرتهم ، وما افقرانهم الى ان تلين بالمشركات الصلاب ، وتخلط بها
غو انثى تحول مجال ازباق الحباب ، وما احوج لحامهم الى عطلة علتها وتحتها
او دبق صيني يعلقها فيسمنها ، وما احرص ابقاءهم على ان تنظف بالدباغة
وشواربهم ان تنتف بحنت المشاقة ، لا جرم الله ثواب اهل الكبائر ، ولا
حرمهم من الدوائر والغوائل ، واراني كعابهم منقوبة ، واجسامهم مصلوبة
وابصارهم محجوبة ، وكامم بجرائم مخضوبة ، بعقد رتو قوية ، يا اخي متعني الله تعالى
باخائك ، وامدني ببقائك ، وامدك بالتوفيق في صباحك ومسائك ،
لا يقلقنك طول صبري على العزلة والعطلة ، ولا تنسبني في انقطاعي من
الاخوان الى الضعف والغفلة ، ولا يغرنك انقباضي عمن تفسد الدنيا فمن صحبته
وقربه ، ومخالطة من يوكس الدين نفاقه وكذبه ، ولا يوحشنك انسي بعقلي وغيري
مغرى بالفضائل ، وملازمتي منزلي وسواي ساع في طلب المنازل ، ورضاي
بالبطالة وسواي مشتهك بالباطل ، واقتصاري على البلغة وغيري مبالغ
في اختلاف الحظ والحظوة ، وقناعتي بالقوت وسواي جامح في اجتذاب
الجاه والثروة ، ورضاي بالكفاف والجاهل ذو وفد ووفدرة ، وتمسكي
بالمسكنة والعاجز في نعيم وثروة ، ولا يغرنك اطراقي فالارقم مطرق وفي انيابه
السم ناقع ، ولا يسوءنك سكوتي فالموت ساكت وهو للآجال قاطع ، ولا
تحسبني غافلا ولي تحت كل شعرة عين ولسان ، وفي كل جارحة سيف
وسنان ، ولا يشق عليك انزوائي عن الجهال فالعقلاء افراد والفضلاء
آحاد ، ولا يغيظنك استتاري عن الانام فالشمس نورها ساطع
وان سترها السحاب ، والسيف حده قاطع وان ستره القراب ،

ولا تنفقن الا غير منتقد ، ولست اعلم ما ابقى وما اذر
ما في جبن ولا بخل ولا حسد ، ولا نفاق ولا لوم ولا خور
مجدي تليد ونفسي حرة ويدي ، بسيطة وخصالي كلها غرر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد فقد علقت كفي على هذه الرقاع • عند عز نقدها من سقط المتاع
ورخص هذا العلق النفيس • من معقل لا يعرف لجمعه من تحبيس •••
بيد أني ما ألممت على أول لأنه تروق منشيها • ولا وقفت إلا على حرير عريت
عن مطرزها وموشيها • فقلت لهذه وأيم الله ضالتي المنشودة •
وبي وعمر الله بغيتي المفقودة • فشرعت في تقييد شواردها • وتأبيد
أوابدها • مستمدا من الله التوفيق والتيسير • إنه على كل شيء قدير •
لمن أشار من صالح يقول إن لكل أول آخر • ومع كل عسر يسر • وبعد كل يوم
غد • وعقب كل سبت أحد • ولعمري منذ حملتني هذه الجدة الواجدة في
هذه السفرة بتركها • وخطبتني في سلكها • ودهشتني بأنياب نوائبها •
وأنشبت في جدائل حبالها • ووزنت فيها أهل هذا الزمان بمعيار الاختبار
وخبرتهم في حالتي الإيسار والإعسار • وسبرتهم بمسبار العقل الصريح
وانتقدتهم بالنظر السليم الصحيح • فلم أر فيهم رشيدا • ولا استخلصت منهم أحدا •
ولا صادفت إنسانا صادقا إلا نافقني • ولا آخيت إلا خانني • ولا جالست
إلا واغتابني • ولا حالفت إلا خالفني • لزمت بيتي وجلست أندب من درج
من الكرام • وأنا أتأسف على من مضى من تلك الأيام • وأبكي لما مضى من الأعوام
والأحوال • وأتسلى بمشاهدة هذه الأسباب والأحوال • وأنا أحتسب
ذلك عند الله وهو لا يضيع أجر المحسنين • ولقد صدق لبيد في بائيته
كما أجاد الوليد في داليته • وأحسن إبراهيم بن العباس في نونيته • كما قال
ابن الرومي في لاميته • ولو وجدت طول عمري من يجوز أن يسمى صديقا
صدوقا • أو يحفظ على الغيب لصاحبه حقوقا • لجعلت داره دار الهجرة
ولجعلته في عشرة من الفترة • بل ألفت أن أدخل في خدمته سرا وجهرا •
وأبديت الأثر في مدحته نظما ونثرا • ولكرهت على نشر فضائله
جرائد • ولزينت بذكر مناقبه مشاهد • ومن لك بأخيك كله •
وأي الرجال المهذب • وأين الذي يبقى على الناس عهده • لعلك
هذا لأن الزمان بعيد • ثم أرتك حديث الحمد • وارجع إلى نبذة
من البرك • فإنه أشبه بالوقت وأهله • وأجدى على من يعيش

وما اعتراضي على ربي ليعففني لي ∗ مالا ينال ولي في الفضل مزدجر
فقل لحسادنا موتوا بغيظكم ∗ فقد رضينا بما يجري به القدر

وقبيح ان توحشني الوحدة وانيسي ابكار الادب ∗ وجليسي اخبار العرب
ونديمي ما لا يلحقه مني ندامة ∗ ولا تنالني منه سآمة ∗ ولا يرميني
بسهام التهم ∗ ولا يحسدني على دوام النعم ∗ وعار علي ان يصدني عن مغزى
اقصده تغير شأنه ∗ او يردني عن معنى اعتمده تلون زمان ∗ او يلويني
يجي بحقره ∗ او يبلى جزعي بوثبا الحسود ∗ او يفل العدو جانب صبري
بغيلته ∗ او يذل عز نفسي بحيلته ∗ او تزعزعني رياح وعيده وان
كانت قاصمة قاصفة ∗ او تفزعني بروق تهديده وان كانت خاطفة ∗ او تقضي
سرب عزي بايده او يحل رتق حلمي بجهل عزه ∗ او يغوى على صائب رأيي
فينقض قواه ∗ وكمال ان ازل عن سنام الثبت وان غال امر ∗ او ازول
عن موقف التجلد وان غال دهر ∗ او يرعيني تنمر كاشح ∗ او يجرحني قدح قادح
او ان يدنس عرضي اولاد الزنا وان لفقوا في كذبا وزورا ∗ او يغضوا حقي
وان اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ∗ او اشعر الفرار وان اصابتني
منهم عادية ∗ او ابيت كالاغمار حتى تخفى علي من اولهم خافية ∗ لا سيما وقد دوخت
مناكب الارض طولا وعرضا ∗ واخترقت آفاقها نشرا وخفضا ∗ وجبت
صعودها وهبوطها غورا ونجدا ∗ وخبت سهولها وحزونها قربا وبعدا ∗
وصاحبت ملوكها عربا وعجما ∗ ودرست اخبارهم نثرا ونظما ∗ وشاهدت
آثارهم شرقا وغربا ∗ وسمعت سيرهم صدقا وكذبا ∗ وعاشرت رؤساءهم
برا وبحرا ∗ وقلبت ظهورهم بطنا وظهرا ∗ وعرفت مذاهبهم سرا وجهرا ∗ ولقيت
في اسفاري غنى وفقرا ∗ واصبت في اختلاف الحال خيرا وشرا ∗ وذقت في الدنيا حلوا
ومرا ∗ وملت في تصاريفها نفعا وضرا ∗ واحتملت من تكاليفها عسرا ويسرا ∗ واقتربت
اخلاق الزمان سهما وظاعنا ∗ وارتضعت افاويق الايام ظاهرا وباطنا ∗
وحلبت اشطر الدهر قائما وقاعدا ∗ وقطعت اجواز الفلوات فارطا ووائدا ∗
ولبست اطمار الاقتار باديا وعائدا ∗ ورحلت صعائب الامور حالا ومرتحلا
وذللت رقاب الاهوال جادا وهازلا ∗ وسبقت لبان الرياسة وليدا وطفلا
ووليت ديوان المجد ناشيا وكهلا

شعر

وجربت ما لو جرب التر بعضه ∗ لاصبح ادكى من اياس وافطنا
او اشيب ان تلقى امرا بلغه عيشه ∗

بحلبه

عجائب ما في الأرض طرًا وأنا . وها أنا أنفقت كنز العمر . وأنفقت النفس
الوفر . ولم يحق في الغيبة غير الردي . وفي الدين غير الزردي . فلئن جحد الأعداء
فضلي فأصوني الدنيا بأذل جحود . ولئن حسدوني على آدابي فأنا بأول محسود
قد حسد أبونا آدم عليه الصلوة والسلام في الجنة حتى أهبط إلى الأرض
من جوار الرحمن . وقتل هابيل قابيل حسدًا ونام باقي العدوان . والنبي يوسف
عليه الصلوة والسلام في الجب وبيع بأوكس الأثمان . وحسد نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم حتى استعاذ من شر الحساد مع مكانته ورسالته . وحسد
الأئمة رضوان الله عليهم حسدًا حتى تفرقوا في أقطار الأرض أوزاعًا وتفرقوا
في البلاد والآفاق شعاعًا . مع ظهور فضائلهم . ووضوح دلائلهم .
وطهارة فروعهم وأصولهم . وإنارة غررهم وحجولهم . فما هدم قواعد
مجدهم الحساد . ولا ثلم ذرى نددهم الساعون بالفساد . ولا قوض
دعائم إيمانهم إنكار الأضداد . ولا نقض عرى أديانهم إصرار الأنكاد .

ما ضرني أن أرى قومًا ذوي سفه . يرمونني بسهام الغيظ والحسد
ما كان أطيب عيش الدهر لو قلعت . من خاطرهم نبال الحقد عن بدعه

فقل للحاسد راسه وبجر . وقد ولد الغدر . وقفاه رجلود البقر . وقيناه
وجنود الكفر . وحلقه والنشوطة الوريط . وانفه وفا الخبيط . عيناه
نار . وعيناه عار . وكبده في ضلال . وسعيه في وبال . وليله ليل
السليم . وطعامه طعام الأثيم . كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم . فإن
زاد ذو نماه وكرته خاسرة . والله عاد عندنا والفضل له حاضرة

وله رحمه في مطالعة لبعض أرباب القلم وهي محشوة بشعر

ما أسهل الأشياء حين يسوقها . قدر وأعجزها إذا لم يقدر

قد عرفت أدام الله سيدي عجائب الذرائع والشوافع . وطالعت أم الوسائط
والمسائل . وتحققت أن البئر إذا كانت كدرة لم تصفها العنايات .
والطوية إذا كانت متغيرة لم تصلحها النذور والآيات . والمرء إذا لم يكن
له من نفسه باعث على المروءة فبعثه عليها ضرب من الهذيان . وإذا
لم تعنه المكرمات بطبعه فدعوه لها داع إلى الحرمان . وما أسهل الأشياء
إذا تيسرت الأسباب . وأصعبه على من تعثر في عقبة النقصان . أعرف
جماعة ترقى الناس بأعمال الخير تكلفًا . وترديهم بها تعسفًا وتقشفًا .

حتى اذا كشفت عنهم استعذت بالله من شرورهم ، واذا تأملتهم ظهرت
الغلول في صدورهم ، وليست الانسانية الا الوفا والصدق في القول
والفعل ، ولا الحرية الا مجانبة الدغل والحيل ، وسيدي ادام الله عزه يري
بشرا ظاهرا ، ثم يريني قلبا جائرا ، ويعاملني بمعاملة ناسك بوجه ضاحك
ثم يعاملني معاملة فاتك بسيف باتك ، اخراق كالدفلى يروق زهره
ويقتل طعمه ، واطراق كالافعى يغر سكونه ويقد سمه ، فلا سلاسة
عزة وشدة ، ولا دماثة مجردة وحدة ، ولا ماء فرات اذ ادنى شربه
رغبة ، ولا ملح اجاج فلا اذوق منه شربة ، منظر يدل على سهولة ، ومخبر
ينبئ عن حزونة ، وقول يرضي سامعه وفعل يؤدي الى خشونة ، فلا يقدر
على معاشرته الا من حفظ كتاب اقليدس وحل اشكاله ، ولا يهتدي الى
معاملته الا من درس حساب ارشميدس واكثر استعماله ، ولا يثبت
على اخلاقه الا من طاير حلمه واقع ، ولا يصبر على اعماله الا من احنف
بالاضافة اليه نزق جازع ، فلو عرفت ان لي في تواريخي عرضا فاذ يعود
كوكبه ، او في مغاضبتي سببا لا يبدو كوكبه ، او في مداجاتي فائدة
يستحلي ثمرها ، او في مراآتي عائدة تستحق شكرها ، لو حملته على علاته
ولا غضيت عن هفواته وزلاته ، ولصبرت على تلونه ولو كان داعيا الى
المهاجرة ، ولرضيت منه بالبخس في المبايعة والمتاجرة ، ولكن له فعلات
عزم لا يبالي بعواقبها ، وبوادر راي لا يفكر في خواطئها وصوابها
يحسن بلا قصد ، ويسيء بلا عمد ، ويدني عدوه من عنايته قربا
ويجرح صديقه من نكايته شربا ، ويسعى في مصالح من لا يحمد سعيا
ويدع من يوده فعدة لا يطيق مشيا ، وتفاضل الاخلاق في حسنها
في الناس حسب تفاضل الاجناس ، وان صلاح الامر يرجع كله فساد
اذا الانسان خان به المجد ، من لم يعرف اقدار النفوس الكريمة لم يعرف
بينها وبين البهيمة ، ومن لم ير صورة الدرة اليتيمة وكس لها في القيمة
ومن لم يعز من الآداب بتعدد وان كان قد انبذ اهلها بنذا ، ومن لم
يحظ من العلوم بطائل ، لم يفرق فيها بين حق وباطل ، والله ما
يضرني ان يؤخر جاري وانا في الفضل متقدم ، او يجهل قدري الجهال
وانا عند العقلاء معظم ، او يحال به على جهة عليلة ، وانا سليم الغرض

بدرات

29

صحيح . صميم الفضل صريحه . فليعلم سيدي ادام الله عزه ان الكريم لقليل
الجميل شاكر . كان اللئيم لكثيره كافر . والمحسن معان . والمسيء مهان .
والليالي قروض كما تدين تدان . ومن شرط المروة والحرية ان يتصفح
في الضيعة . ولا يتقدم علي في مال الديوان من تواخره صنا عنه عند
الامكان . وانتهابا في اجري الناس في حلبة الشكر ومضاره . وجرم
على علانيته واسراره ان شاء الله لبعض المتخدمين بالتلطف الى الترقي
لما انصرف من خدمة الترتيب وتعريفه السبب في ذلك
النعم ادام الله عز سيدي اذا لم تكن مربوطة بالشكر الدائم تبادرت اليها ايدي
الارتجاع . واذا لم تكن محوطة بالحمد اللازم هجمت عليها آفة الانقطاع .
والشكر معين قوي على استزادة النعم واستدامتها . وامين على
استقامتها . لا اخلانا الله من التوفيق لشكر ما انعم علينا باطنا وظاهرا .
والتقرب الى طاعته دائبا وباكرا . والعمل بما يرضيه جازعا وصابرا . انه
خير موفق ومعين . ولما علم امير المؤمنين سلم الله عليه ان عبده
ضعيف القوة . قصير الخطوة . غير ناهض بجزء من حقوق النعمة فكيف
بكلها . ولا مستقل بتفصيلها فضلا عن جملتها . وان في بعض ما اسبغه عليه
من النعمة . وشرفه به من الخدمة . ما يثقل كاهله . ويستغرق وسائله
ويجاوز حدوده وامانيه . ويوفي على غاية اغراضه ومباغيه . راى اعلى الله
ذكره ان يريح خاطره عن تعب الشكر . ويحجو عنه سمت العاجزين على واجب
الشكر . ويصون نعمه لديه من ان تتناهى صفة الكمال . فتكون داعية الى
الزوال . وتشارف حد التمام فتصير موذنة بالانصرام . وهذه ولله
همة اذا تاملها العاقل بعين الاستبصار . وعرضها على صريح الاعتبار
وجدها بضاعة نعمة تتلوها نعمة ومكرمة تتبعها مكرمة . فلا يكاد يخلو العبد
في جميع اوقاته من نعمة مستفادة . ولا ينفك في سائر متصرفاته من فائدة
مقرونة بسعادة . جعل الله ايامه كلها مواسم الاقبال . وحماها من
حوادث التغيير والانتقال . واوزع عبده شكر مواهبه المحيطة به كيف
ما تصرفت اشتملت عليه . وحينا وقفت الواقفة لفرصة وافتراص الراحة
لديه في غدوه ورواحه . بلطفه وعطفه . وحوله ومجده . ولما طال
تضرعي الحضرة الشريفة زادها الله شرفا . وكثر سؤالي في ذلك يستبدل

بين من هو في مثل هذه الخدمة راغب . ولما اسرا وجوه طالب خاطب لتنطع
من السنة بحسا والذين تحالفوا على تلفيق الاباطيل . وتوافقوا على تنميق الاقاويل
واجتمعوا على كلمة ضلال وخلاف . واوضعوا في ابتغاء اثر وارجاف . وتحققوا
باني لست ممن تقلق الاهوال قلبه وان صارت خزينة وقدره . وان زعزع الاموال
وان كانت جليلة ذكره . او يزيده التصرف في الامور العقلية شرفا وسنا او يكسبه
التعلق بالاسباب الجليلة نورا وضياء . او يحط العاطلة من منزلته وجاهته .
او تؤثر العزلة في نباهته وانتباهته . انعم على امير المؤمنين بايجابي واراحني من
الكد والتعب وان كان احتمال المتاعب في بلوغ رضاه عندي راحة . وركوب
المصاعب في النهوض بمفترضات سلامته مطاحة . لاريض بهذه اليد البيضاء .
والمكرمة الغراء . حتى وهدني بما سكنت اليه النفس واطمانت . واتصلت بها
السعادة فتمكنت . وكساني من اجاده ملابس تبلى الدنيا وهي قشيبة جديدة
وخصني من رضاه بمنازل تفنى الايام وهي حافظة عتيدة . ورقى من الترتيب
الى مراتب عميت عنها عيون الحساد . وخابت فيها ظنون الاضداد . والجمني
حسنها حتى استعظم ان اشرح جزءا مما خصني به من النعمة . وادى ترك التصريح
بذكر بعضها من الخدمة . واوجبت على هذه الحال ان اقف قوى قولي . واصرف
اقصى قدرتي . الى الابتهال الى الله سبحانه في تشييد ملكه وتخليده . وادامة
عزه وتابيده . واعلاء رايته حتى يفتح تحتها مشارق الارض ومغاربها . و
تنفسح على اوليائه وعبيده وعساكره وجنوده اقطارها ومناكبها . والله
ولي الاجابة بمنه وفضله . ولما علمت اشتغال قلب سيدي ادام الله عزه
بما تجدد من الامر . وتقسم فكره لانصرافي عن الخدمة . وان كنت بعدي عنها
منشرح الصدر امن من ارجاف الاعداء بما لعله يكسبه ضيق صدر و ضعف
نفس . او يرتمض لامري مما يوقعه في اختلاط ولبس . فعلقت هذه الاحرف
بشرح ما جرى ليعرف صورة الحال ويجري على عادته في مكاتبتي بما يسنح له من
المهام والاشغال . ومطالعتي من اخبار سلامته بما اسكن اليه واعتمد به ان
شاء الله تعالى السجل الوارد بالشام بما اعتمد له بما جرى
ان من حكم ما نزل به امير المؤمنين سلام الله عليه من انعامه الذي اشرف
الامصار لكبره . وسار في الاقطار ذكره وخبره . وعجب به الصادر والوارد
وتعجب منه الودود والحاسد . ونطقت الالسن بموقع جلاله . وتعلقت النفوس

على

على عظم نعمه وجلاله بما لا يسعني اخفاؤه عمن يضرب في الدولة
القاهرة بسهم . او ينتمي اليها بذكر او اسم . او يتحلى بشعارها باطنا
وظاهرا . او يتصرف على اختيارها غائبا وحاضرا . اشارة بذكر احسانه
ودلالة في علو قدره وشانه . واستعانة بمن يحضني واياه ظلها الظليل
وعزها المستطيل . على التحدث بموجب النعمة . والتهالك في لوازم الخدمة
واستدامة حلو النعمة . والادّهان بما يؤذن بالسعادة في العقبى . ومن
عند الله المعونة وبيده التوفيق والتسديد . ولما نظر امير المؤمنين
سلام الله عليه بعين الرضا الى عبده وجرّده بعد الاختيار والاختبار
من غمده . وخصّه بمنازل الاصطفاء والاقتناء . وآثره بالاثرة
والترتيب من بين النظراء والاكفاء . ورقّاه في المعالي الى حيث قصرت
دونه الاوهام . وقصرت من المسافة بمثله الايام . واضاف الى نعمه
القديمة عند عبده انعاما جديدة . والى مواهبه التليدة الذي موهبة
طارفة عتيدة . وكانت رغبتي في اجتلاب مودة سيدي ادام الله عزه
والتكفل بما يؤدي الى مسرته . والتوصل الى ما يشيد قواعد خدمته
وتجاوز حد امنيته . رغبة من يرى السبق في مصالح الدولة غنيمة . واستعطاف
القلوب على طاعتها سعادة عظيمة . وكان سيدي ادام الله سعادته ممن له
بها الولاء المشهور . والوفاء المحمود . والمساعي المشهورة . التي لا تجهل نارها .
ولا يجهلون منارها . والمقامات المعروفة التي اشتهرت آثارها . وسارت
في البلاد بعد اخبارها . واتضح صراطها . وارتفع مناطها . واسفر صباحها .
واتسع مراحها . اهديت اليه بعد ذكر هذه الاحوال المتجددة ما تحققت
انه يتجمل به سرورا واعتدادا . ويزداد بمكانه قوة واعتضادا . ويبذل بها
يتقرب اليه من ابواب الخدمة جدا واجتهادا . ويشاركني في هذه النعمة
التي يضيق مجال الشكر عن القيام بلوازمها . ويبقى ما بقي الدهر محاسن اعدادها
ومعالمها . ويكاتبني في كل وقت باخباره واوطاره ان شاء الله تعالى

معاتبة وشكاية الى بعض اصدقائه وهو الظريف المقتضب

انا اذا هممت اطال الله بقاء سيدي الشيخ بذكر ما جرى علي من فلان
وجدت الحياء يقبض بناني عن ان تكتب . ويعقل بمثله لساني عن ان
تطنب او تسهب . واذا تذكرت ما سلف له عندي من النعم التي ...

بجحودها كفر . والاعتراف بالعجز عن مقابلتها بما يجب من الشكر شكر . ورأيت
ان رعاية تلك الحرمات . وعمارة تلك المودات . اليق بالمروة . وادل على
طهارة الاصل والابوة . فان اكثر من ادام في زماننا هذا لا يحفظون لعقد
عهدا ولا ذمة . ولا يرقبون في مومن الا ولا ذمة . ولكن الاجل الجليل .
وما على المحسنين من سبيل . وسيدي ادام الله كفايته يعلم انني غاطب
في متابي . وعارف بطريقي العتب والعتبى . فمن ابتغى ظلمي ابتغى غير الحق دينا .

الشكر والشكوى

ومن باعني بثمن بخس فقد خسر خسرانا مبينا . وليس العاقل من يحب اكتساب
المكارم . ثم يأبى احتمال المغارم . ولا كل احد يحسن ان يحسن . ولا كل معطي
يجيد ان يمتن . بل العاقل عندي من يعرف ابن يضع الصنيعة . وكيف
يحفظ الوديعة . ويستجيد النائل . وابطال المسائل والوسائل .
فان الدنيا فانية سريع انتهاؤها . وشيك انقضاؤها . والسعيد من يفعل
فيها ما يحمد مغبته . والشقي من يتقدم ما يستوبل عاقبته . ويخشى عقوبته
ثم لو اجراني مولاي ادام الله على ما كنت عليه قديما من حسن العهد . وثبات العقد
وصحة الود . وصدق الوعد . وابتناء المجد . واقتناء الشكر والحمد . لسقى الغرس
الذي غرسه . ولشيد البناء الذي اسسه . ولجرى على طريقته الاولى . التي
هي بي اولى . ولكفاني مؤنة التعرض للشكوى . ولكنه زلزل حرماتي سابقة
وامالي على عتبها راجعة . فاستطابت الاقتضاء . واستحسنت الاعتداء . وتعودت
الازدهاء . واساءت الاشتكاء . واستضعفتني لما شكت . واستقرت لما امسكت
والجأني الى حالة انا عليها صابر الى ان تنطفي جمرتها . وتنجلي غمرتها . وتسكن
فورتها . وتهدأ سورتها . واسلم امري الى من اسلم من خبره وغائلته .
وخبث عداوته وعاديته . ومكر في مال الديوان من لا خلاق له ليصيب
برحمته من يشاء . ويصرفه عن من يشاء . فليت شعري ادام الله عز سيدي
هل بعد خروج التوقيع المعظم باليد العالية بسطها الله بالقدرة في باب بغية
للراغب . ومحجة للطالب . ام هل كلام غيري بالحضرة زاده الله في جلالتها
اذا شكا مسموع . وكلامي مدفوع . وقول سواي فيها مقبول . وقولي مردود
ام هل على الكافة عينها يكرعون فيها حالا الا . ويستكثرون في ربها
يمينا وشمالا . ايجوز ان يدلني ذلك على مصالح احوالي ثم يفسدها ويقصدني
الى وجوه مناجح ثم يسدها . ويشير بكلام ثم يعندها . ويبدأ بالعارفة

31

ثم بنكدها . أم حسبه ان ابرو حالي فينبها نقضا . أم أصاغه في المحبة
فيجازيني عليها بغضا . أم اخيبه لذكر محاسنه وهو راقد . أم اقوم لنشر
فضائله وهو قاعد . أم أعاتبه فلا يبدي عذرا . أم أصاحبه فلا يستطيع
معي صبرا . ولكني مع هذا احتمله على علاته . واشكره على جناته . واداريه
على افعاله في جميع اوقاته . واوقره لعيبه رفاته . واعذره وان لم احظ
منه بطائل . واقول ما حيلة الريح اذا هب من داخل . وانشد للبحتري

اقلل عتاب من استربت بوده . ليست تنال مودة بعتاب .

واري ان في ايحاشي عصابة هم اعضادي الذين بهم اطاول واصاول ولكني
وانا سئل بنتي لا قدرة لي وانا استغفر الله لو لا ان الصدقات التي يتبرك
بها . ويتشرف بالقليل منها هدفا لما يجنيه . وتكذيبا لما ادعيته . ومحادا
في دين الموالاة . وابعاد الشروط المصافات . وابطالا لحقوق اركانها .
رعي المشاق الكواكب . واعجب منها مادامت الايام تبدي العجائب واسكت
وجوارحي ناطقة . واحكم وحالي لي الشكاية سابقة . وسيدي دام الله عزه
ولي التفضل على هذه الجملة واستقباح ماجرى من خبره . وتعرفه ضميري
لاعتذاره وتعديه . وتفريقي بين اوامره ونواهيه . معاناتا بالتوفيق ان
شاء الله تعالى . الى الشريف ابي طالب ابن بنت الزيدي جوابا عن

رقعته

وصلت رقعة الشريف الاديب اطال الله مدته وادام سعادته
وحرسه من نوائب الدهر ومحنه . مشتملة على ما تفضل به من ذكره الى دار فلان
نسيبي . وناطقة بما ذكره من ايصاله رقعتي من يده الى يده . اعطاه الله كتابا
بشماله . ولقاه عاجلا وآجلا سيئات اعماله . ووهمت ما وعد به وتيقنت
انه اكذب من عرقوب ميعادا . واسوء من ابليس في الاخبار اعتقادا . لا
ينفعني عنده الرقاع والكتب . ولا يرفعني لديه العلم والادب . ولا تنفق
عليه نفثات كريم . ولا يحظى لديه غير ساع لئيم . وانما هو عاري الطبع شرف
الاصل والفرع . سخط الزمان على اهل الفضل فانتقم واسعده . ومال
اليه فقوم اوده . وانقبض عنهم فبسط يده . ورفعه من وهدة الخمول .
الى فوق السماء . ومن الحضيض الحقير . الى ظهر الاثير . ومن سياسات الخيط
والابرة . الى تدبير الملك والحضرة . فهل تعرف لمثله الى آدم عليه السلام نسبا
خلا منه اللوم مرة . او هل سمعت في ايامه قولا ظهر فيه صدقه . فاخوه

الى ان يستقي بطيلسان • ويحدث في بني ساسان • ويحشو دبقه الدينة جمسا •
ويوجع كتفيه بجايعين قلسا • ويرده الزمان الى نعمته الخسيسة وهل الرقيقة
ويبليه الدهر بندل مثله فاشله في الناس الاهيمة • ويخلصنا من دنيّ سوء
ويجوع الكرام بتسويدا شاله • وضع من اخطار الفضلاء اذا خطرة بباله •
ويرحم الله عبدا قال آمينا • قد فنعت ادام الله تاييد الشريف الاديب بان لا
يهدي بالحضرة الجليلة بساطا • ولا يوفرني مع عنايته ورعايته اقساطا ويدني
مع خصي من غير ان يتعقب له ويحلي • اويحين اليه ويُثني اليّ • ويكفيني مؤنته
ويجزيني معونته • ويسكته لا تولى بالحضرة تقرير حالي بلساني • واعرفها محلي
ومكاني • واوضح بها سبب ما تحالفنا وتوافقنا عليه • واشرح من امري ما لا يهتدي
غيري اليه • واما ذلك النسل الكاذب لا الكاتب • فلساني الكريم من ان اجريه بذمه •
ولساني اعز من ان اعاره عند بدمه • وبضاعته اخس من ان يرهنها في سوق
ونفسه احقر من ان يبخ عندي في بوق • اذ هو ليس بمجوسي فيعتقد اكرام الوبد
وعبادة النيران • ولا بيهودي فيقول بتعظيم القراء والديان • ولا بنصراني
فيقبل على تقبيل القربان واستقبال الصلبان • ولا بمسلم فيتحلى بالايمان
ويشتغل بقراءة القرآن • ولا بمعترف فيعكف على السجود للاصنام والاوثان
وانما هو سوفسطي ملحد اختار لنفسه مذهبا • فصيّرظهره لغلامه مركبا •
ووجد ابن الوسطاني من دماغه ثعلبا • وعقله مضطربا يجمل جنه وبني
الجنة نسبا • فهو الآن لا يعرف غير حز البلد الاخيم • وابتغاء الشر الذي
يهلكه ويرديه • ولولا ان قدره عندي اصغر من ان اخاطبه • وقيمته احقر
لدي من ان اعاتبه • لا لقمته حجر • ولنفخت من ناري فيه ما يصليه سقر •
والشريف الاديب ادام الله فضله اولى من ان يجمل قدمه من الركوب الى خاتمة
ويطهر عرضه من مخاطبته ومعاتبته • ومواقفته على ما يبلغني عنه ومحاسبته •
فلا بد من ان للايام باذن الله ومشيئته • وحوله وقوته تنفض عنا هذا
الغبار • ويعقب هذا الاصطبار انتصار • ويكافي كلا منا على قدر اعتقاده
ويبلغه في وليه وعدوه غاية مراده • وما ذلك ببعيد • وحسبنا الله ونعم
الوكيل • الى حسن الدولة القاهرة يخبره ما الزمه من التفضيل
والتمييز بعد ما نبه •
الحق احق ما يتبع الانسان طريقته •
والصدق اصدق ما يشيد بالمروة • فاحضرت فقط صفقة نحق •

32

وان كسد لسوقها . ولا ربحت تجارة مبطل لان الباطل كان زهوقا . والعبد
بعين الله ملحوظ . ومن نقمته محفوظ . ما جعل الحق امامه والصدق امامه . فاذا لغا
عن سننها اوزاغ . وحاد عن سننها وزاغ . واتخذ الهه هواه . وتخطى الحد وتعداه
وانتقضت قواه . وتقوضت بناه . وهوى في هوة لا ينتعش منها العاثر ويبقى
فيها الحائر . ومن عند الله نسال توفيقا ينقذنا من الجهالة . ويهدينا من الضلالة ويبعثنا
على طاعته التي من تحقق بها الخالصة تجلى من الغم خالصه . ومن صح بها يقينه . سلم من الشبه
دينه . انه خير موفق ومعين . ومنذ رجعت من عند سيدي الشريف سيف الدولة .
ادام الله سلامته وجرى في امر المتنبي خطاب . بل خطب . وعتاب بل عتب . ادى في
خاطري ما اخطرت حديثه به فتورا وملالا . وفي لساني ما امتنع في ذكره كلولا
وكلالا . وناهيك بشوم من يصد الخاطر اذا تصوره . ويكل اللسان اذا ذكره
ويعمي الناظر اذا ابصره . ويطبع الطبع اذا حضره . واقول ان زمانا يشبع اشباهه
والكلب جائع . ويحمي نشاله والفاضل ضائع . ويصعد نظراءه ويقرب زيد وعمرو
ويطلق قرناءه والعالم في قيد واسر لحقيق بان يستنقص ويستضعف .
ويستعجز ويستنزف . وينسب الى التناقض احواله . والى التباين افعاله

تامل فما اسبابه الا عارية ۞ واظرف ما ان يعطي الناس احمق

ثم كان سيدي ايده الله قال لي انه اذا خلا بالمتنبي . وجاراه في حديث
المتنبي . ومدح حسن خطه . ووصف انه بحر ما بلغ ابن مقلة الى خطه . سمع منه
فيه . من اظهار معايبه ومساويه . والطنز به والسخرية منه والاستهزاء بحكاية . والضحك
من اشاراته . والتعاجب من تتبع سقطاته . وكشف عوراته . والتنبيه على غباوته
وجنونه . وقلة دينه وكثرة مجونه . وحكاية نغماته اذا تبادى واستخف بالكامرة
ونغماته اذا استخف بالاكامرة . وتيهه اذا انفرد في مجلسه لبعزة غلمانه . وتجنب
خدامه . وكبره اذا اقام بين يديه لحيه مزدا . ويواعده شزرا . وترفعه من الناس
اذا سلم بطرف كمه . ويتبسم ببعض فيه . واحتقاره للعامة اذا جلس من صناعته
واشار اليهم باطراف اصابعه . وتوهم جلالة موضعه عند سلطانه . وتمكنه من
اسرار ديوانه . واعتداده بسوابق خدمته . وتسلطه على الغرباء الذين لا
يعرفون حقيقة امره . ولا يقفون على سقوط نفسه وقدره . بلطايف الحيل حتى
يسمع قاله وقيله . ويأخذ براطيله . وتمارشه اذا وجل كان تابط شرا . وتعاديه
اذا خجل كان قد اذنبه وزرا . وتظاهره باحتياله واعتياله وفراسته وتسكا

بجانفه وجفله . واكشف لك عن غطا امرى . واطلعك على كنون سرى . وادلك على السبب الذي ينبغي ان اجل ولا ادرى . ويدعى غيرى الى المجالس ولا ادعى . واجنا وغيرى يجل ويكرم . واني وسوى يصدد ويتقدم . لي ادا واهل عرفت عند حضور المايدة عادة ردية . وفي غيط السمان طريقة جلية . ترقدني كل من يضرب في الحسنة بقدح . ويحيماد على كل من يرجع الى صنيعه الى لوم وبخ لاني ارك كالمجل الحايم على الجفان . وادق فاصلع لجفان واستاصل نفاعات الزعفران . واقلع عيون البقلة . وابلغ دماغ راس السلاقة . وانقض على قانصة الكركي كالعقاب الكاسر واغوص كالتمساح على القضبان في الصباير . والتهم من لجدي كليته . ومن لخروف خصيته . واكشح شحم الكلى وطرف على الطرف واستل لحم الفقار وقلبي الى الكتف . ولا ادع احدا يسابقني الى المخ . ويبادرني الى التقاط الفرخ . واستاثر من السمك المالح بسرته . واقبض بالحمص على مناكلة لحمل وخاصرته . واتناول من الشبوط قذاله ومذاله . واقنع للاوز المسمن اعضاه واوصاله واحترف كبود الدجاج . وصدور الدراج . والتقط الاطايب من سكباج البقرية . كما ازدرد قطع السنام من لجزورية . و ادور بالمايدة فلا اخلي شوشة الا اشوشها . ولا سكبوة الا اكبها . ولا سعلبة الا اقلبها . ولا جوذابة الا اجذبها . ولا طبيخة الا امعن اكلها . ولا مغمومة الا اجتث اصلها . ولا رؤوسا مشوية الا اعيها ولا الوانا غريبة الا افنيها . ولا اقلي القلايا وان كانت قليلة كما لا اجنب الاخلة وان كانت طويلة . واختطف كل حمل مصوص وكل فرخ قريص . واذا رايت الارز باللبن فاني من بني الطفاوة او بني قشير . واذا شاهدت الفالوذج فانا من بني الراسب ومن بني نمير . واكرع في البهطة كالبط . واضرب على الرايح بالصفايح والف اللفات . وادول على الكماة كالكماة . وارغب من البيض المصلوق في الاكتاع . ولا ابقي من العصفور غير الجناح . واهجم على القطايف فاكلها اكل لنا . واتي على الخبايص فاستاصلها اخضما

ونطقه وقلقه ونكده وكمده وحسده ولدده وتشبهه بالعرب لا بتأنٍ بين
له عنه رغبا كان او رهبا، وربما كان او ذنبا، ما يجنو عنه طبعه، ويقرب منه سمعه
ويحبله عنه حسه، وتقصر عنده نفسه، ويكثر طيشه، وينغص عيشه، ويصبح بين
مصدق ومكذب، وصبي بين متغضب ومتعجب، وينشده

ان لم يكن ما قلته حسدا ... فحذار منه فانه كلب

ثم اذا انفرد بالعبشي وذكر الفارسي، وسالهم عن كتابه وقلمه، وعن قدر صناعته
وعلمه، ابتدأ يثب في الفلك عطارد، ونبي بزي الكتاب واحدا فواحد، وبالغ
في شتم عبد الحميد وذمه، واعتنى بطرائقه، وزعم ان الخط وحي من السماء نزل
عليه، والبلاغة سر من النبوة اوحي اليه، وان القلم الذي يكتب به امضى من قلم الله
واجرى، والذي ينظمه اولى بان يكون معجزا واحرى، وان العقل لو تجسم لقبل قدميه
والفلك لو تكلم لمدح فكه، والاقاليم لولا تدبيره لما استقامت سهولها ووعورها
والدولة لولا رايه لما انتظمت احوالها وامورها، ثم يعود الى ذكر الفارسي فيقول
ذاك صبي غبي لم يقرأ قط على استاذ حرفا، ولم يرفع بين يدي عالم طرفا، ولم يشد
الا بعد ما درج الناس فتفقه، ولم يستخدم الا حين عدم الكتاب وتوحد، ولم
يصف الا بعد ما خلا جو من صايده، ولم يرم الا حين خلا من الرماة وتسدد ساعده
ولم ينشئ منذ كان كاتبا الا وما جله غلط، ومعظمه سقط، وافصحه زبد يذهب
جفاء، واصح معتقده نكره جفاء، واجلاه فاسد المباني، واعلاه شارد المعاني
واسلمه مضطرب التاليف، واحكمه واهي القواعد، واغربه تصحيف، واصوبه تحريف
واعذبه منقول من مكان الى مكان، واعذبه مجلوب من رسائل فلان وفلان
فلا يفرق بين ضعيف الكلام وقويه، ولا يميز خفي النظام من جليه، ولا يدري
فرعه من اصله، ولا غثه من سمينه، ثم ان شاورته فجهول، وان عاشرته فملول، وان ذكرته
فجهول، وان استنجدته فخذول، وان وعدك فمطول، وان ما هدنته فخزول، وان
سالته فبخيل، وان امنته فذليل، وان ناظرته فضليل، وان قتلته فقتيل
وان حملته فاثيل، وان سالته فعليل، وفاذ مثان، واخلاقه اخلاق، ومعتقده
حدث، ومعتقده منكث، مستخيل المعنى بعيد الى الحمق، ويجري في جانب المجامع
والحراب، ويذكره من الفضائح والقبائح ما يستنكف الانسان من استماعه، ويهرب
الملكان من استقصائه، ويانف الفاضل من ان يحكيه، ويتحرج العاقل من ان
يحكيه، ثم ذكر التزيف لو ان عرض لزاد حسد هذه القصيدة ذكره، ووقع لها

ابن المقفع

صدره

صدره، واستفرغ جهده، وبذل وكده، حتى قررهما بعد اجتهاده، واختبر
كل واحد منهما على انفراده، وانه بعد الكشف والتفتيش وجدهما متقاربين متماثلين،
وصادفهما في الحفظ متشابهين متعادلين، ولم يثبت لواحد منهما برهان نطق بأنه
افضل من صاحبه، ولم تقم دليل بان الحق له دون منازعه ومحاربه، ولم ينفع بشهادة
العدول التي بمثلها تفصل الاحكام وصحة دعوى احد الخصمين فتكون له الحجة الواضحة
وتنجلي له الشبهة العارضة، ويزول الخلاف، ويقع الاقرار والاعتراف، ويبطل كذب
القاسط، ويتبين حق المقسط عند الوسائط، ثم خاطبني شفاها بانه لم يقتصر
على ما كان في نفسه من قرب المقايسة بين الخصمين، وفرط المجانسة بين الاثنين،
مع فضل زيادة وصحة تمييزه، وقلة رضاه بمباهتة عقله ومغالطة نفسه،
حتى استفرغ ما عند جماعة من طائفة يتحلون بهذه الصناعة، ويتسمون بمعرفة القضايا
وان كان جميع المتحلين بها في هذا الزمان عطلا، وصدور المتسمين بها اذا
تصفحتهم غفلا، فلم يحصل له منهم على ما كان عنده زيادة، ولم يثبت لديه بخلاف ما كان في
غالب ظنه شهادة، بل وجد المقادير كلها متساوية، والمقاييس متدانية، والاقاويل
متقاربة، والاسانيد متناسبة، وقد ذكر في الاستقصاء حقه وزاد، وجاوز حد الشفاء
او كاد، فلم يكفه مؤونة ما طلبه، ولم يبلغ المراد الذي احبه، فوقف وقفة الحائر وصار
يحجم عن تقديم احدهما على الآخر، ولا يهتدي للفرق بين الناقص والفاضل،
وتمييز العاقل من الجاهل، فلم يدر كيف يبين عوار الكاذب، وياخذ بيد الراجح،
ثم سالني سهل الله مطالبه، ويسر الى السعادة مذاهبه، ان اخرجه من ظلمة الظن الى
نور الحكمة، وانقذه من تكلف الخصومة، بفصل الحكومة، والح في السؤال، ورغب في المقال،
فاستعفيت وابيت، وتضرعت وتشفعت، فكرر الكلام واعاد، والحف فيما سال
وزاد، وظهر لي وحقه اني اذا كنت على بصيرة، واستحييت ان اخلف بقصده حاجته،
ورأيت بنوع انه ذممت على هذا حقه، ولم يقنع بهذه المقالة حتى حلف انه ما جرى، ولا
يفاخرني ويفارقني ولا يصادقني، وسالني ان اعرضه فيما سالته معرفة ما عندي
فقط لينصرف على حكم ما اعتقده، ويعتقد الصواب الذي اعتمده، وكرهت ان اخرج
من مقدار صناعتها، ويبلغ بضاعتها غير مجانبة لاثم، ولا حائف في حكم، ولا
مائل الى واحد منهما بالعصبية او سويته، والا حكم بينهما بالتسوية، واعدل في القضية
واجانب جانب التحامل والتعنت، واتنكب طريق التاني والتثبت، ولا اجاوز طريقة
الوساطة في الحكم، ولا احاول مقالات الخصم، وانا اورد الذي اذكره من هذه المباحث اذ انتج

عند التمييز شهد بحقيقته . واذا انفتح سجل القاضي على ثبوته عنده وصحته . لئلا اشتاع
عند الاختبار موقف الاعتذار . وأعجز عند الامتحان من اقامة البرهان . أو الزم
حجة المتزيد في الكلام . أو أعرض نفسي للملام . ووالله لا عيان في هذا اليمين الا كلم
دما أو ضعف جرحه . ولا ادنس نفسي حرجه . لقد كلفني شططا . وسامني خططا . واذا
مضضا . ونصبني لسهام السفهاء غرضا . وحملني ما ان صدقت فيه اجلبت
دمارا وذاما . واكتسبت اثاما واثاما . وحملني فيما ان انصفت في ذكره غرست
ما لا يثمر غير العداوة والبغضاء . وأثبتّ ما لا يفيد غير الحقد والشحناء .
ولقد تمنيت وتحيا به قسما لو كلف فصل هذه الحكومة غيري من جاه الكمي من جبهة
الاسد . ووجها اصلب من ظهر الجلد . وحشاه اخفى من القذى المتاح . وكلامه
اطرب من غناء الملاح على الراح . ولو فعل ذلك لصدق في الخصام مع ما في
يشهد الله كنت ان لا يخفى على سيدي الشريف لو اراه عزه الصبح وهو مسفر . والليل
وهو معتكر . وان العيان أغنى عن التعلق باخبار الآحاد . والمشاهدة تكفيه
تكلف الارتياد والاجتهاد . وكنت اقدر انه اذا قاس قارب في قياسه . واذا تأمل
امرا امن عاقبة امره من اشكاله والتباسه . وانه من العقل الاصيل على مذهب
يستصلب العاجز فيه عوده . ومن جودة التحصيل على مرقب يستصعب الدائم
صعوده . وانه عند السبك والاختبار لا يزداد الا صفاء وصقالا . وعند
الانتقاد والاختبار لا يكتسب الا نقاء وجمالا . فليت شعري لم عدل عن الحق
وكان اليه عاولا . ومال عن الصواب وكان اليه مائلا . ولم اخطأ في فراسته
ولم يك رأيه فائلا . ولم قبل المحال ولم يلف لرقابه . ولم تجاهل في هذه
القضية وهو اعلم اهل زمانه . ولم تأخر عن مضمار السكيت وكان السابق
في مضماره وميدانه . ولم عرج مرتاب بقيعته . وانخدع في غير موضع لخديعة .
ولم يرتك في اعتماد الواجب عادته . وملكت الهوى سنادته . وكيف رضي بان يحي اسمه
من صحائف المنصفين . ويثبت في جرائد المسرفين . ولم اضل سبيل الحق وكان اهدى
من القطا اليها . وانثنى من الجبال عليها . ومن اين الطرق اتاه الالتباس حتى لا يتفل
من يتبارى الكهول وهو في ربق شبابه على من يتبارى الجانبين في اخطاره ونقله به .
ولم يرشد . جربت والله فيه قولي . شخصين ما فيهما حفظ لحسنات . ولم يسم
يعرف من عنوان الكتاب ما في باطنه . ولم قاس للاتصاف باجنه وآسنه . ولم لم
تهتد افكاره الصحيحة . ونتائجها القريحة . الى معرفة الاشكال والصور . والفرق

بين العود والقرد . وقد خبثت عليه الشمس والسماء مصحية . وقد استعان في الانتقاد بعجز
وزند قطنته مورية . وحق لمن يمشي مع العوران يري . وان لم يخش غبشه متعاورا .
والله يعلم ان سيدي الشريف ادام الله عزه اليق اعتمد لمحبي يعرف من الكاتب والكاذب .
ومن الخاطب والحاطب . وممن الذي انتهبت ابواب خيره وسلامته . ومن يكابسه
بدلا عقد ومجاسة جعله الله ممن لا يضله هواه . ولا يزول قدمه عن رضاه . ولا يميل
الى متبع الهوى كيفما مال . ولا يقول غير الصدق اذا قال . ولا يمشي الا على سوا الصراط .
ولا يعدل عن الانصاف والاقساط . ولا يتحلى بالحيف والاشتطاط . ولا يكون مع
التفريط والافراط . واغناه عن معاشرة وجوه اللئام . ووقاه حوادث الليالي
والايام . انه معطي الخير ووليه . الى الشريف القاضي بمكة من مصر وهي
على لسانه
كتابي اطال الله بقا سيدي الشريف القاضي ادام الله سلامته وسعادته
وانا متصرف على حكم اختياري تحت ظل الدولة العالية الغالية وكنفها وملتحف
بضافي عزها وبسطها ووفرها . والحمد لله على جميل انعامه وافضاله . والصلاة والسلام على
محمد والطاهرين من آله . ولدي عندي جنايات عدة قد اثبتها في صحايفي لا ودعته
على كثيرها وقليلها . ونكايات جمة قد كتبتها في جرايدي لا عاتبه على جلها وتفصيلها
فمنها انه سعى بالتفريق بيني وبينه . وحرمني الانس الذي كان بقربه لما جرى عن عينه
وبعينه . ومنها ما اخاف من سوء صنيعه حين اخفى عني يوم خروجه حتى اخرجني من
تشييعه وتوديعه . ومنها ومنها الى غاية لا تنتهي . والسكوت اولى واحرى . ولو جاء في
اليوم دهري من ذنوبه التي جناها مستغفرا . واقبل علي من اساءته التي اتاها
متنصلا ومعتذرا . لما عفوت عن كبائره . وما صفحت عن جرائمه وجرايره . ولما
اغضيت على اقذاء الاذية . وما غطيت على اغلاظ اللهجة . الا بان يتقرب الي بتحري
سبيل الاجتماع بيننا والالتقا . ويشكل برد التلاقي حرارة البرحاء . فنفسي اليه
اجنح اذا الى سلمه . واصفح عن جريرته وجرمه . وما ذلك على الله بعزيز ان يبشر
النفس . ويعيد الانس . بمشاهدته بطلعته ورجعته . ثم كنت حسبت ان سيدي
الشريف ادام الله عزه لا ينسى العصم الدينية التي تضمنا . والذمم الوثيقة التي تجمعنا
وتنظمنا . والاحوال التي سلفت في الموالات فلا يهتدي الزمان الى انتقاضها . و
الاسباب التي خلصت في المصافات فلا تعمل الشوائب جراحها . وان لم يكن كاتب بيننا
بهذه المحضرة صديقا . او تجرد بينه وبين احد في المراسلة طريقا كنت انا المبتدئ بهم

والمتنع بذكره. بل كنت اهله الجريدة. وبيت القصيدة. وعنوان الكتاب
وعنفوان الشباب. وهلال السماء. والوسمي من الانواء. وطراز الثوب ومقدمة
الوفد. وواسطة العقد. ونبل الكنانة. وباكورة الربيع. وصدر الديوان.
والسابق في الميدان. وعقيلة الحي. لما تحقق من اعتداده بوفائه. واعتمادي على
امانته. وارتياح نفسي بمجاورة احواله. وانشراح صدري لانتظام امره واعتداله
فلما رايته كثير على اصدقائه متقاطع. والى جماعة من اصدقائه متواضع. ولم
يوصلني من جملتهم بسطر واحد. او بسلام فارد. او سؤال عن حال. او اخطار ببال
علمت ان تلك القواعد التي كانت بيننا في المودة مادت ومالت. ومعاهدها
بادت واستحالت. وعوايدها طرقت فتكدرت. ومشاهدها تخشنت فتغيرت
ثم حضر لي اخيرا صديقي فلان. ومعه كتاب اليه يشتمل خبر سلامته الذي هو
اطيب ما يعيه سمعي. ويقبله طبعي. وينشرح له صدري. ويدوم عليه لله سبحانه
شكري. ومطرزا بشكره البالغ للشريف الامير تاج المعالي ادام الله تاييده
على ما زال يفيضه عليه من جميل. ويخصه به من اعظام وتبجيل. ويسديه اليه
من عقايل مواهبه. ويشرفه به من جلايل مراتبه. جريا على كريم اعراقه
وشريف اخلاقه في صلة اسباب الرحم. وعمارة ابواب الكرم. وتشييد
مباني المجد والعلاء. ووضع صنايعه مواضع النماء والزكاء. وموشحا بوصف
ما امتدت على اهل تلك المنازل الكريمة. والمشاهد العظيمة. والبقاع
المطهرة. والاصقاع المقدسة الموقرة. من ظلال عدله. وشملهم من
افضاله وفضله. الى ما ذكره من فضائله التي تتضاءل في ضمنها وضمانها
فضايل الايام. وتسجد لها او لجلالها جباه الانام. وشرح من محاسنه
التي يتسع المقال بذكرها. ويتفسح المجال في نشرها. فقراته الى اخره وعندي
من اولياء الدولة طايفة تعالت بجماعة من اولى بان يرحمه الله وحرم رسوله
ومهبط وحيه وتنزيله. من هو بضعة من النبوة. ودوحة المجد والمروة.
ومعجون من طيب الامامة والرياسة. وموسوم بسمة الزعامة والسياسة.
وصارت جوارحنا كلها السنة ناطقة. بتبتهل الى الله في استدامة عمره
واقامة ذكره واستقامة امره. واذا عدل سيدي الشريف العالي ادام الله تمكينه
عن طريق الجفاء الذي لا يليق بعدله وفضله. ولا يستحسن من بره ووصله
وذكرني في منازل الرحمة التي جوادي اليها سوابق. وان عاقتني دونها العوائق

وافضال

واعضائي نحوها نوازع وان عدتني عنها العوادي والقواطع وكانبني بهاته واوطاره
ويشرفني بارتياح لمن طيبات اخباره فلدني منه وكتبني منه

الى الامير ابى القاسم بن ولي العهد يهنيه بسلامته من علة

الامير اطال الله بقاءه وادام تاييده ممن اني اذا شرفت صحيفتي بذكر فضائله
انشرها واذا كثرت جديد في قولي وصف فضائله ومكارمه اكسرها ولو اعددت
فضائل الايام فعليه بتعدد ما اثنى واذا انتقدت سادة الانام فيهم اكلا افتح
وعليه انثني واذا تصفحت عين اهل هذا الزمان وجدته في المآثر ادنهم عمادا
واطولهم نجادا واورامهم زنادا وامتنهم عمادا واخصبهم مرادا واكرمهم حسادا
واسبقهم جوادا واصدقهم ميعادا وكيف لا يكون بهذه الصورة وهو من
الشرف على شرف لا يجد الوهم سبيلا فيحد رتبه فضله من ذروته ومن النسب
على مرقب لا ينال الفكر مطارا يعقوبه فضله من نجوته ومن كرم الاخلاق
في ملابس لا يقدر الدهر على اخلاق جدتها ومن طيب الاعراق في مغارس لا
يستطيع الزمان ابلاد بردتها ومن غرائب الاداب في مراتب لا تطمع الحوادث في
افنا مدتها فهناه الله بهذه المناقب التي لم تزل انوارها تغيب في البلاد
وتوقد ولم يسمع بشكلها من تصرف في العلوم وصنف ولا زالت
طلائع الاقبال عليه مقبلة وبدائع الجلال لديه متصلة ومحاسن الايام
عليه مشتملة واحكام الزمان لامره ممتثلة ثم ما تاخرت عن حضرة الامير
زاد الله في جلاله بتهنئته الا لتاخري بسبب سقوطي عن الدابة في اليوم الثاني من
العيد وانتهائي بوهن في الركبة منعني عن الركوب لتهنئة السادة وقطعني
عما كنت الفته من جميع العادة حتى لم انتهض بفرض الصلاة الا قاعدا ولم تمكني
الحركة الا ماشيا او مائدا وقد زال بحمد الله وجميل صنعه من الوهن اكثره ولم
يبق من الضعف الا ايسره وساركب بعون الله وحسن توفيقه واستسعد
بطلعته المشرقة ببلوغ المرام واجدد عهدا بحضرته الملحوظة بعين الاجلال
والاعظام ولعل ان يسهل الله ذلك فانا اذكره ما كان وعدني به من
رسائل اخوان الصفا ومواعيده مقرونة بالانجاز والوفا وقد سمت
عجايبا ايامنا فاقتنعت وان لم تكن جهامنا والآن فلا انا فتتر في تحديثه
ولا ابرم حضرته بالعتاب بل اعيد السؤال فيما سبق به جميل وعده ليجريني
فيه على كريم عهده فان تفضل باضفى فضل ظاهر وشرف باهر وموضع

وشكري لديه موصول • وان تعقد حلاة العقد مقبول • وذكره مستطاب وظهير
والله حسبنا ونعم الوكيل رقعة الى من كان يوهل الوزارة بالشام يعاتبه
وهو ابن القشوري لا يحسن اطال الله بقا سيدي بالعاقل ان يطلب
غاية غيره له وقاعة نعيم عليه ممتنعة • او يستمد مودة سواه ومواد مودته عنه
منقطعة • فيكون كالمطفف الذي اذا اكتال على الناس استوفى حقوقهم في التجارة
واذا كالهم او وزنهم ابتلي بالخسارة • وسيدي ادام الله عزه يطالبني دايما
بان اصفي له مشارع الود • ويعاتبني اذا انكشف قوة من موالاة العقد • ويجب
ان تضعف في موالاة السرائر • وتخلص في مصافاة الضماير • ثم اذا طولب
بهذه الشرايط اكبر وانكر • ونفي وزجر • فاذا اقتصر في الجواب • واخذ
بمجانبة مذاهب التكبر والاعجاب • وعاتبته على ان لا يستوفي في المناجزة بحجته
ولا يارف بالبر وينبني نفسه • وينصف كاثار الانصاف • ويسعف كاثر
الاسعاف • ولا يقطع لي في قيامه اذا دخلت عليه صدره • ولا يرتفع عن
وقوف الغلمان حواليه قدره • ولا يستقل من العلوم ما يستقل بعضه • ولا يجدد
مخاطبته سود الناس لا الترقي عرضه • ولا يستعظم من الادب ما يوسل عن اللفظة
منه بحشمة البلادة والحصر • وان ردعهم عليه حرقة الملالة والضجر • ولا يصادف في
في سلامه وقيامه • ولا يجازف في اختصاصه واهتضامه • دعته سطوة سلطان
الى اجلال اخوانه • وحمد نزعة النفس على ان يجمع الف الف صديق بياس دا
لتشمر دالجة الوزارة • ان يرجم الناس بالحجارة • فلا تجميل كما يجب ان يجمل اهل
الادب والاجلال • ولا احسان كما يحسن الى اهل الفضل والاجمال • ولا
سماحة يفضل بها دون الحجب والنيم • ولا طلاقة بها يحتمل ابواب الصلف
والتوهم • ولا يلم بها من افعال الشغف • ولا خلاص عند السبب يزول عنه
الخيف • فليجب ان يجلس من صدر الوزارة بين مسورتين • ولو لي من امرها
ما يحرز بعضه ذو الرياستين • وتمكن من خدمة الحضرة تمكن البرامكة •
وتنزع عن الاوضار والاوزار تنزه الملائكة • واكتسب من الحلوان
والاموال ما لم يكتسب بعض وزير • ووجد من الامكان وعلو الكان ما ابا وح
الزمان عن مثله قصير • ومحا اثار الاولين والاخرين • وصار في ايامه
رحمة للعالمين • فيكون ماذا بعد هذا • ويجد لجوار • ومن ذا ينفق لجار • والله
ما ابالي من الغريب بالحنق فكيف بالشبور • ولا من الجم بلوعة الارض

فكيف

فكيف باصحاب الثروة . ولا افكر فيمن لا يقدر على ان ينقص اجلي او يزيده .
ولا يستطيع ان يوفر رزقي او يبيده . الناس كلهم عندي شرع سوا . وفي
البشرية اكفا . لا افضل واحدا على الآخر الا بكرم وعقل . ولا استنقص
الا للؤم وجهل . ولا اعظم من تصغره دناءة افعاله . ولا استصغر من
تجله محامد خصاله . ولا ارفع قدر من لا يرفع الى الحق قدما . ولا اخفض من يحيي
من لا يحيي عنها القفا . الارض لولا العدد واحدة . والناس لولا الفعال
امثال . اذا استغنيت عن غيري فانا ملك في الانسانية . واذا اقنعت
بالكفاف من القوت فاغنى البرية . واذا لزمت منزلي فلا رجل في
مخالطة اولي المنازل . واذا انزويت بعضا بلى انقبضت عن ذوي
الرذايل . واذا خلوت بكتبي رايتني ملكا . واذا انست بها لم اخف نجوا ولا
دركا . واذا ارتديت بالتقوى فانا اكرم الناس نفسا . واذا انقطعت
الى الله لم اخش في مجاري بحثا ولا وكسا . غنى النفس لمن يعقل
خير من غنى المال . وفضل الناس في الانفس ليس الفضل في المال .
ومن كانت هذه الجملة اعتقاده . وفي طلب رضى الله اجتهاده . والى
الادب سكونه واستناده . وفي مصالح الدين طلبه وارتياده . وعلى
الله سرا وجهرا اعتماده . وبالقناعة افتخاره واعتداده . فلم يلق نفسه
لمخلوق بالتملق والخضوع . ولا يريق ماء وجهه بالاستماحة والقنوع .
ولا يدنسون العرض والدين وانتما . باحسان باريه وانعام خالقه .
فليقف سيدي الشيخ ادام الله عزه على هذه الجملة . وليعرفني بهذه
الخصلة . ولا يواخذني بما افضت عليه من سجال عتاب يفل العزايم .
ويورث الاحقاد والسخايم . فاني ارجو ان يلين معطفه ولا يشتد .
ويسكن غضبه ولا يحتد . ولا يضيق عليه نطاق احتماله . ولا يجري
الا على المشكور من احواله . ان شاء الله . في ذم اهل الزمان الى الشيخ
لرد هو المعروف بابن عبد الرزاق ولوم ابن بنان الكاتب
ما اسرع يا سيدي اطال الله بقاك . وجعلني من الاسوا فداك . دروقك
النسيان في الانسان . وما اكثر تلون اخواننا في هذا الزمان . وما اعجب
امر اصحابنا الذين نرى اول مودتهم وعشرتهم تشرح الصدور خطرا ونفاسة .
واخرها تنقض الطهارة قذرا ونجاسة . وظاهر محبتهم يصفي النواظر والخواطر .

وباطنا يعمي الابصار والبصائر • بينما ترى الواحد منهم وهو في صغار وذلة
واعسار وقلة • وادبار وعطلة • واستتار وعزلة • قد الف الافلاس
مستترا بطرية • واترف الناس صاربا بابطيه • لا يملك غشاء لبكيه • ولا
يرقع جيبه الا من ذيليه • ولا يواريه شي من لباسه • ولا يؤويه الا بيت اوضع
من راسه • ولا يكلمه صاحب غير اضراسه • ولا ينادمه احد سوى وسواسه
ولا يحل ببلد الا يجدب مرعاه • ولا يلتقي باحد الا يفجع بشكواه • جوادهم
اذا اعتل كسر خبز • ومركبه اذا ركب جلد اعنز • ودراعته شبكة صياد •
وعمامته عصابة فصاد • ومنديله منديله • ومطرحه سراويله • وحرفته خرفته
وسلعته صلعته • ونفقته عنفقته • وصناعته رقاعته • قد قلم الحرمان
بنانه فلا يكاد يدير قلما • وكلم الخذلان لسانه فلا يستطيع كلما • وضرب
البوس خباه عليه وطنب • وتنكب السعادة عن طريقته وتجنبت
منضاراه ان يؤذي الناس برقاع تطبع عن قرانها الطباع • ويخاطبهم
بالفاظ تتبرم من سماعها الاسماع • ويضرب عند المحاضرة امثالا ابرد من
طلعته • وينشد عند المشاعرة اشعارا اكسد من سلعته • ويتوسل

المذاكرة

باغتياب الافاضل عند الاراذل تنوقا وتكسبا • ويتطايب بالنوادر البارده
معهم توددا اليهم وتحببا • ويتخافت بالتذنيب العاتر لديهم والتثقيل اذا
تخافت صار طاعونا مذنبا • وغاية ظرفه ان يتبدى عند مسايرة الروساء
ثلب اهل الزمان • وقلة رغبتهم في الاحسان • ويرشق اعراض الكرام • بسهام
اللوم • ثم يعرض بعد انقاض كلامه • والتناهي في انجاره وابرامه • بالاستز[ادة]
منهم عدولا عن المجاهرة بالسوال • وانفة من التصريح بذكر اختلال الحال •
وترفعا عن المسئلة والابتذال • ويزيم بمتعهم وبارد عبارته • وتكاثرة
وغث اشارته • ان الحياء اخفى • فلا يمكن ان يكشف سره • والاحتشام ألجمه •
فلا يحسن بان يهتك ستره • والعفاف جار عليه فلا يجوز ان يشكو دهره
وهو قد احترف بجديه فصارت نفسه لها معتادة ومعتدة • وحذق فيها
فلا ترى يده ممتدة • فلو نام لراى الفتوح في منامه • ولو انتبه لعد مقام السوال
اجل مكانه ومقامه • فهو في بني ساسان اصل عريق • وفي مشايخ الشالوخ حاذق
رفيق • وفي اصحاب الحوادير ملحي شحاذ • وفي حلبة الاستعطاف مبرز استاذ •
وفي حلبة الكلام مجلي اغفاذ • وفي بني السالب لقدم صدق • وفي الدرمكة

والادبا

والبر ذكره ملا خبز رزق . وعند الشكاية والحكاية حلوة نفق . قد جعل الناس
كلهم أكلة وبجعة . وعرف الرضيع فلا يرفع قصعة حتى يضع قصعة . لو نادى
عنده الف كعاب كعبا . ولا يختار على الطرش والكدش كعبا . شعر

يريك خبا وهو حية جرع . ويبدي منافا وهو في الزهد عقرب

حتى اذا لحته الدنيا بمخلى لحيتها . ونعنبر بدني نعمها . ووضعت له من
خطامها رضعة بسنح . ووهبت له من اقتابها اوفى درج . وكاد جده يتنبه
من رقدته . وهم الزمان بان يلين لعقب تعنيفه . ويوفيه كيله بعد
تطفيفه . ويعيد اليه ضالة رغيفه . وابتدأت الايام تنعشه من
اضاقة وضيق . وتنتاشه من فقر مرير . وتخلصه من خشونة العيش وشظفه
وتخصه من سوء الكيل وحشفه . وتخرجه من ظلمة الادبار وضيقه
وتجرده من برقع انشطت الصبيان في ربقه . واحتث نفسه بسعادة
نسيم الطافه . وتمش بيده اطرافه . وتنسم روايح ادنى اقبال وقبول
وراى له من الفلك ادنى قبول . واستدب لان ينشي كتابا . او يستوفي
حسابا . او تلتقي بتيسير شغل او تتشرف في حقير عمل . واضحى وبين
يديه نحل غاشية . وخلفه ركب حاشية . واحتجب عن العوام حتى يتقصد
بخدمته وزيارته . وصار يخاطب بسيدي مرة وبالشيخ تارة . واستبدل
بالقميص المرقوع الدراريع المطرزة . وبالحصير المقطوع الصدور والمزوزة
واستغنى عن الماكل الدنية غرايب الالوان . ومن المشارب الدنية عرايس
الدنان . واضحى في مسند وهيبة بالوانه . وراى بمخصر في نومه لتقرعها
فكثر علة الكبر . كانه ماسمع باسم الفقر . وشغلته بوارق الحطام التي حواها
واقتناها . حتى طوى صحايف المصايب التي عاناها وعاناها . واعجبته
هلجة بغلته . واطربته محاسن دولته . فلم يذكر ايام رحلته . وامتدا غفلته
وابطره حديث نعمته . وقدم خافيته حتى نسي اوقات املاقه وفاقته . واد
دخيل ثروته واصل خصاصته . حتى عرض عن اصدقائه وخاصته . فما
غلت قدره حتى علا قدره . ولم يبل منه دسته وصدره . حتى انفسح
للجفاء قلبه وصدره . فصار يسابق الفضلاء في القيام ويبرم
برد جواب السلام . ويتقزز من مخالطة العوام . ويانف من اشباع
الكلام . كان عصاي لاقى عطاياها . وكوفي راقي نايبتا . اومولي بسخر

وقضما . واقرن بين القبضتين من الهليون . واخلط بين الجبن
والزيتون . وارتب كل لقمة . واحل بالالاحظ كل نقمة . واشتهي بطاوة
البقل . وارزق السنبوسج في الخل . ولا اقول بالطعام الغليظ الثقيل .
ولا احرص الاعلى كل الحريسة والطفيشل . وازلف جايعا من مجلسي
واشفي من اللئيم قلبي . واطيب وقت يشتهي الطعام ويستلذ الاكل .
واشتهيه . وقت اري الضعيف فيه وهو يجد شعر انفه . وينظر الى
يوخ طرفه . فيتمقع لونه . ويتبرد وجهه . وينزوي ما بين عينيه
وتقوم القيمة عليه . ويكاد من غيظه تنفطر مرارته . وتفضحه
نذالته وحقارته . ويكانزني وهو في الموت وجدا وكدا . ويطرق
وهو في النزع درد او حردا . فكلما ازداد حرده ازداد طربا . وكلما اري
في وجهه قطوبا . اسوء من كلي خطوبا . لا جرم اني اذا احضرت
بابه وجدته نائما . الا اذا كنت صائما . والفيته محتجبا . الا اذا كنت
محتميا . فمن يدعي اني ببابه داره . فضلا عن ان امر بجواره . ومن
يرغب في مواكلتي ومنادمتي . ومن ينبسط لمواصلتي ومساقمتي
ومن يقربني وكلما ادانا نفش خاتمي . ومن يصحبني واشعب عبدي
وخادمي . ومن تطرب هذه الخصلة . وتحجبه هذه الجملة . ومن يجاسر
على احضاري طعامه . ولا يعض ابهامه . ومن يسعى في اهلاك نفسه
المصون . ويخاطر بدم خبزه المخزون . ومن يصبر على هذه العظايم
ويحتمل اعباء هذه المقادم . وهل يقدر الخفاش ان ينظر الى عين
الشمس . او يستطيع الجعل ان يستنشق الورد والورس . وهل يصبو في
الى دعوة من ترك بالرقي دابه . واصل قصده وهديه . وخلف
برقة بعد رشده . وغضب على الطعام الذي عنده . لا ابتلانا
الله بمصاحبة اللئام ومعاشرة الانعام . ولا اسلبنا حلاوة الانعام .
ولا اذاقنا حرارة الاعدام . هذه اداواهم تركت مزحة خفيفة على
الفواد . ثقيلة على الاكباد . يغوص على معناها العاقل . ولا يفهم
فحواها الجاهل

شعر

ولولا ارتباكي في سبايك محنتي . لتلت وقرت العضا ايما قشر
ولكن لا مرما تزاني ساكتا . وتحت ظلوعي ما يزيد على الجمر

أراذل عبيده • أو ملك ينظر شزراً إلى جنوده • لا تراه أبداً إلا ثاني
عطفه • شامخاً بأنفه • مصعّراً لخدّه • بالغاً في البطر أقصى حدّه •
ولا يراك إلا بطرف الجحود • ولا ينشدك إلا ليس مدح الوفاء بالمحمود •
ولا يخاطبك إلا آنفاً من الخطاب • ولا يعاتبك إلا مستنكفاً من
من العتاب • ولا يلقاك إلا وهو متعجب من أن الزمان كيف تقاعد
يوماً بحالته • مع كمال آلته • وكيف الدهر اجترأ على غض قناته • مع وفور
أداته • ويحدّث نفسه بأن الدنيا أخسّ من أن يشاركه في تدبيرها
أحد • وأن العالم أقل من أن تملكه غير يده يد • فلا يرضى بأن يكون
قارون وكيله • ولا فريدون أكيله • وأنوشروان سميره • والبختكان
وزيره • والمريخ أحد حجّابه • وعطارد بعض كتّابه • وأزدشير حاجب
بابه • والإسكندر سائس دوابه • وذو الأكتاف قائد كلابه • فأما
ملوك الإسلام فلا يرضاهم لخدمته • وكأن دون الفلك ليستقصر بعلو
همته • ومع هذا التيه والصلف • والدماغ المنتفخ • لو وازنته بالهباء
لم تتم له وزناً • ولو خالطته لم ترتب منه قذراً ونتناً • ولو جالسته لأوسعته
سبّاً ولعناً • ولو فتشته لوجدت حشو ثيابه خرية • ولو تصفحت عنه
لما رأيت خلف عباداني قرية • ولو مسّ ثوبك ثيابه لتحرجت من ثيابك
بل لانسلخت من إهابك • ولو عاشرته لانكشف لك من مخازيه ما لم
يكن في حسابك • فجماعة الأغنام • بل الأنعام • ولا رجاء بهذه الطائفة •
الرابعة • كأن الله لم يخلقهم إلا فتنة للعقول • ولم يرزقهم إلا حجة على ذوي العقول • وكأن
الدنيا ما أنشأتهم إلا ليتطاولوا في التصلّح والتسآ على الرؤساء • وكأن الأيام لم
تنشئهم من النشآ • إلا ليغضوا من الأصدقاء • وكأنهم حسبوا أن لا يُعدّوا من الظرفاء •
إلا بعد الاعتداء على الضعفاء • وكأن الدهر لم يستخدمهم من بين الأجلاس • إلا
ليستخفوا بالناس • وكأنهم ما تعرضوا بصنوف الحاجات • إلا ليحوجوا ذوي الحاجات •
وكأنهم لم يتقدموا على جميع الأنام • إلا ليتركوا الكلام • وكأنهم لم يتجلوا بمفاخر الأولين
ولم يتصدروا في المجالس • إلا ليكونوا أخسّ الشيوخ النفائس وثياب الحجر اليابس •
وكأنهم لم يتصدروا في الأعمال • إلا ليكذبوا في الأقوال • وكأنهم لم يبلوا بعد العزل •
إلا ليعزلوا أولي الفضل • وكأنهم لم يجدوا بعد العدم • إلا ليجدوا على ذوي
الكرم • فأخسّ الجنة إذا نزلت بغنائهم • وجدت في فنائهم • وما أجهل

الجهل

النعمة اذا حلت بواديهم . وتجردت لانتياشهم واقتنائهم . وما اقبح النعمة
اذا ألقت لديهم عصاها . واستقرت عندهم نواها . وما اعظم ايادي
الفلك عند الاحرار اذا دار عليهم بالادبار والاد بار . ورماهم بنوازع النحس
النحس والادبار . وما اولانا بان نتضرع الى الله بان لا يؤمنهم من خوف
ولا يطعمهم من جوع . ولا يقلهم من وقوع . ولا يلهمهم من هجوع . ولا يريهم الخرسانهم
صباحا . ويعبد فنادهم صلاحا . ولا يرزقهم الا بقدر ما يسد رمقا . ويسكن
قلقا ويبل ريقا . ولا يترك صديقا . وان نقص قطاهم عن بلوغ مناهم
ويثني اجالهم قبل ان يدركوا آمالهم . ولا يخليهم في الشتاء من رعدة
تخلع اكتافهم . وتقطع آنافهم . وفي الصيف تحرق ابشارهم . وتبيد اعمارهم .
وفي السفر من ركوب يحوجهم الى التمني بين البحر والكساء . وفي الحضر من مس
يلحيهم الاستخفاف في الشوارع والسكك . حتى ترى نهارهم بهيما . ووجوههم
عبيسا . وسقيمهم ذميما . وكفتهم خاسرة . وجدودهم عاثرة . وخدودهم
ضارعة . وقلوبهم جازعة . واكبادهم جائعة . ومنازلهم نازلة . واحوالهم
حائلة . وسعودهم آفلة . وشموسهم كاسفة . ونفوسهم خائفة . ونحوسهم
مترادفة . وايامهم سود مكدرة . ووجوههم عليها غبرة ترهقها قترة . اولئك
هم الكفرة الفجرة .

في الشفاعة العميد ابو الحسن بن صالح ايام وزارته

انا اتشفع الى الشيخ العميد ادام الله تمهيده بطاهر اصله . وظاهر
فضله . واسال الله ان يرح في هذه الرقعة الركيكة ساعة فارغة . ويثلج برد
الفاظها ومعانيها خاطره . ويعيذها من الضاغطات التي تغضب النفس والنوا
التي تجلب الاذى . خدمت هذه الدولة السعيدة . شيد الله اركانها .
وابد بنيانها . فكنت فيها من الصادقين . وتصرفت في مهماتها فاحرزت
قصب السابقين . ورتبت فيما كان منوطا بي من الامر ما يستضاء الى الان
بنجومه ونواره . ويهتدى بمناره ومناره . وكانت البشارات في ايام خدمتي
متواترة متقاطرة . والمسرات متوازرة ومتناصرة . والممالك مستقيمة ساكنة .
والمسالك منتظمة بالناس آمنة . وامير المؤمنين بعين الرضا الي ناظرا . ولطرائقي
حامدا وشاكرا . والشيخ عميد الدولة بالحكمة مشاهد . وعلى ما اذعيه شاهد
فكنت اؤمل ان اجتني ثمار ما زرعته . وافترع ابكار ما اصلته وفرعته . وان
انال حظا وحظوة حسب ما اقتضاه اتخادي في الطاعة واعتقادي . وواجب

جدي في حفظ نظام الخدمة واجتهادي . فلم اسمع الا باجتماع قبض كل
من حسادي . متبايعين بيعة المودة المحرقة . لابيعة المحبة والنبوة فحرفت
احاديث ملفقة . واختلقت اساطير مخفقة . ودعاها الحسد الى ايراد حكايات
بالحضرة تودي الى سعايات وتقديم وشايات تنبي من حسد عظيم ذا ازلت .
وكانت في اكباد اوليك العصابة من شاهد في حجرات لا يطفي لهبها غير بعدي
وفي قلوبهم سكرات لا يشف كربها دون الانفراد بعدي . وانا بسلامة صدري
غافل عما يعملون . ساه عما يفعلون . الى ان بلغوا فيما اوردوه . وتم على مقترحهم
ما اكادوه . وقد علم الله وكفى به عليما انهم قد تابطوا في شرا . واحتقبوا وزرا وحكوا
ما لم يحط به خبرا . وتعصبوا ما لم استطع معه صبرا . فامكنت من مكافاتهم قولا
وفعلا . وترفعت عن مجازاتهم عتابا وعذلا . وفوضت امرهم الى الله ليأخذهم
اخذ عزيز مقتدر . ويحتم منهم انتقام جبار منتصر . وخلت في نفسي انفاردت
الحضرة الجيدة يوما ما بمحاسن ماثرة . ومشاهدي ناضرة . واخبار مشهورة
واثاري مشكورة . فاعتزلتهم شهورا ودهورا وسنين عديدة تدور . وربما هم قربا
وبعدا تثور . وعتادهم يراد جهرا يندب . وسحابهم برا وبحرا تصوب وتنسب .
واكبر اغراضهم بعد بعدي اسقاط رزقي الذي كان قديما لي في الراتب . وافساد
جاهي الذي رفعه امير المومنين الى اعلا المراتب . فانهيت حالي الى الموقف الشريف
وذكرت في رقعة كتبتها اغراض الطايفة التي تعاقدت على اموري بالحضرة
اشهر من سنة البدر . وعند الناس اوضح من وضح الفجر . وخرج الامر العالي وقت
وصول رقعتي اليها الى الشيخ نجيب الدولة باطلاق جاري الذي كان يرسم الراتب
قديما في ديوانه . واجرا ذلك على ما الفوه قديما وحديثا من انعام الموقف
واحسانه . فقبلت الارض تقبيلا . وعفرت وجهي في التراب طويلا . وشكرت
الله ما يسره وسهل . واجلات قدر النعمة بما تطول به علي وتفضل .
وقطنا استرخاص شيء وذلة . وخدمة زيد والركوب الى جرفه .
وابتدا الشيخ نجيب الدولة فقدم عذرا ذكره في اسباب التقصير . ودفع لي
منه اليسير بعد الكثير . فانا اطلب منه القدر النزر الذي يسد خلة . ويبقي
غلة . واجم نفسي من الاقتضاء . وابيت على احر من الرمضاء . واستنجح الالحاف
في الاستجداء . وان كنت على احذر من شوك القتاد . واصون ماء وجهي من ان
يريقه فرط التملق والتذلل . واصبر على صواعق بخيمني مما قطرة على ابقاء التجمل .

الى ان انبت مدة الشيب، وضاق وسع الصدر، ولم يبق لي في الكنانة
نبل، ولا في الخزانة فضل، واجلت الفكرة من تذكرة رفعها الى الموقف الاجل
ادام الله في جلالته مشتملة على مال الديوان، وما يلحقه من الخسران
والنقصان، وذكر الجهات التي لا يستحسن قطعها ولا يستجيز منعها، ورأت
الحضرة الاقتصار على جملة علم عليها، او اعاد اليها، وكنت بمن وثقة ارجاء به
فكتم السر رعاية لشروط المروءة، وحياء عن مواجهتي بما لا يليق بالفتوح
ولو كشف لي اولا عن صورة الحال لكان الصدق انجز، والمنع اوجز، ولي في الديوان
جاري منذ سنين سوى بقايا بقيت من سنين متقدمة، ووالله الذي لا
معبود سواه، ولا ارجو رازقا الا اياه، اني لو دخلت بلاد الروم وتوسلت
بالادب الذي لا تنفق منه بضاعتي، ولا تخفى فيه صناعتي، ثم رأى خدمة
حضرته قاعدا، وعاشرت بطارقته واساقفته شهرا واحدا، لما استحسنوا قطع رزقي
ولا اضاعة حقي، ولرعوا مقامي فيما بين ظهرانيهم وآمالي عاطلة، واحوالي
عن سمت النظام زائلة، فكيف تستجيز هذه الحضرة المقدسة مع جلالة
قدرها، وعظم امرها، وهي حضرة الامامة، ودار الخلافة التي يهاجر اليها من كل
شعب وواد، ويتصرف في نعيمها كل حاضر وباد، ويرجو بركاتها كل رائح وغاد
قطع رزقي وقد بذلت في خدمتها كنه الاستطاعة، ولم يظهر مني فيها غير
العبودية والطاعة، وبيني وبين الشيخ عميد الدولة من العشرة السالفة و
الانفة والمودة التالدة والطارفة، ما ان حافظ على بعضها اصدق المخايل في
كرمه، وحقق ينظرون خوله وخدمه، وانا اقسم عليه بجاه مولانا ادي لحياة
التي نفوسنا في استبقائها متفقة، وارواحنا بدوامها متعلقة، وبنعمه عليه
التي لا يحمل عليه كفرانها، ولا يسوغ لعقله نسيانها، ولا يجوز ان يضيعها
ولا يبذلها، ويسترها، ولا يظهرها، ان يتلطف في انهاء صورة حالي
بالموقف الشريف مني او عند خلوة، واستيضاح ان رأى باسماعها
شروح، فان جرت قط مني زلة، بمدح الدولة، او ظهرت مني خيانة
توجب قطع رزقي من بين الجملة، فالسيف ولا الاعتذار، والقتل ولا
الاستغفار، وان صح بالحضرة ان طائفة من حساد السفل تحالفوا
على كذب خرقوه، وبهتان صنعوه، تداركني بها قبل ان اذوب هزالا
وخصني بكارها قبل ان افتضح افتقارا واختلالا، اذا تحققت ان ليس

الى متملكهم

ربع ولا ضياع اعول عليهما ولا شغل ولا عقار ارجع اليها وملاك امري وقوامه ومسالكه ونظامه هذا الجاري فان بقي علي شي ثبت على ملازمة الحضرة والخدمة قدمي وان عدمته رايتني صلدكي وعدمي وما انا لهان ارضى بسامع الحق واحوج الى الاعتذار من التهم والظنون وامير المؤمنين تلك حظي بعين احسانه وانعامه والشيخ عبد الدولة متكفل بمصالحي فتطوله وانعامه ومن عند الله التوفيق والمعونة وهو حسبي ونعم الوكيل **رسالة في الجحود الى القائد معروف بالقيادة على يد محمد بن عبد الرزاق** انهي لاوز الغضب ولا من الضياعة ومعتمدي من بين الجماعة ادام الله امتاعي ببقائه وقرب ايامي باصواته واكل انسي بتلك مدته وتبعه ووفر حظي من بضاعته وبليغه استاذ غير مدانع في اصلاح ذات البين وحفظ نظام المتحابين متقدم بلا منازع في تقريب المتباعدين والجمع بين المتضادين حاذق في حسم غائلة المتنازعين وعقد السلم بين المتشاجرين قدوة في صنعته اوحد في شرعته دافع في صدر المخاوف فاتل في حبل الاجتماع والايتلاف ذكي القلب قليل العجب حسن الاستعطاف جيد الاوصاف بليغ الرسالة لطيف الاستمالة يقود بعذب كلامه ما لا يقوده الليل بظلامه ويجري بتوقده ما لا يقدر عليه الشيطان بتمرده وتدب لطائف مكايده في النبات اسرع من دبيب الخمر وتوثر بدايع فوايده في القضبان ابلغ من السحر ويحل منه في العقد ما يخفى على اعين الرصد ويحل من ذوي الحاجات محل الروح من الجسد وكلامه من الشهد المقدور وخطابه احلى من العسل المنثور وحديثه الذ من الغناء المطرب ومزاجه اعذب من الشراب الطيب يلين الاوح عسى ما يكون راسا ويسكن اليه العلق اصعب ما تراه شماسا ويعطف عليه الصبي اشد ما يكون جامحا ويتبلد لديه العاني اشد ما يكون نطاحا حتى يعد بحسن تاتيه قلادته ويغلب بلطف تاتيه مناعته ويمكن يد حاله خلقه من مقادة ويقدر بسكون ورفق على قصاده طرفي من رفاقه شخص قد خضبه الحياء وجنتيه ومثل الظرف يجد بين يديه ووقف ساعة يلتفت كغزال افلت من شبكة صياد وتلوى مستوفزا منثنيا كالغصن المياد كانه جاء من الغيب على حذر وزار من المخافة على خطر الى ان سكنت روعته تكلف مشقته وامنت روعه عقب اظهار عطف وشفقة الى ان قرب المدار

وطالما

وطاب ونام * وبات صريع راح * ووقيذ ارطال واقداح * واستحث جريحا لم يكن بمستباح * وظفرت بالاماني كلها * ودخلت المدينة على حين غفلة من اهلها فوجدت الحضرة محروسة * وفتحت قلعة اعيت على خطابها وملكتها بمهند * والعبت النايم كما قيل بكر بجانبها ولما تفتق * لا كما قال زيد بن وهب الانصاري * مثل الذي يحبها امها عذرا بكر او بي في التاريخ * بل كما قال حبيب * بكر فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب * لا كما قال سعيد الخطيب * مضى وطيفا بريح الاسنان لم تخرم الراس من لحم ومن عصب * بل كما قال الحريري * ولم ورما هو للرماح دريئة سال وما هو في الكفاح طعين * لا كما قال ابن الحكيم * تلذذ بما لكني فنا ما فوقها يرى قايم من دونها ما وراها * بل كما قال الهيثم بن الاسود * منيع الجوانب صعب المرام وشق العماد مصون الحرم * لا كما قال منصور بن اسماعيل الضرير الحصري *

قلبت في جنح الظلام قميصه * فوجدت خلف قميصه مقدودا *

بل كما قال عمرو بن مسعدة الكاتب *

عذرا ما خلفت عذرا في الحشا * يوما ولا مس التراب حجابها *

لا كما قال ابو علي التنوخي القاضي *

فانسع الناس في خلافتهم * نصرت هند في فتور زمان *

بل كما قال المعوج الرقي *

وشاهد صدق لم يدنس بريبة * ولا ظن بالفحشاء مذ كان امردا *

لا كما قال غيره *

مضى يوسف عنا بتسعين درهما * وعاد وذلك المال في كف يوسف *

وبتنا نقتنا فلو ابصر شنا * لا زال الدهر بيننا العجبا *

وبتنا جميعا آمنين كانتنا * من الفهم مفترضان شدا الى صدر *

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الراح بيننا بيننا لم تسرب *

بتنا وانفاس الوصال تضمنا * كف الرياض نسيم انفاس الصبا *

وبتنا من الدهر في غفلة * ضجيعين ليس لنا ثالث *

فليس يؤرقنا حافظ * وليس يفرقنا حادث *

بتنا كغصنين في غصن وما جنا * شم ورشف وتقبيل وتقليب *

وبتنا على رغم الحسود وبيننا * حديث كطيب المسك شيب به الخمر *

هربنا من الدهر في خفية ❊ بغير رقيب ولا حافظ
فلسنا نبالي بوعظ الضحى ❊ الا في حوانيك من واعظ

بتنا وبلبنا المني من غير فاحشة ❊ فكن خبيرا ولا تسأل عن الخبر
بت ليلي بنشاط وطرب ❊ نشرب القهوة من بين شنب
ليتنا كنا على حالتنا ❊ ومتى يسلم حر من نكب

انا في قرة عين ❊ من حبيب ووصال ❊ بت ليلي لا ابالي ❊ وحبيبي قد دنا لي
بتنا ضجيعين من كاس ومن قدح ❊ حتى الصباح بلا خوف ولا فزع
بتنا وبات هجوم الناس نازحة ❊ وقد قضينا البانات والوطرا
بات يدنيني الى لثته ❊ ويداوي من جراحي ما جرح
دارت الاقداح فيما بيننا ❊ ثم غنى لي واكفاه القدح

ولو كان البدر رقيبنا لما قدر من فرط العنا ان يطلع ❊ ولو بات النجم يحسبنا لما اطاق من شدة النظر الى يجمع ❊ ولو فرغ علينا الزيبق لما وجد متدحرجا ❊ ولو انعصر الهوا بيننا لما صادف مخرجا ❊ فما راعنا الا الصباح وقد دب في جسم الظلام وبدا الفجر وقد بدا كنفس العليل وضوحه ❊ والديك ينشدنا هجو النيام ❊ والشمال وقد فاح نسيمها كشمايل الكرام ❊ ورأينا النديم كابيا على الكوب لا يفرق بين صباحه من عشائه ❊ والمغني ظما فاس للشروب لا ينجح صوته بغنائه ❊ وغرّد المؤذن فلم يدري اقال حي على الراح ❊ او حي على الفلاح ❊ وام بالتكبير او بالرطل الكبير ❊ وعلت الثريا مشرفة على شرف الدار كانها رقيب ❊ والقمر قرب من الغروب وقد حان منه مغيب ❊ فقمنا وما حسبنا ما بين العشاء والفجر الا لحظة باصر ❊ ولا قربنا بين المسا والصباح الا نقرة طاير

كذلك ايام الوصال قصيرة ❊ واقصرها الصبح عند التفرق
هل الى عيشي تقضى ❊ ابد الدهر سبيل
لي على دهري التصابي ❊ والهوى حزن طويل
هل بعد هذا في التصابي مطمع ❊ ام هل لايام مضت من مرجع

الى بعض الامرا يحرضه وهو مصر

انما الامير قد بقي للسلام على الناس بطرف الانف ❊ وشطر الكف ❊ فريضة او سنة ❊ ام شح بالكلام وضنة ❊ ام تخاف الموت ❊ ان رفعت الصوت ❊ ام تخشى ان يراق دمك ❊ ان انفتح فمك ❊ ام تحسب ان لسانك يحفى ان كلمت

أحدّ حرفًا • او ما تقوّدتَ الطافا واحسانا • أوَ نسيتَ اذ انوتَ فالك ان تبدد
اسنانك التي ارجو من الله لن يريها بالفؤاد ع • او يغشو بجزك الذي هو
انتن من نبش الضراح • ليس من جنبته بجنة الاسلام فقد احببتم • ولان
ترفقَ عن السلام فقد تونيتم • انت اخشن من جبة القرد • واخرهنة من اليهود •
فلم تحتمل على حبونك الزايد • وتصبر على بتطرمات البلاد • ولم تقبض الايدي
على لحيتك التي كانها النبات الجرود في الارض الجرز • ولم ترغب في صحبتك
التي هي سواد من غوز اقبل يا هذا قولي • وتقدم لحيتك بالها بولي • ثم
احلقها لك مجانا في ساعة • او انتفها بجد في ولطف صناعة • فما رايتُ لحية
اولى ان يحلق من لحيتك لقذارتها وعفارتها • ولا شاهدت عنفقة احرى
بان تنتف من عنفقتك لعدم نظافتها وقلة طهارتها • فان شئت النتف
فالدبق حاضر واليد حاذقة • وان رغبت في الحلق فالبول واوو الموسى حالقة
فاختر ايهما شئت والسلام •

عوز من سواد لوام

السعيد من سعد في ايامه • وحظي بزنى اصطناعه واستخدامه • والشقي
من فقد عنايته واهتمامه • وحرم جميل رعايته وجزيل انعامه • فبالبت شعري من ابي
الفريقين انا امن السعداء فاجر ذيلي فوق المجرة اشتهارا وافتخارا • واجوز منكب
الجوزاء استظهارا واقتدارا • واستخدم الاقبال لدرك اثاري • واتعرف على حكم الباري
واهزم الحرمان فيدرك منه ثاري • وامن نكوني وعثاري • ام من الاشقياء •
فادرع لباس الباس • واتلفع بالافلاس • وانقطع عن الناس والف رمسي جياد •
وابكي عزي الذي ذهب جفاء • واعمل بقول لبيد •

• طلبا فالنا سوى فاني • رابع العيس والدجى والبيد •

• واتسلى بقول ابي سعيد •

• ارى ماء وبي عطش شديد • ولكن لا سبيل الى الورود •

• واعيد قول محمد بن سعيد •

• كم تنادي بها بينكم وتبالي • كل يوم تبلغ وحظي بليد •

وحاشى بدان اشقى زمان من سعد الاشقياء في تصايب تدبيره وترتيب
اخلاقه • وسلوا من نكد العيش واخفاقه • وشاهدوا له بحة تزين المشاهد
وتناغي الزاهد • وتطرد الاوابد والسوابد • وتولف العقول الشوارد • ورادوا
سياسته تجدد الملك صقالا • وتزيده كل يوم استقامة واعتدالا • وصدق عزمه

يتقد حصافة خاطر ذكي وصحة روية يجليها رأي جلي ووفور كفاية اكتسب الملك
بها اعجابا ونظر اشافيا جعل الله بينه وبين الغير حجابا وحاشا الوزير الاجل
ادام الله دولته وحرسها وحدّ كاد وفضلا والسيد فرعا واصلا ان لا يميز في
الكافة بصحيح انتقاده ولا يبرز في شيء في حلوق اضداده ولا ينجز ما علق
به رجاي من صادق ميعاده ولا يتعشى من عثرة تركتني ضايعا ضا رعا
ولا ينتاشني من حفرة غادرتني حاسرا خاسرا ولا ينقذني من عيش قد تهلهلت
ملابسه وذبلت مغارسه واتصلت منا حسه وتعطلت مجالسه ولا
ولا يرتضيني لخدمة اجري في ميدانها فأباري كرما وعتقا وبراعة وسبقا وبلاغة
ونطقا وصناعة وحذقا لا سيما في هذا الوقت الذي القى الزمان اليه
مقاليده وجعل الاحرار صنايعه وعبيده وساعدته السعادة فمكنته من
نواصي مجالسه واقبل عليه الاقبال فابلا لاوامره ونواهيه والذي بقي الكرم
من الذي لقي والذي ارق الغيب حذره اشهر مما فوق الاعلام منشور
ولطالما ونيت نفسي والايام فترة والناس في اضطراب الامور في عمه وحيرة
واعتزلت متوقراً الا ضدم الا الطاهر النسب الطاهر الادب اخفر لجلدة
من جيب العرب ورضيت بالقناعة كما رضي غيري بالاتمة ونفضنا الكف
على غاية حتى تفضل الله على الخلق فكشف تلك الغماية واظهر باهل الفضل اللفا
ونسخ تلك الاية وسيح تلك الولاية ثم هنّانا بها الا فجلت تلك الغوات وتولت
وتوالت هذه المسرّات وكملت واصبح مولاي الوزير الاجل ادام الله علوه متصدرا
بكفاية والكرم متطولا بلا استطالة متفضلا بلا اطالة مسترسلا عن كلالة وها انا
الى اليوم اذهب مع الظن الجميل واتقلب بالامل العليل وامني نفسي بالاماني
ادجوان تكون النفس بها مبتهجة واعدها بموعد اقل ان تحل بها سعيه
والله يعلم اني لا ادري ما الغاية الى هذا الوقت حتى ان بضاعتي كل يوم تزداد
كسادا ونجمي يكبو جوادها ويصلد زنادها وما وجد الغاية وذكائي يخمد ولا افضل
وطبعي يطبع ولا يتصقل وما الفايدة لفضيلة لا يطلع الابصار نورها ولا تطلع
على الامصار بدورها والمتنى صبرجو على عيش مر قد استمرت الايام على عطلته
وصناعته فلا يتعقب لاختباره واصطناعه وتردد صديق في ضنك
وضيق قد جدّ الزمان في نحت اثلته واستئصاله ولا يبعث لاختباره وا سعده
دوامه اني لا عجب من ارباب محلت في تحصيلها الشاق وكانت سبب الحرمان

وعلوم جبت في تحصيلها الآفاق فرغبني في النسيان • ومن تجارة طلبت
الربح منها فأدتني الى الخسران • ومن صناعة اردت العز بها فقادتني الى
الهوان والامتهان • ومولاي الوزير ادام الله ايامه يعلم ان من عادتي ان
اعف اذ الحف في السؤال • واكف اذا ازدحمت النعال • ولا اشكو فحالي
وفي النفوس منزع • ولا احب المقال وفي السكوت مقنع • وقد ولي صغر
ومنزلي صغر • ووجوه مالي صفر • واقبل الربيع وربعي قفر • واعري مما
اعانيه واعاينه • والاقتار قد الحفني وجفني • والاعسار قد اخرسني
وابكمني • هذا مع ما يشهد لي ادام الله سعادته • وقبل شهادته اني احد
الناس قديما وحديثا في محبته تهالكا وتحرقا • واشدهم بعروته تمسكا
وتعلقا • وابعدهم في موالاته غلوا وتوغلا • واكثرهم بخدمته تشرفا وتجملا
واشهرهم بزمانه افتخارا واعتدادا • واعظمهم بمكانه اعتضادا واستعدادا •
واسبقهم لآثاره ومآثره نشرا واذاعة • وامتثالا لاوامره سمعا وطاعة • فكأني
به وهو يقول • لا مرحبا بالعبدي فلقد قال فأطال • وتكلم فأبرم • وهذى
فآذى • وهدر فأضجر • فالى متى يغشينا ببارد كلامه • ويؤذينا بأضغاث
احلامه • ويجدن باشال الجبال • ويتشبث بحبال المحال • ويتوسل
بآداب اسملت برودها • وانحلت عقودها • ويتوصل باسباب
افلت سعودها • واضمحلت جدودها • وهو يعلم انه لابد للمصدور
من نفثة • وللمظلوم من غوثة • ولست والله انسى ما له عندي سالفا
وآنفا • وتالدا وطارفا • من منن اتقلدها • ولا اجحدها • ونعم انشرها
ولا استرها • وغرائب بر لا ينهض كاهل الارض باعبائها • ولا يستطيع احد
ان يجاذب على جزء من اجزائها • وبدائع احسان ان غطيتها دلت عليها ظهور
حقائقها • وان اخفيتها ابانت عنها زور شارقها • واوثق البرهان اصابة
مكاني عنده كما عهدتها قديما معمورة لا تخالط كدورة • وخدمتي مشكورة
لا تتغير صورة • وانا انال من وابل سحابه قطرة • ومن شامل ايجابه نظرة
وان تتفق لي سعادة في ايامه الناظرة السعيدة • وتحت ظلاله الظليلة
المديدة • اجد بها من صروف الدهر سلوة ونجاة • لا ابيع بها بضاعة مزجاة
ولا ارى لبضاعتي سوقا ولا لسلعتي نفاقا ولا عدائي نفوقا • ان شاء الله •

الى مجد العلاء والدولة في باب الاقتضاء والاذكار والعاشر بمصر

بدر
ذرور

وله الى ابي الفرج احمد بن محمد القشوري بدمشق

ذكرت ادام الله بقاء الشيخ وادام الله ايامه . واسبغ عليه انعامه . سكرا
على ان اقصد حضرته فاتشرف بها . واستوفي اقسام السعادة بقربها
فوجدت الهوى ابرد من مزاح الثقيل . وطلعة البخيل . ورايت
السماء قد ندفت على الارض من سبايخ الثلج ما سدت به الطرق
بل الافق . وضربت في الشوارع من الضريب مضارب . وعبت
في كل صقع من الصقيع مواكب . فترجلت في عاجز عن الركوب
ومشيت مشية الرجل المرعوب . وقرت عيني من الثلج فلم تبصر
سماء ولا ارضا . وصارت من القر يدي كيد الجواد لا تطيق على المال
قبضا . فلم ازل استقبل عواصف الزمهرير . واطاء ارضا كالقوارير
واتعثر بين الازقة والحال في الاوحال . واتوقل في تلك القلل الثلج
كالاوعال . واهتز مثل السعفة خصرا . واتاوه من البرد الذي لم
يبق لي سمعا ولا بصرا . وازلق بالطين يمينا وشمالا . واميل مع الريح
جنوبا وشمالا . واغوص الى حلقي في الثلوج . وارتعش ارتعاش
المفلوج . وانتكس في العثور من قدمي الى انفي . واقع والصبيان
يتصايحون خلفي . الى ان صدني عن وجهتي التعب والعياء وردني
عن طريقي الخجل والحياء . واستدركت الراي فانهزمت الى الدار التي انا
ساكن بها كمن فر من زحف الى سيل منصب وعلي ملابس من قر ومدارع
من ريح صر . وقصدت في بعض زواياها كالقنفذ انزوي مسرة .
وانطوي كرة . واتهنت في الحال لما قاسيته في طريقي من الامر الفادح
والخطب القادح . وعاينته من البرد الكالح والقر القادح . الى ان تمنيت
لعيني سخنة . ولقلبي حرقة . وزينت ام الزمان اذ نجاني من البيت
واخرجني . والجاني الى الاقتحام في مثل هذا اليوم واحوجني .
ولعنت وقتا بليت فيه بمباشرة الطبول . وملازمة الطلول .
ومجالسة الوعول . وممارسة الوحول . ولو ان مرزوق من كل شيء
بدمشق حتى من المنازل المعمورة . والمساكن المشهورة . والقصر المشيد
والصرح الممرد . فلا ادري كيف ابتلاني الله بسكناي بهذا المنزل الذي يشاهده
مولاي الشيخ ادام الله سعادته . فان ما بين سقفه وارضه لا شبر . ولا بين

الاذكار اطال الله بقاء الشيخ عماد الدولة باب الى الانجاح والاقتصار دليل
على قلة الرغبة بمحروم القضاء ومعاشرة الزمان مخيف وترك الحركة في طلب
الرزق جبن وضعف والاستغناء عن الناس عز والشكوى الى من لا يعينك
عجز والمنع الوحيز خير من المطل الطويل واليأس المريح خير من الوعد العليل
والانتظار الموت الاحمر ومسئلة الناس العذاب الاكبر والتمني شجرة ثمرها
غي ونبعها بطي وطعمها بشيع وعيش انتشاده جرح وغصص وما احسن
الصبر اذا آذنت عقباه بنجاح وما اقبح الحرص ولو دلت صفقته على ارباح
وما اضيع الصنيعة اذا اسديت الى غير احرار يجهلون مقدارها ويجحدون بدايع
الشكر عنها وابكارها وان صناعة تكون وبالا على صاحب الصناعة سوء وان
بضاعة تزداد كل يوم كساد البضاعة شر وان عناية تحتاج الى ان تصطاد بالامراء
والارهاق وتنقاد بالحبل الذراق وتجلب بالوسايل والوصايل وتجلب
بالسوال المتواصل لعناية لا تثمر غير العناء ولا تظهر غير الشقاء والرغبة عنها
غير الرغبة فيها والاستغناء عنها افضل من الاستغناء بها واهنى المعروف
ما قرن بتعجيل وانقص البر ما وصل بتطويل واجل النعم ما لم تكدرها
المنن ولم تتكلف المؤن والى الله الرغبة في تسهيل ما يعسر من الاحوال وتعجيل
ما تاخر من الآمال والتوفيق لشكر النعم ليلا ونهارا والتحدث بها اعلانا واسرارا
ان ذلك بيده ومرجو من عنده ثم ما الشكية اورب ادام الله عز الشيخ عماد
الدولة معكم الا وبا برجل سمعي كان بالعراق فسقط من جدار عال فانفصلت
مفاصله وتكسرت اعاليه واسافله واحضر المجبر لجبر عظامه ورد جسمه الى نظامه
فاشتغل المجبر منه طرفا الا وراه منقصا ولا لمس منه عرقا الا وجد فيه
فتقا فقال لاهله هذا المسكين لا مطمع في حياته ولا سبيل الى مداواته
ويضيع التعب في امره ولا يجي منه شي وان بالغت في جبره فضحك
العليل والمجبر عساك وقال الشدايد ما يضحك وقال ان رجلا مثلي
بهذا الطول والطلل والقامة كالدقل لا يجي منه طفل صغير لحقيق بان
لا ينجبر من سقطته ولا ينتعش من ورطته وانا اقول ان مثلي رجلا من
كتب الاداب وملكها وشاهد العجايب وادركها ودرس العلوم فغاص من عمقها
واشتمل على دقائقها بالباع الاطول وخدم الملوك
وكان من ثقاتهم وعاشر اهل الفضل على اختلاف طبقاتهم وتغرب في البلاد

وتغرب

وترتب • وتهذب في الاسفار وتذرب • لا يحتاج لجده الحضرة الجليلة
في خدمته اليه • ولا يعول على شيء من نهايتها عليه • ويجدر بان يبكي على غرة •
ويعطش بين الحوض وعقره • وان لا يقاوم له وزن • ولا ينفتح لشكايته
اذن • ولا يسأل عنه حضر ام غاب • ولا يبالي باخطاء او اصاب • ولا
يعد في الناس تقدم ام قام • وسهر او نام • ولقد رأيت الناس في ايامي
والواحد منهم يكسب بقليل الادب • كثير النشب • ويبلغ باليسير من
العلوم • مطالع النجوم • فدرج اولئك الكرام • وانقضت تلك الاحكام
وبطلت تلك الاحلام • ومضى ذلك الزمان • وتبدلت الاعيان •
وبقينا في اعقاب اولئك الافاضل نتمنى الموت طلبا للراحة • وهربا
من الحاجة والاستماحة • ومما ساءنا حوال ان كشفنا عن جهالة زرع غير
الفضائل • ونحت بنا الكوائح • وعطل المتاجر • وان كتمنا ما اصابنا غصص كاتمة
وقتلتنا ادواء باطنة • ولست ادري يشهد الله ما لي عند الناس سوى انني
موسوم بالادب الذي لا ينتفع بكثيره وقليله • ولا يرضى جملته ولا تفصيله •
ومشهور بحكاية انا ابرء الى الله منها براءة يوسف من الذئب • والمسيح من
الصليب • من حفظ النحو واللغة • ونظم بلاغة التي لا تبلغني الى البلغة •
وما الحاجة الى صناعة لا اخلو فيها من حرفة وادبار • وبضاعة لا ينفق
حبة بالف بمسمار • وكم اعترف بالعجز ولا ينفعني الاعتراف • وكم اتظلم ولا
يذكي الانصاف • وكم اتجامل ولا احظى بحظ الجهال • وكم اتغافل ولا ارزق
رزق الاغفال • وكم ارد على الاذهان • وكم انقد على قادحة الحرمان • وكم
احسد ولا احسد • وكم احظى بالاذية واقصد • وما ذلك على الله بعزيز ان
يجعل لنا فرجة • ولا يجعل ما انعم به علينا حجة • ويكفينا مؤونة حسادنا بتنغيص
معايشهم • واظهار فواحشهم • وتزوير قطيعهم • وتسليط الكساد على سلعهم •
بجوده ومجده • اردت ان اذكر الشيخ ادام الله جمالي • واحثه على حمل عقائل
آمالي • والترفق شدة تطلعي لما وعدني به الوزير الاجل ادام الله جلالته من
نظرة ترتيني لبرقها ومنفعتها • ويجعل سود ايامي بها بيضا • وعزمة يمضي
مضاء القدر الغالب • وتفري فري المواضي القواضب • واصطناع
يجدد يدل على علو همته • واقبال يجرح بكثب حاسديه لديه وفيهم • فما
البديهة • وجادت القريحة • وضل القلم من جاذبه • وجمح النفس على عادة

وخطر الخاطر زاهيا وما عهد به ساهيا حتى عدلت من الغرض لما في
القلب من المضض ولبست قصد الطريق لما اقاسيه من الضعف
والضيق وهو ادام الله عزه بان الاجماع كان واقعا من كافة اهل
الفضل بان الوزير الاجل ادام الله دولته لا يفتح ابا من نظر الا بالنظر
في امري والتنويه بذكري والتقريب في تقريبي واختصاصي لما تحققه
من صدق ولائي واخلاصي والتوصل الى ايثاري لما عرفه من حميد
آثاري وكنت اظن والظن يخطي ويصيب ان لا يتعذر على جميع ما
اقترحه من كرمه من جلائل الاعمال ولو كان بيني وبينها رمل الاحقاف
وسورة الاعراف وقد مضت على ميعاده شهور ثلاثة وتقدمتها
سنون كالا يحتسب ثلاثة وانا بعد جملة تفصيلا اضر تشغل القلب
الفارغ وتنغص العيش السائغ وتنفي التليد والطارف وتجعل
الاكياس فوارغ للتاليف وفي اذكاري منه مبرح جنون وطليعة
وشرعة الوسواس وذريعته ولو كانت بعلم الله في الدنيا مادة من جهة
لتبلغت بالبلغة ولجعلت العوارض التي لا بد منها عدة واسكت غير
مستبطئ ما وعدتنيه من اسعاف بزنوما ارخته الايام وانصافي بعيد
ما اختل منها وانحل الى النظام ولكن المواد منقطعة والارفاد مرتفعة
والوقت صعب والمرعى جدب والفطام شديد والمنتهى بعيد
والاشغال متراكمة والمؤن لا بد منها لازمة آزمة فهل بعد سد
الوزارة لثغر منفذ او بعد بلوغ السما لمرتقي مقصد وبعيد ما
يتعد بين المتوسمين من ينتقد الرجال ادام الله فضله كانتقاده ويعيد
العدل كاعتياده ويجتهد في ابتناء المكارم كاجتهاده والثقة بعد
صنع الله الجميل وفضله الاثول بتفضل الشيخ عماد الدولة ادام الله نظم
سعادته في انهائها صورة حالي الى تلك الحضرة الجليلة فينبه عني من بعض
النحوس واعسار وتخدم من يجذبها السعادة واليسار وتجرد اهتمام
في باب تسعفها على ابواب التعذر ويؤثر في عمارة حالي ابلغ التاثير
عالما بان شكري اسير في الافاق من الامثال واشهى الى النفوس من ايام
الاقبال رقعة الى صديق لم يجتمع بالملوك جاريه ويعرف صورة
الحال وهو معقل بن جهيد البغدادي يا ابني الشيخ ادام الله عزه ما يجدد

ن

لي من جميل راي الوزير الاجل ادام الله ايامه وتوفر علي من جزيل انعامه
وبليغ ما طفته واعتنايه واياديه السالفة عندي وان كانت كلا بيضا
لم تدنسها الكدورة ولم تمحها الغير فان هذه الصنيعة لجديدة صارخ
في وجوه اقرانها الغرة وفي عقود افضالها درة يلزمني ادنى نعمة من نعمه
انناف باقي العمر على طاعته وبلوغ اقصى الغاية في [illegible] ونشر نعمته
وانا واصل رغبتي الى الله في اطالة مدته وتسهيل مصاعب الامور لرايه
ورايته والجا الامور كلها على حسب ارادته ومحبته بفضله ورحمته
وقد تفضل الان لا زال متفضلا وللاحرار معتقدا وحوناله بعرض
رقعتي بالحضرة والتلطف في خروج الامر العالي باطلاق جاري الذي
كان منذ سنين معتقدا محبوسا واقالتي عثرة ما كان مركوسا
منكوسا وزيادتي اوفر الحظ من انعامه بعد ما كان منحوسا واحيا املي
في كرمه بعد ما كان بانياب النوايب مضروسا وامر بالتوقيع باعادته من
غير ان اتعبت في السعي قدمي واحنثت في استعادته قلمي واحب
ان يتطول الشيخ ادام الله عزه عند وصول التوقيع اليه باحضار صاحبه
فلان ومرافقته على تعجيل المال ومنعه من المراوغة والمطال ان شاء الله

كه

الى الوزير صفي الدين يشير فيها بانتقاله الى الدار الجديدة المنشية التي للمرتضد المسدد

انا اطال الله بقاء الوزير الاجل استصغر ان يكون مسكنه من الارض البقعة
ذات التي فات من بغداد بلاد وراث العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
واستحقر ان ارى موطنه صرح سليمان عم او شعب بوان او منتزهات
طبرستان او مداين كسرى انوشروان واستقل بشانه ان يكون
غوطة دمشق بصنوف اشجارها او ابلة البصرة بجميع انهارها او سعد
سمرقند بغرايب فواكهها وثمارها او نوبهار بلخ ببدايع ازهارها
انوارها لان المنازل الوسيعة لو كانت تسكن باستيجاب واستحقاق
والمراتب الرفيعة لو كانت يحلها النفس ومكارم الاخلاق لكان الوزير
الاجل ادام الله دولته يستحق ان يتخذ منازل القمر مجالسه ومنازله
ويدفع عنها مجالسه ومنازله بل يستوجب ان يكون على مجرة المجرة موضعه
وفوق محل الشمس مصيفه ومربعه واستسهل ان يطاء بقدميه

القلب • ولسجد من بين يديه السبعة الشهب • لفضايل عنده مجتمعة •
تفضل عنها فوارط الآمال وزوايدها • وعقايل لديه مستبدعة تكل دونها
مساعي الظنون ومواردها • واعراق له في الرياسة والجلالة اصيلة لم
تنبت بلوم واقتراف • واخلاق له في السياسة والكياسة جليلة لم تنتسب
المبيح منها عن كره وعفاف • وعزايم كالصوارم بل احد مضا ونفاذا •
وصرايم صليبة الحاجم تركت محاجم الحساد لها جدادا • فلهنه هذه المناقب
التي اسبغ الله عليه ظلالها وجلالها • وهذه المراتب التي عيا الاقرانها
واتصالها • وهذه المعالي التي قصرت دونها مراقي الهمم العالية • وهذه
المعاني التي تشرفت بها تواريخ الامم الماضية • ولسيدنا بما خصه الله من
اقبال لو نقل منه على الملح الاجاج لصار عذبا • ولو اناخ منه بالمناخ
الجدب لعاد خصيبا • ولو ركب دهم الخيل لتركت شهبا • ولو مس صم الصفا
لانبتت عشبا • ولو استوقف الشمس لما رات لها ابدا غروبا • ولو امر
الدهر لجعل مكروهه محبوبا • ولو فرق جزا منه على العالم لاصبح المحدود
فيه مجدودا • ولو قسم بعضه على جميع الخلق لاصبحت نحوسهم سعودا •
لا زالت السعادة منطقة بعقوته • والبركات بادية بيده وتره • والاقدار
تابعة لاغراضه • والمسار راتعة في رياضه • والاحكام منقادة لحكمه
والايام ممتثلة لرسمه • ودعايم الدين محروسة بنظره • ومعالم الاسوة
بجميل سيره • واطال الله له في العز لياليه وقاه من خوادع الايام • وبدد
لنقضه وابرامه شرايع الاسلام • ويكتب به صدر الوزارة به اجادة •
ويكتسي منه الرياسة به اقباله • انه سميع مجيب • ولان كانت الثقة
بالله صادقة • والسنة البشاير ناطقة • بان الوزير الاجل اعلى الله حاله
حيث ما حل وارتحل • واينما اناخ وخيم • فالاقبال متقبل لقدمه •
والسعد مساعد لخدمه • والتوفيق رفيق اختياره وايثاره • واليمن
والسرور عن يمينه ويساره • والجد السعيد جاد في تجديد محال له
سامية تدوس مناكب النجوم دونها • وتشييد منازل عالية تتمنى الشمس
ان تكونها • فان هذا المنزل الذي نزله الان مستوطنا اسعد المخطط
والمواطن • مستقرا ابهج المنازل والمساكن • مؤذنا له بانتقال صروف
الدهر عن نواصيه • مبشرا بسلامته من مكايد الزمان وخلاصه • ووايات

تتوالى عنده سعودها • وينجز له من الايام موعودها • ومسرات
تتزاحم عليه مواكبها وجنودها • وتدوم بحضرته اقامتها وخلودها •
الى ان تبلغ من المعالي حيث لا مطمح فيها للافكار • ولا مسرح وراها
للابصار • والله ولي تحقيق ظنون عبيده • في ادامة عزه
وتأبيده • وتخييب آمال عدوه وحسوده • بكرمه وجوده
ولما عزمت ادام الله تمكين الوزير الاجل الجواهر التي بعدها
النثار في هذا اليوم السعيد • والمحل الجديد • فدام من هو في
طاعته مخلص • وبخدمته متخصص • وبحبال ولائه متمسك
وبالاتصال باوليائه متبرك • وقفت تحت ظلال الترتيب
انثر جواهر نظمها القريحة • وضمها الفكرة الصحيحة • عالما بان
جواهر الفكر اعظم من جواهر البحر قدرا وسنا • ودرر الصحف اظهر
من درر الصدف نقا واصفا ما • ومحاسن الرسائل والخطب
التي من معادن الفضة والذهب غلا وعلا • وابتهل الى الله
في ادامة هذه الايام المشرقة • وابقاء هذه الاوضاع المتسقة •
وارغب اليه جل اسمه في ان يجري طالع هذا التحويل سعيدا • و
طائره حميدا • وبناء عزه مشيدا • ولباس انسه جديدا • وان
يجعل هذه الدار مثل دار القرار عموم امن • وشمول يمن • وارتفاع
منار • واتساع بسطة ووقار واقتدار • ويزين بجماله الزمان
ويعمر ببقائه المكان • ويجدد له فيها عزا وشرفا لترى رؤوس
اعدائه ومعانديه فوق جدرانها شرفا • ويعينني على خدمته التي
بالاعتزاء اليها البس لباس اعتزاز وافتخار • وبالتحلي بها اعلو
كاهل ثروة واستظهار • ويرزقني في ايامه حظا انتعش به من
وهدة العدم • والحق بذوي الخصائص من الخدم • بلطفه وعطفه

الى الصدر [illegible] صفي الدين [illegible] حسين
[illegible] ديوان [illegible] بما يجري من جار [illegible]

انا اذا كتبت الى صديق ادام الله عز الشيخ رفعته في صدرتها اولا بحمد
مولاي الوزير الاجل ادام الله ايامه وختمتها بشرح فضائله •
التي نادت في البعد والقرب • ومناقبه التي سارت في الشرق

والقرب • ومحامده التي اخذت بمجامع القلب • ومآثره التي
فاحت كالمندل الرطب • وافاداته التي اذعن لها كل فاضل •
واستكثر منها كل جاهل وعاطل • علما بانها اذا نصحت غرر اوصافه
وانطوت على نزح رياسته ورياسة اسلافه • سلمت من العلل • وخلت
من الخطا والخطل • وتعطرت منها كف الناشر • وارتجت بها لسان القارئ
والذاكر • واعترف بصدقها كل جاحد • ورغب في معروفها كل زاهد •
وادام الله ايامه في عز يدوم جماله • وجلال يتجدد اقباله • وسعادة
يتزايد اشراقها • ودولة يدوم انتظامها واتساقها • بجوده ومجده
ولست اشك الا وعنده حقيقة ما اسداه الى الوزير الاجل
ادام الله تاييده آنفا من الجميل الذي لهج اللسان ذكره ووصفه • و
انتشر في الآفاق نشره وعرفه • واستعطف قلوب الاحرار اليه
بعد ما كانت جامحة • واستوثق به نفوس اولي الاقدار وكانت
سابحة طامحة • وهذه المكرمة الواحدة وان كانت جزء من مكارمه
التي لا تعد • وبعضا من عقائله التي لا تجحد • فانها دلت على انه
وضع لها موضع النقب هناه • واوقع مكان الداء دواه • واحسن
الى من يتنبه للشكر والناس نيام • ويخطب بذكره والخلق قيام •
وكنت ادام الله عز الشيخ لما حضرت مجلسه وامر باطلاق الجاري عازما
على ان اتلطف في استقراض مال شهرين من الديوان تلويحا • اذ كان
محيا يمنعني المشافهة به تصريحا • فكلما هممت بان اطلق بذكر الحاجة
لساني • ثنت الحشمة عناني • وكلما شجعتني على السؤال صورة الحال
قد عقتني عنه كثرة الهيبة والاجلال • فوقفت ومضيت ولم استطع
مضيا • وملت نفسي اذ مضيت باقلاد بلدة وعيا • وهذه جملة
تفصيلها ما اوثره من تفضل الشيخ ادام الله فضله بالتقدم الى
الجهبذ بتعجيل حمل مال هذا الشهر الواحد لا تبرك بعود مجاري طال
جوده • وخف من عدم الماء ورقه وعوده • او مطالعة الوزير الاجل
ادام الله ايامه فيما التمسته راي حضرة العالي ان شاء الله رقعة الى
الشيخ ابي عبد الله محمد بن احمد بن القصار ايضا انا ادام الله بقاء الشيخ
عاد الدولة لست ممن يترك الصفو ويشرب الكدر • ويضيع الحزم ويسب

عرف

سخت

الكدر

46

النكد ويزوي بالصغير وقد طوى عشرا ورضي بالحقير وقد ثني
دهرا ويجهل قدر النعم سرا وجهرا ويغفل عن شكر المنعم نظما
ونثرا ولكني اوفي المودة حقها وانزل عن دار الهوان بمعزل
واعاتب الشيخ ادام الله عزه على ما يتكدر لي من صفائه ويتغير
لي احيانا من حميد وفائه واطالبه باحوجية من احتفائه واتقا
واغار على الوزير اذا لم يخصني من بين جميع اصدقائه بفضل ايجاب
ورعاية وآنف لرؤيته اذا لم يؤثرني من بينهم بمزيد اثره وعنايته واحثه
على اختصاصي بتفضل منه يجاوزهم ونغضب بجديد وعلى اثره
خصوصا وقد جمعتنا اسباب القربة التي هي عند الكرام كالارحام
ونظمتنا ابواب الخدمة على سالف الايام وتاكدت بيننا معارف
هي عند اهل الفضل ذمة تقتضي ان تصان ولا تبتذل ويلزم ان
تنصر ولا تخذل صانه الله عن مكايد اعدائه وامده بالنصر في
جميع مقاصده والحاته بجوده ومجده ثم كنت جاريت الشيخ
عماد الدولة ادام الله عزه حديث رقعة خدمت بها حضرة مولاي
الوزير الاجل ادام الله علاه وشرحت له ما ضمنتها من صورة حالي التي هو
بها عارف وعلى جليتها واقف وما كنت ظننتها بارتد لم تستنبطها النفوس
فاي حيلة وذكرت بوسائلي ان لم تشفعني فامتنع لاحد وسيلة وتلطفت
حسبما اتفق في سبع لفظه وتناهى في استعطافه والتوصل الى استرضائه
والمغور بكرمه من سوء رايه واجتهدت فيما امكنني في ازالة وحشة
ان تقدمت والدلالة على ثقة بتفضله فاكدت انفا واستحكمت
وذكرت لحضوري شريف مجلسه عقب ما اوصلتها اليه بيومين مستخبرا
عن حالها لاعلم هل اسفر صباح النجاح ام رجعت حائلا بعد طروق في
اللقاح فكان البشر المنجح زائد والقبول للاقبال قائد وعرفته ادام الله
سعادته انه لم يستوف الكتاب بكليته حضرة حتى شاهدت منه طلاقة اطلعت
لي مقيد الآمال وتهللا دنا لنا الهلال ونفسا قد ذكرته ذكية وهمة
في المعالي رمكينة وملحة دالة على انفتاح مغالق الرجاء ومخالفة في باب
مذهب الارجاء ولحظة تنشطني على مفاتحته بالكلام وتبسطني بعد
الانقباض والاحتشام غير اني كلما هممت بالخطاب ارهقتني بجلة

بان
تضيق

الرباب • وكلما همت على ترح بحال • ما قتني هيبة الاعظام والاجلال •
حتى كاد ريقي يجف بعد الابتلاع • ومكاني يضيق بعد الاتساع • وانا
متحير في التقدم والتأخر • والسكوت او التكلم • الى ان كانت منه المشافهة
دالة على ان لساني الذي كان اطول من الرمح بقي اقصر من ابهام الحبارى •
وبياني الذي كان اوضح من الصبح صار ابهم من بيان السكارى • فتفضل
ادام الله فضله في الزيادة في تقريبي وايناسي • وتطول لا زال
متطولا بازالة نفاري وشماسي • ووعدني بوعيد الامل ان الله
لا يخيب فيها الامل • ولا يحبط العمل • ولا يغلق دون نجحها ابوابا •
ولا يجعل بينها وبين الانجاز حجابا • بلطفه وعطفه • والشيخ عماد الدولة
ادام الله سعادته يعلم ان بهذه الحضرة في اولاد البخت من حسادي
كثرة • وان لي في قلوبهم من معاتبتي بين ظهرانيهم حسرة كبيرة • هذا ولا
ذنب لي عندهم سوى اني اعلم وهم جهال • واشهد وهم بغال • واسمع وهم
طلول • وابصر وهم طبول • واتقد وهم انعام • وامتنع وهم اصنام •
فكلما لاقوني تنفس الصعداء كمدا • وكلما سمعوا بخبري تدوا النشر حسدا •
وكلما داوا قربي من حضرة الوزير الاجل نصبوا المكايد • وطلبوا الفوايد •
وخلقوا اساطير • ولفقوا اكاذيب • وتحالفوا على افساد الحال بالقول
المحال • ودسوا حاملي عرشهم • ورايتني نبلهم على الارجاف بالباطل والضلال
طلعنهم الله لعنة ترى معاطسهم بالجنادل • وتندى مخازيهم بالمحافل •
وكفانا شرهم الذي لا يكاد يجد شارة • ولا ارى تبرد ناره ودواره • وسلبهم
النعمة التي تدعو اهل التوحيد الى الكفر • وتزهد اولي الفضل في استطالة
الوجه وكرمه • والذي ارغب فيه الى تطول الشيخ عماد الدولة ادام الله عزه
ان يجتهد بانهاء صورتي الى الحضرة مولاي الوزير الاجل وتقرير امري
لديه وقت خلوته بعد ان يكشف عن مكنون قلبه • ويشرف مكنون عتبه •
ويعرف السبب الذي اقتضى حالي عنده حتى صرت الف الوصل بعد ما
كنت لام الصلة • ونون الجمع في الاضافة • عتب ما كنت لام المعرفة • وينبع
ما اعلمته وشرحته لي ثناء جميل يجيده ويزيده • ويشكر بديه
وبعيده • ودعاء بما من مخائل خاطره • ومدح طويل يتصل اوله
باخره • ثم يجدد لي ترفيع ما رفعته يد الايام من احوالي • والتوصل الى استعادة

جاه

جابر ونت من اربعة احوال • ولا رضيا لاباز الوحشة الاجنبية • ولا
من ان يذهب في امري مذهب الواقفية • ولا استجاز لما سبق
صادف وعده • واجرى على ما زال اعهده من كرم عهده • عسى ان
تذكر الرقة فيعيد لي ما اضمنني به سهام الاعادي • ويجنني في باب
مكرمته تمهد والمباني وهي باقية مشيدة • ويبلى الايام والليالي وهي
نامية جديدة • ونكتب بما تفلق في هذا الامر شكرا انفرع بذكره رؤس
المنابر • ونورخ بشاة تحايف المفاخر والماثر • ان شاء الله تعالى

الى اصحاب الدواوين شكاية ومعاتبة وارعاد ومعاقبة وهو نصيب بن بشر نوله وان يحاص

الشيخ اطال الله بقا سيدي ولا هذا هذا الاخذ • والاخلاق • ولا
هذا الوسواس • والحرمان • ولا هذا الامتهان • والمنة • ولا هذه
الذلة • والجاعة • ولا هذه الضراعة • والتبر • ولا هذا القبض
وخوط القتاد • ولا بعض هذا الكساد • واستخفاف ان بالاد • ولا
ارضى بهذه الحالة • والاستكناف من الابواب • ولا معاملة هولاء
الكتاب • وبكم الموت اطيب من هذه الحياة • والفناء احسن من معاناة
هذه الاعنات • والاعتزال في قلل الجبال • احسن من هذا الاحتمال
والاعتكاف في زوايا المساجد • انفع من انتظار هذه الفوائد •
فتحطنا بعد هذا الاقتصار • على مقاسات البلاد • والشقا • و
اخرجنا بعد الاستعدا • والاستعفاء • الى احاديث بوادر وترهات
ابن البناء • وابتلينا بالخلو في عرض وانفاق عرض عمر • وانقاد حديث
خرافة بابي عمرو • وبالرقم على صحيفة الما • والتعلق بالهباء في الهواء •
وبمواعيد بلا دينار واحد • وبالضرب من وصول المال من عند ابن ابي
محمد في حديد بارد • وبالمتعلل بالاماني المقفل المطل • وبالقناعة
بالف رطل من المطل • وامتحنا يشهد الله فقط بمشتري يتجر من بايع
ومتخم يقسو على جايع • وراكب يتهكم براجل حافي • وغالب يستخف بعدو
ضعاف • وسكران يضحك من صاحي عاقل • وبنا قص بولع بحر فاضل •
ولو اني استغنيت عن العقل فهداني الى الفقر • واستمليت بين الكرم فنهاني
عن ارتكاب الشر • لتركت العتاب • ولكشفت الحجاب • ولرميت ومنه فاضل •